مجاني الأدب

في

حدائق العرب

عُني بجمعهِ وضبطهِ وتصحيحهِ

الاب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الثالث

طبعة ثامنة مصحّحة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٠

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة ١٧٤

حقوق طبعهِ محفوظة للمطبعة

أَلْبَابُ الْأَوَّلُ
فِي التَّدَيُّنِ

فِي كَمَالَاتِهِ تَعَالَى

١ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ . هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ . خَالِقُ الْأَعْيَانِ وَالْآثَارِ . وَمُكَوِّرُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ . الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ . وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ الْأَرَضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ . سَوَاءٌ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ . وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ وَخَصَّهُمْ بِمَشِيَّتِهِ . وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مُعِينٌ . وَلَا فِي تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَهِيرٌ . وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ . لَا تَلْزَمُهُ لِمَ . وَلَا يُجَاوِرُهُ أَيْنَ . وَلَا تُلَاصِقُهُ حَيْثُ . وَلَا تَعُدُّهُ كَمْ . وَلَا تَحْصُرُهُ مَتَى . وَلَا تَحِيطُ بِهِ كَيْفَ . وَلَا تُظْهِرُهُ قَبْلُ . وَلَمْ تَفْتُهُ بَعْدُ . وَلَمْ تَجْمَعْهُ كُلُّ . وَصْفُهُ لَا صِفَةَ لَهُ . وَكَوْنُهُ لَا أَمَدَ لَهُ . وَلَا تُخَالِطُهُ الْأَشْكَالُ وَالصُّوَرُ . وَلَا تُغَيِّرُهُ الْآثَارُ وَالْغِيَرُ . وَلَا تَجُوزُ عَلَيْهِ الْمُمَاسَّةُ وَالْمُقَارَبَةُ . وَلَا تَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْمُحَاذَاةُ وَالْمُقَابَلَةُ . إِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ . فَقَدْ سَبَقَ الْمَكَانَ وُجُودُهُ . لَمْ يَفْتَقِرْ وُجُودُهُ إِلَى أَيْنَ . هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ غَنِيٌّ بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ . وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مِنْهُ بَدَا . وَإِنْ قُلْتَ : مَا هُوَ . فَلَا مَاهِيَّةَ لَهُ لِأَنَّ مَا مَوْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِنْسِ . وَالْقَدِيمُ

تَعَالَى لَا جِنْسَ لَهُ) وَإِنْ قُلْتَ: كَمْ هُوَ. فَهُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ. مُتَفَرِّدٌ بِصِفَاتِهِ. وَإِنْ قُلْتَ: مَتَى كَانَ. فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتَ كَوْنُهُ وَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ هُوَ. فَمَنْ كَيَّفَ الْكَيْفِيَّةَ لَا يُقَالُ لَهُ كَيْفَ. وَمَنْ جَازَتْ عَلَيْهِ الْكَيْفِيَّةُ جَازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ. وَإِنْ قُلْتَ: هُوَ. فَالْهَاءُ وَالْوَاوُ خَلْقُهُ. فَمَا تُصُوِّرَ فِي الْأَوْهَامِ. فَهُوَ بِخِلَافِهِ. وَلَا تُمَثِّلُهُ الْعُيُونُ. وَلَا تُخَالِطُهُ الظُّنُونُ. وَلَا تَتَصَوَّرُهُ الْأَوْهَامُ. وَلَا يُحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ. وَلَا تُقَدِّرُ قَدْرَهُ الْأَيَّامُ. وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ. وَلَا يُقَارِنُهُ زَمَانٌ. وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ. وَلَا يَجْمَعُهُ عَدَدٌ. قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ. وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ. عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ. وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنَقُّلٍ. هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ. وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ. الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ. الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَبِمَا شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى

(سراج الملوك للطرطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ. وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ. وَيَا مُجِيرَ الضَّعْفَى وَيَا مُنْقِذَ الْهَلْكَى. وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ. وَضَوْءُ الْقَمَرِ وَشُعَاعُ الشَّمْسِ. وَحَفِيفُ الشَّجَرِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ. يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الْمُؤْنِسِينَ لِلْمُتَكَلِّمِينَ عَلَيْكَ أَنْتَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ وَالْمُطَّلِعُ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ. وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ. وَأَنَا إِلَيْكَ مَلْهُوفٌ. إِذَا أَوْحَشَتْنِي الْغُرْبَةُ

آنَسَنِي ذِكْرُكَ. وَإِذَا أَكَبَّتْ عَلَيَّ الْغُمُومُ لَجَأْتُ إِلَى الِاسْتِجَارَةِ بِكَ. عِلْمًا بِأَنَّ أَزِمَّةَ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِكَ وَمَصْدَرَهَا عَنْ قَضَائِكَ. فَأَقِلْنِي إِلَيْكَ مَغْفُورًا لِي مَعْصُومًا بِطَاعَتِكَ بَاقِيَ عُمْرِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

٣ لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَأَمِّنُوا. اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَلَيِّنِّي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ بِمُوَافَقَةِ الْحَقِّ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ. وَارْزُقْنِي الْغِلْظَةَ وَالشِّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدَّعَارَةِ وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا اعْتِدَاءٍ عَلَيْهِمْ. اللَّهُمَّ إِنِّي شَحِيحٌ فَسَخِّنِّي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ. وَاجْعَلْنِي أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ. اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفْضَ الْجَنَاحِ وَلِينَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ. اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ فَأَلْهِمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذِكْرَ الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ. اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي النَّشَاطَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ وَتَوْفِيقِكَ. اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي بِالْيَقِينِ وَالْبِرِّ وَالتُّقَى وَذِكْرِ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْحَيَاءِ مِنْكَ. وَارْزُقْنِي الْخُشُوعَ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي وَالْمُحَاسَبَةَ لِنَفْسِي وَإِصْلَاحَ السَّاعَاتِ وَالْحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)

٤ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنِ احْتَجَبَ بِشُعَاعِ نُورِهِ عَنْ نَوَاظِرِ خَلْقِهِ. يَا مَنْ تَسَرْبَلَ بِالْجَلَالِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَاشْتَهَرَ بِالتَّجَبُّرِ فِي قُدْسِهِ. يَا مَنْ تَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكِبْرِيَاءِ فِي تَفَرُّدِ مَجْدِهِ. يَا مَنِ انْقَادَتِ

الْأُمُورُ بِأَزِمَّتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مُجِيبَاتٍ لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيَّنَ السَّمَاءَ بِالنُّجُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِخَلْقِهِ . يَا مَنْ أَنَارَ الْقَمَرَ الْمُنِيرَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَنَارَ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِخَلْقِهِ . وَجَعَلَهَا مُفَرِّقَةً بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ . يَا مَنِ اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ بِنَشْرِهِ سَحَائِبَ نِعَمِهِ . أَسْأَلُكَ بِمَعَاقِدِ الْعِزِّ مِنْ عَرْشِكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ وَاسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَثْبَتَّهُ فِي قُلُوبِ الْخَافِّينَ حَوْلَ عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَجَلَّيْتَ بِهَا لِلْكَلِيمِ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ الْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَا شُعَاعُ نُورِ الْحُجُبِ مِنْ بَهَاءِ الْعَظَمَةِ خَرَّتِ الْجِبَالُ مُتَدَكْدِكَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطَوَاتِكَ رَاهِبَةً مِنْكَ . أَنْتَ اللهُ فَلَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ بِالِاسْمِ الَّذِي فَتَقْتَ بِهِ رَتْقَ عَظِيمِ جُفُونِ الْعُيُونِ لِلنَّاظِرِينَ . الَّذِي بِهِ تُدَبِّرُ حِكْمَتُكَ وَشَوَاهِدُ حُجَجِ أَنْبِيَائِكَ . يَعْرِفُونَكَ بِنَظَرِ الْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي غَوَامِضِ سَوَائِدِ الْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تَصْرِفَ عَنِّي وَأَهْلِ خُزَانَتِي وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ الْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ . وَالشَّكَّ وَالْكُفْرَ وَالنِّفَاقَ وَالشِّقَاقَ وَالضَّلَالَةَ وَالْجَهْلَ وَالْمَقْتَ وَالْغَضَبَ وَالْعُسْرَ وَالضِّيقَ وَفَسَادَ الضَّمِيرِ وَحُلُولَ النِّقْمَةِ وَشَمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَغَلَبَةَ الرِّجَالِ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ لَطِيفٌ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة عليّ بن ابي طالب في المناداة

٥ يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ . يَا رَافِعَ السَّمَاءِ . يَا دَائِمَ الْبَقَاءِ . يَا وَاسِعَ الْعَطَاءِ . يَا عَالِمَ الْغُيُوبِ . يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ . يَا سَاتِرَ الْعُيُوبِ . يَا كَاشِفَ الْكُرُوبِ . يَا فَائِقَ الصِّفَاتِ . يَا مُخْرِجَ النَّبَاتِ . يَا جَامِعَ الشَّتَاتِ . يَا مُنْشِرَ الرُّفَاتِ . يَا فَالِقَ الصَّبَاحِ . يَا مُرْسِلَ الرِّيَاحِ . فَجْرًا مَعَ الرَّوَاحِ . يَجْلُنَ فِي النَّوَاحِي . يَا هَادِيَ الرَّشَادِ . يَا مُلْهِمَ السَّدَادِ . يَا رَازِقَ الْعِبَادِ . يَا مُحْيِيَ الْبِلَادِ . يَا مُطْلِقَ الْأَسِيرِ . يَا قَاهِرَ الْكَبِيرِ . يَا مُغْنِيَ الْفَقِيرِ . يَا غَاذِيَ الصَّغِيرِ . يَا مَالِكَ النَّوَاصِي . مِنْ طَائِعٍ وَعَاصٍ . مَا عَنْهُ مِنْ مَنَاصٍ . لِلْعَبْدِ أَوْ خَلَاصٍ . أَجِرْ مِنَ الْجَحِيمِ . مِنْ هَوْلِهَا الْعَظِيمِ . مِنْ عَيْشِهَا الذَّمِيمِ . مِنْ حَرِّهَا الْمُقِيمِ . أَسْكِنِّي الْجِنَانَا . بَلِّغْنِي الْأَمَانَا . فِي مَنْزِلٍ تَعَالَى . بِالْحَقِّ قَدْ تَوَالَى . بِالنُّورِ قَدْ تَلَالَا . أَلْقَى بِهِ الْجَلَالَا

(ديوان عليّ)

٦ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ سَمِعْتُ غُلَامًا يُمَجِّدُ رَبَّهُ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشِّعْرِ وَهِيَ هٰذِهِ :

يَا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعَ وَكَافِلًا رِزْقَ الْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
يَا مُسْبِغَ الْبِرِّ الْجَزِيلِ وَمُسْبِلَ السِّتْرِ الْجَمِيلِ عَمِيمُ طَوْلِكَ شَامِلُ
يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الْوَعْدِ الْوَفِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ يُحْصِي الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
أَلذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنِّكَ غَافِرٌ وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلُ
رَبٌّ يُرَبِّي الْعَالَمِينَ بِبِرِّهِ وَنَوَالُهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

تُقْصِيهِ وَهْوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا ... مَا لَا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسْتَاهِلُ
مُتَفَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِجُودِهِ ... بِقَبَائِحِ الْعِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ
وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ ... سُبُلُ الْخَلَاصِ وَخَابَ فِيهَا الْآمِلُ
وَأَيِسْتَ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَا لَهَا ... سَبَبٌ وَلَا يَدْنُو لَهُ مُتَنَاوِلُ
يَأْتِيكَ مِنْ أَلْطَافِهِ الْفَرَجُ الَّذِي ... لَمْ تَحْتَسِبْهُ وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُ
يَا مُوجِدَ الْأَشْيَاءِ مَنْ يَسْعَى إِلَى ... أَبْوَابِ غَيْرِكَ فَهْوَ غِرٌّ جَاهِلُ
وَمَنِ اسْتَرَاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْرَجَا ... أَحَدًا سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلٌّ زَائِلُ
رَأْيٌ يُلِمُّ إِذَا عَرَتْهُ مُلِمَّةٌ ... بِسِوَى جَنَابِكَ فَهْوَ رَأْيٌ مَائِلُ
عَمَلٌ أُرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ ... عَمَلٌ وَإِنْ زَعَمَ الْمُرَائِي بَاطِلُ
وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ ... وَإِذَا حَصَلْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلُ
أَنَا عَبْدُ سَوْءٍ آبِقٌ كُلَّ الْعِلَى ... مَوْلَاهُ أَوْزَارُ الْكَبَائِرِ حَامِلُ
قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَّدَتْ ... صُحُفِي الْعُيُوبُ وَسِتْرُ عَفْوِكَ شَامِلُ
هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِي ... وَوَسَائِلِي نَدَمٌ وَدَمْعٌ سَائِلُ
فَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ ... فِيقًا لِمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلُ
وَافْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ ... وَأَظُنُّ كُلَّ الظَّنِّ أَنَّكَ فَاعِلُ

٧ قَالَ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ الزَّمْزَمِيُّ:

يَا مَنْ تُحَلُّ بِذِكْرِهِ ... عُقَدُ النَّوَائِبِ وَالشَّدَائِدْ
يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى ... وَإِلَيْهِ أَمْرُ الْخَلْقِ عَائِدْ
يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ... صَمَدًا تَنَزَّهَ عَنْ مُضَادِدْ

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَى الْعِبَا ... دِ وَأَنْتَ فِي الْمُلْكُوتِ وَاحِدْ
أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا ابْتُلِيـ ... ـتُ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيَّ شَاهِدْ
إِنَّ الْهُمُومَ جُيُوشُهَا ... قَدْ أَصْبَحَتْ قَلْبِي تُطَارِدْ
فَرِّجْ بِحَوْلِكَ كُرْبَتِي ... يَا مَنْ لَهُ حُسْنُ الْعَوَائِدْ
فَخَفِيُّ لُطْفِكَ يُسْتَعَا ... نُ بِهِ عَلَى الزَّمَنِ الْمُعَانِدْ
أَنْتَ الْمُيَسِّرُ وَالْمُسَبِّـ ... ـبُ وَالْمُسَهِّلُ وَالْمُسَاعِدْ
سَبِّبْ لَنَا فَرَجًا قَرِيـ ... ـبًا يَا إِلَاهِي لَا تُبَاعِدْ
كُنْ رَاحِمِي فَلَقَدْ يَئِسْـ ... ـتُ مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدْ
وَعَلَى الْعِدَى كُنْ نَاصِرِي ... لَا تُشْمِتَنَّ بِيَ الْحَوَاسِدْ
يَا ذَا الْجَلَالِ وَعَافِنِي ... مِمَّا مِنَ الْبَلْوَى أُكَابِدْ
وَعَنِ الْوَرَى كُنْ سَاتِرًا ... عَيْبِي بِفَضْلٍ مِنْكَ وَارِدْ
يَا رَبِّ قَدْ ضَاقَتْ بِيَ الْـ ... ـأَحْوَالُ وَاغْتَالَ الْمُعَانِدْ
فَامْنُنْ بِنَصْرِكَ عَاجِلًا ... فَضْلًا عَلَى كَيْدِ الْحَوَاسِدْ
هَذِي يَدِي وَبِشِدَّتِي ... قَدْ جِئْتُ يَا رَبَّاهُ قَاصِدْ
فَلَكَمْ إِلَهِي قَدْ شَهِدْ ... تُ بِفَيْضِ لُطْفِكَ مِنْ عَوَائِدْ

محبة الله والثقة به

٨ أَخْبَرَ يَحْيَى بْنُ بِسْطَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى عُفَيْرَةَ الْعَابِدَةِ الضَّرِيرَةِ وَكَانَتْ قَدْ تَعَبَّدَتْ وَبَكَتْ خَوْفًا مِنَ اللهِ جَلَّ شَأْنُهُ حَتَّى عَمِيَتْ. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: مَا أَشَدَّ الْعَمَى عَلَى مَنْ

كَانَ بَصِيرًا. فَسَمِعَتْ عُفَيْرَةُ قَوْلَهُ فَقَالَتْ. يَا عَبْدَ اللهِ عَمَى الْقَلْبِ عَنِ اللهِ أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا. وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ مَحَبَّتِهِ وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا (للبيهي)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ مُتَغَزِّلًا فِي حُبِّهِ تَعَالَى:

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طُرًّا فِي رِضَاكَا ... وَيَتَّمْتُ الْعِيَالَ لِكَيْ أَرَاكَا
فَلَوْ قَطَّعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا ... لَمَا حَنَّ الْفُؤَادُ إِلَى سِوَاكَا

قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا أَمْسَى وِسَادِيَ مِنْ تُرَابٍ ... وَبِتُّ مُجَاوِرَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهَنِّئُونِي أُصَيْحَابِي وَقُولُوا ... لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمِ

قَالَ آخَرُ يَصِفُ عَابِدًا:

مَا زَالَ يَحْتَقِرُ الدُّنْيَا بِهِمَّتِهِ ... حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْأُخْرَى بِهِ هِمَمُهْ
رَثُّ اللِّبَاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَتِرٌ ... فِي الْأَرْضِ مُشْتَهِرٌ فَوْقَ السَّمَا نَسَمُهْ
طُوبَى لِعَبْدٍ بِحَبْلِ اللهِ مُعْتَصِمٍ ... عَلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ ثَابِتٍ قَدَمُهْ

قَالَ ابْنُ الصَّيْفِيِّ:

يَا طَالِبَ الطِّبِّ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ ... إِنَّ الطَّبِيبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالدَّاءِ
هُوَ الطَّبِيبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَافِيَةٍ ... لَا مَنْ يُذِيبُ لَكَ التِّرْيَاقَ فِي الْمَاءِ

٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ ... فَارْحَمْ عُبَيْدًا إِلَيْكَ مَلْجَاهُ
يَا ذَا الْمَعَالِي عَلَيْكَ مُعْتَمَدِي ... طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

طُوبَى لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرِقًّا ... يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلْوَاهُ
وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ ... أَكْثَرُ مِنْ حُبِّهِ لِمَوْلَاهُ
إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهِلًا ... أَجَابَهُ اللهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
سَأَلْتَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كَنَفِي ... وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْنَاهُ
صَوْتُكَ تَشْتَاقُهُ مَلَائِكَةٌ ... فَذَنْبُكَ الْآنَ قَدْ غَفَرْنَاهُ
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مَا تَمَنَّاهُ ... طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
سَلْنِي بِلَا خَشْيَةٍ وَلَا ضَجَرٍ ... وَلَا تَخَفْ إِنَّنِي أَنَا اللهُ

١٠ أَوَّلُ مَقَامَاتِ الِانْتِبَاهِ هُوَ الْيَقَظَةُ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ. ثُمَّ التَّوْبَةُ وَهِيَ الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ بَعْدَ الْإِبَاقِ. ثُمَّ الْوَرَعُ وَالتَّقْوَى لَكِنْ وَرَعُ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَوَرَعُ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ عَنِ الشُّبُهَاتِ. ثُمَّ الْمُحَاسَبَةُ وَهِيَ تَعْدَادُ مَا صَدَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي نَوْعِهِ. ثُمَّ الْإِرَادَةُ وَهِيَ الرَّغْبَةُ فِي نَيْلِ الْمُرَادِ مَعَ الْكَدِّ. ثُمَّ الزُّهْدُ وَهُوَ تَرْكُ الدُّنْيَا وَحَقِيقَتُهُ التَّبَرُّؤُ عَنْ غَيْرِ الْمَوْلَى. ثُمَّ الْفَقْرُ وَهُوَ تَخْلِيَةُ الْقَلْبِ عَمَّا خَلَتْ عَنْهُ الْيَدُ. وَالْفَقِيرُ مَنْ عُرِفَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ. ثُمَّ الصِّدْقُ وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. ثُمَّ التَّصَبُّرُ وَهُوَ حَمْلُ النَّفْسِ عَلَى الْمَكَارِهِ. ثُمَّ الصَّبْرُ وَهُوَ تَرْكُ الشَّكْوَى وَقَمْعُ النَّفْسِ. ثُمَّ الرِّضَاءُ وَهُوَ التَّلَذُّذُ بِالْبَلْوَى. ثُمَّ الْإِخْلَاصُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْخَلْقِ عَنْ مُعَامَلَةِ الْحَقِّ. ثُمَّ التَّوَكُّلُ وَهُوَ الِاعْتِمَادُ فِي كُلِّ أُمُورِهِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا اخْتَارَهُ (لبهاء الدين العاملي)

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

يَا رَبُّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدَا وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ فِي عُمْرِنَا مَدَدَا
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا فَالنَّفْسُ تَعْجِزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا

الاستغفار الى الله

١١ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَمْلَى عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يُقَالُ لَهُ مُرْشِدٌ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي قَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حِينَ يَفْنَى الْأَجَلُ . وَيَنْقَطِعُ الْعَمَلُ . أَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَغُمَّتِهِ . وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ وَعَلَى الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ . اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةَ عِزٍّ لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعُ كَرْبًا . اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ . ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ يَا رَبِّ تَظَاهَرْتَ عَلَيَّ مِنْكَ النِّعَمُ . وَتَدَارَكْتَ عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ . فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتَ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتَ . أَمْسَيْتُ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وَلِيَ أَجَلِي . اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَعْطَيْتَهُمْ شَكَرُوا . وَإِذَا ابْتَلَيْتَهُمْ صَبَرُوا . وَإِذَا أَذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا . وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوَّابًا . لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا . اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا ازْدَادُوا وَإِذَا أَسَاؤُوا اسْتَغْفَرُوا . اللَّهُمَّ لَا تُحَقِّقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ . وَلَا تَقْطَعْ بِيَ الْأَسْبَابَ وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ مَا تُحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي . وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سُبْحَتِي . وَتَعْجِزُ عَنْهُ قُوَّتِي . أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ . مُتَظَاهِرَةٍ ذُنُوبُهُ . ضَنِينٍ عَلَى نَفْسِهِ . دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ

ضَعِيفٌ وَمُنَّتُهُ عَاجِزَةٌ . قَدِ انْتَهَتْ عُدَّتُهُ . وَخَلِقَتْ جِدَّتُهُ . وَتَمَّ ظِمْؤُهُ . اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ . وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طُولِ النَّسِيئَةِ . وَحُسْنِ التِّبَاعَةِ وَتَشَنُّجِ الْعُرُوقِ وَإِسَاغَةِ الرِّيقِ وَتَأَخُّرِ الشَّدَائِدِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ . وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ . اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذُّلِّ إِلَّا لَكَ . وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى فُجُورًا . أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا . وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ . وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخَيْبَةِ الرَّجَاءِ (لابن عبد ربه)

١٢ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْأُقْلِيشِيِّ مُسْتَعْطِفًا :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالِفُ
قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِرَّةً وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفُ
تَزِيدُ سِنُوهُ وَهْوَ يَزْدَادُ ضَلَّةً فَمَا هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفُ
تَطَلَّعَ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلِمٌ فَمَا طَافَ مِنْهُ مِنْ سَنَى الْحَقِّ طَائِفُ
ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَأَنَّهَا حُلُومٌ تَقَضَّتْ أَوْ بُرُوقٌ خَوَاطِفُ
وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُنْذِرُ الْمَرْءَ أَنَّهُ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّبِيبَةُ تَالِفُ
فَيَا أَحْمَدُ الْخَوَّانُ قَدْ أَدْبَرَ الصِّبَا وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفُ
فَهَلْ أَرَقَ الطَّرْفَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ
فَجُدْ بِالدُّمُوعِ الْحُمْرِ حُزْنًا وَحَسْرَةً فَدَمْعُكَ يُنْبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفُ

قَالَ آخَرُ :

إِلَهَ الْخَلْقِ قَدْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي فَسَامِحْ مَا لِعَفْوِكَ مِنْ مُشَارِكْ

أَجِرْ يَا سَيِّدِي عَبْدًا فَقِيرًا أَنَاخَ بِبَابِكَ الْعَالِي وَدَارِكْ

قَالَ غَيْرُهُ :

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللهَ أَسْأَلُ عَفْوَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَعْفُو وَيَغْفِرُ
لَئِنْ أَعْظَمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللهِ تَصْغُرُ

١٣ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْخَطِيبِ مُسْتَغْفِرًا :

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمْنُنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالِافْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنِ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يُمْنَعُ
حَاشَا لِجُودِكَ أَنْ يُقَنِّطَ عَاصِيًا أَلْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

١٤ قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يُخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ عَيْبُهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهْوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
فَيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ
فَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا يَصُدُّ ذَوُو الْقُرْبَى وَيَجْفُو الْمُؤَالِفُ
لَئِنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي أُرَجِّي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفُ

١٥ مِنَ التَّلْوِيحَاتِ عَنْ أَفْلَاطُونَ الْإِلٰهِيِّ أَنَّهُ قَالَ : رُبَّمَا خَلَوْتُ بِنَفْسِي كَثِيرًا عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ . وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْمُجَرَّدَةِ عَنِ الْمَادِّيَّاتِ . وَخَلَعْتُ بَدَنِي جَانِبًا وَصِرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِلَا بَدَنٍ عَارٍ عَنِ الْمَلَابِسِ الطَّبِيعِيَّةِ . فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَعْقِلُ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ فِيمَا عَدَاهَا وَخَارِجًا عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ . فَحِينَئِذٍ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ وَالسَّنَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْمَحَاسِنِ الْغَرِيبَةِ الْعَجِيبَةِ الْأَنِيقَةِ مَا أَبْقَى مَعَهُ مُتَعَجِّبًا حَيْرَانًا بَاهِتًا . فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ . وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَّالَةٍ . ثُمَّ تَرَقَّيْتُ بِذِهْنِي مِنْ ذٰلِكَ الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْإِلٰهِيَّةِ وَالْحَضْرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ . فَصِرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ النُّورِيَّةِ . فَأَرَى كَأَنِّي وَاقِفٌ فِي ذٰلِكَ الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْبَهَاءِ وَالنُّورِ مَا لَا تَقْدِرُ الْأَلْسُنُ عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَبُولِ نَقْشِهِ . فَإِذَا اسْتَغْرَقَنِي ذٰلِكَ الشَّأْنُ وَقَلَبَنِي ذٰلِكَ النُّورُ وَالْبَهَاءُ وَلَمْ أَقْوَ عَلَى احْتِمَالِهِ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى عَالَمِ الْفِكْرَةِ . فَحِينَئِذٍ حَجَبَتِ الْفِكْرَةُ عَنِّي ذٰلِكَ النُّورَ فَأَبْقَى مُتَعَجِّبًا أَنِّي كَيْفَ انْحَدَرْتُ مِنْ ذٰلِكَ الْعَالَمِ . وَعَجِبْتُ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مُمْتَلِئَةً نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا . فَعِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطْرِيُوس حَيْثُ أَمَرَنَا بِالطَّلَبِ وَالْبَحْثِ عَنْ جَوْهَرِ النَّفْسِ الشَّرِيفِ وَالِارْتِقَاءِ إِلَى الْعَالَمِ الْعَقْلِيِّ

(لبهاء الدين)

أَلْبَابُ ٱلثَّانِي
فِي ٱلزُّهْدِ

في الخوف

١٦ قَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُخْلِصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ ٱلْجَنَّةِ فِي ٱلْجَنَّةِ فَاكِهِينَ . وَأَهْلَ ٱلنَّارِ فِي ٱلنَّارِ مُعَذَّبِينَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً . لِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . أَمَّا بِٱللَّيْلِ فَصَفُّوا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يَجْأَرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ : رَبَّنَا رَبَّنَا . يَطْلُبُونَ فِكَاكَ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا بِٱلنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ حُلَمَاءُ بَرَرَةٌ أَتْقِيَاءُ كَأَنَّهُمُ ٱلْقِدَاحُ (أَلْقِدَاحُ ٱلسِّهَامُ يُرِيدُ فِي صُمْرَتِهَا) . يَنْظُرُ إِلَيْهَا ٱلنَّاظِرُ فَيَقُولُ : مَرْضَى وَمَا بِٱلْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ . (وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ) فِي مَجْلِسِ ٱلزُّهْدِ إِنَّ لِلهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ مِثَالًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَعُوا ٱلْأَسْبَابَ ٱلْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عَلَائِقِ ٱلدُّنْيَا . فَهُمْ أَنْصَاءُ عِبَادَتِهِ . حُلَفَاءُ طَاعَتِهِ . قَدْ نَضَحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَٱفْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ فِي مَحَارِيبِهِمْ . يُنَاجُونَ ذَا ٱلْكِبْرِيَاءِ وَٱلْعَظَمَةِ فِي فِكَاكِ رِقَابِهِمْ

زهد النعمان بن امرئ القيس

١٧ إِنَّ ٱلنُّعْمَانَ بْنَ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ ٱلْأَكْبَرِ ٱلَّذِي بَنَى ٱلْخَوَرْنَقَ وَٱلسَّدِيرَ أَشْرَفَ عَلَى ٱلْخَوَرْنَقِ يَوْمًا فَأَعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلسَّعَةِ وَنُفُوذِ

ٱلْأَمْرِ وَإِقْبَالِ ٱلْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُ . فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ أَصْحَابِهِ : هٰذَا ٱلَّذِي أُوتِيتَ شَيْءٌ لَمْ يَزُلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ . قَالَ : بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ : فَسُرِرْتَ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ . قَالَ : فَأَيْنَ ٱلْمَهْرَبُ . قَالَ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ ٱللهِ أَوْ تَلْبَسَ أَمْسَاحًا وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَفِرَّ مِنَ ٱلنَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجَلُكَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ فَمَا لِي . قَالَ : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ . وَشَبَابٌ لَا يَهْرَمُ . وَصِحَّةٌ لَا تَسْقَمُ . وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَفْنَى وَٱللهِ لَأَطْلُبَنَّ عَيْشًا لَا يَزُولُ أَبَدًا . فَٱنْخَلَعَ مِنْ مُلْكِهِ وَلَبِسَ ٱلْأَمْسَاحَ وَسَاحَ فِي ٱلْأَرْضِ . وَتَبِعَهُ ٱلْحَكِيمُ وَجَعَلَا يَسِيحَانِ وَيَعْبُدَانِ ٱللهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتَا . وَفِيهِ يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرْ رَبَّ ٱلْخَوَرْنَقِ إِذْ أَشْـ ... ـرَفَ يَوْمًا وَٱلْهُدَى تَفْكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْـ ... ـلِكُ وَٱلْبَحْرُ مُعْرِضًا وَٱلسَّدِيرُ
فَأَرْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا غِبْـ ... ـطَةُ حَيٍّ إِلَى ٱلْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ ٱلْفَلَاحِ وَٱلْمُلْكِ وَٱلنِّعْـ ... ـمَةِ وَارَتْهُمُ هُنَاكَ ٱلْقُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ ... فَأَلْوَتْ بِهِ ٱلصَّبَا وَٱلدَّبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

١٨ رُوِيَ أَنَّ ٱلنُّعْمَانَ بْنَ ٱلْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَصَيِّدًا وَمَعَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

فمرّا بشجرة . فقال عديّ بن زيد : أيها الملك أتدري ما تقول هذه الشجرة . قال : لا . قال : فإنها تقول :

من رآنا فليحدّث نفسه ... أنه موف على قرب زوال
فصروف الدهر لا تبقى لها ... ولما تأتي به صمّ الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليها قدم ... وجياد الخيل تجري بالجلال
عمروا الدهر بعيش حسن ... أمنوا دهرهم غير وجال
عصف الدهر بهم فانقرضوا ... وكذاك الدهر حالا بعد حال

قال) ثم جاوزا الشجرة فمرّا بمقبرة . فقال له عديّ : أتدري ما تقول هذه المقبرة . قال : لا . قال : فإنها تقول :

أيها الركب المخبو ... ن على الأرض المجدّونا
كما أنتم كذا كنّا ... وكما نحن تكونونا

فقال النعمان : قد علمت أن الشجرة والمقبرة لا تتكلمان . وقد علمت أنك إنما أردت عظتي فجزاك الله عني خيرا فما السبيل الذي تدركه به النجاة . قال : دع عبادة الأوثان واعبد الله وحده . قال : وفي هذا النجاة . قال : نعم . قال فتترك عبادة الأوثان وتنصرّ حينئذ وأخذ في العبادة والاجتهاد

(للطرطوشي)

ذلّة الدنيا وزوالها

١٩ (من المنهج) أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع . وإن

الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع . ألا وإن اليوم المضمار . وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار . أفلا تائب من خطيئته . قبل منيته . ألا عامل لنفسه . قبل يوم بؤسه . ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل . فمن عمل في أيام أمله . قبل حضور أجله . نفعه عمله . ولم يضره أجله . ومن قصّر في أيام عمله قبل حضور أجله . فقد خسر عمله . وضرّ أجله . ألا فاعملوا في الرغبة . كما تعملون في الرهبة . ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها . ولا كالنار خام هاربها . ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضرّه الباطل . ومن لا يستقيم به الهدى . يجذبه الضلال إلى الردى . ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن وديلتم على الزاد . وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . تزوّدوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا

٢٠ (عن نوف البكالي) قال : رأيت أمير المؤمنين عليا كرّم الله وجهه ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر إلى النجوم فقال : يا نوف أراقد أنت أم رامق . قلت : بل رامق يا أمير المؤمنين . قال : يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والدين شعارا والدعاء دثارا . ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح

(لبهاء الدين)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قال الشيخ عمر : مررت براهب وهو في صومعته فجرى بيني

وَبَيْنَهُ مُؤَانَسَةٌ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . فَقَالَ : أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَلَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ وَصْفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْعُقُولُ لُجَّ رَحْمَتِهِ . لَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا نَتَقَلَّبُ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ . وَرَعَتْ بِهَا الْأَسْمَاعُ . وَنَطَقَتْ بِهَا الْأَلْسُنُ . وَسَكَنَتْ بِهَا الْعُرُوقُ وَامْتَزَجَتْ بِهَا الطَّبَائِعُ . فَقُلْتُ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . فَقَالَ : خَوْفُ اللهِ . فَقُلْتُ : وَمَا أَكْمَلُ الْعَقْلِ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ انْقِضَاءَ أَمَلِكَ . فَقُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هٰذِهِ الصَّوْمَعَةِ . فَقَالَ : لِأَحْبِسَ هٰذَا السَّبُعَ عَنِ النَّاسِ (وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ : مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَالَ : مِنْ تَدْبِيرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينِ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتُخَالِطُنَا . فَقَالَ : لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُوبِقَةَ بِأَسْرِهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذٰلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . فَقَالَ : لَوْ ذُقْتَ حَلَاوَةَ الْوَحْدَةِ لَاسْتَوْحَشْتَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَبِسْتَ السَّوَادَ . فَقَالَ : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَأْتَمٍ وَأَهْلُهَا فِي حِدَادٍ . وَإِذَا حَزِنْتُ لَبِسْتُ السَّوَادَ . فَقُلْتُ : كَيْفَ تَذْكُرُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : مَا أَطْرِفُ طَرْفَةَ عَيْنٍ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي مُتُّ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ عَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمْرَانِ

إِلَى الْخَرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . فَقَالَ : أَبْلَغُ الْعِظَاتِ النَّظَرُ إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْآجَالَاتِ . وَإِنْ شَيَّعْتَ جَنَازَةً فَكُنْ كَأَنَّكَ الْمَحْمُولُ مِثْلَ ذٰلِكَ . وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يُنْسَاكَ . وَأَحْسِنْ سَرِيرَتَكَ . يُحْسِنِ اللهُ عَلَانِيَتَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللهَ أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَاطْلُبِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِتُبَاهِيَ أَوْ تُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ . وَإِيَّاكَ وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَهْلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِمَّنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيَتَجَنَّبُهَا وَيَذُمُّ السَّيِّئَاتِ فَيَرْتَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ الْمُسْكِرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتَهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تُجَالِسْ مَنْ يُشْغِلُكَ بِالْكَلَامِ وَيُزَيِّنُ لَكَ الْخَطَأَ وَيُوقِعُكَ فِي هٰذِهِ الْغُمُومِ . وَيَتَبَرَّأُ مِنْكَ وَيَنْقَلِبُ عَلَيْكَ . وَلَا تَتَشَبَّهْ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْعُظَمَاءِ وَلَا فِي مَشْيِكَ بِالْجَبَابِرَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ شَرُّهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللهُ ابْتَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . وَإِذَا اعْتَلَلْتَ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ الضَّغَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ . وَانْظُرْ مَا اسْتَحْسَنْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَامْتَثِلْهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَتَجَنَّبْهُ . وَارْضَ لِلنَّاسِ مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ الْوِصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا . وَقَالَ : إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ لِلّٰهِ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى صَلَاتِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِلٰهَنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَأْتِي مَلَكُوتُكَ . لِتَكُنْ

مَشِيئَتُكَ فِي السَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى الْأَرْضِ . ارْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمًا بِيَوْمٍ . اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَآثَامَنَا . وَلَا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلِّصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ لِنُسَبِّحَكَ وَنُقَدِّسَكَ وَنُمَجِّدَكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ أَيْضًا : اللّٰهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَعَظَمَتِكَ . اللّٰهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا . فَصُنْعُكَ أَفْضَلُ مِنْ آمَالِنَا . اللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنَعْمَائِكَ حَتَّى تَشْتَغِلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْتَلِئَ قُلُوبُنَا . اللّٰهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَنْ نَحْذَرَ مِنْ سُخْطِكَ وَنَبْتَغِيَ طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . اللّٰهُمَّ وَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا نَفُوزُ بِهِ مِنْ مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ الْعِزُّ وَالسُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ . قَالَ الشَّيْخُ : فَاسْتَحْسَنْتُ ذٰلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُوَ لَنَا وَانْصَرَفْتُ وَأَنَا مُتَعَجِّبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ

٢٢ قَالَ قُثَمُ الزَّاهِدُ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ . فَقُلْتُ لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ احْتَوَشَتْهُ السِّبَاعُ فَهُوَ خَائِفٌ مَذْعُورٌ يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَتَفْتَرِسَهُ أَوْ يَلْهُوَ فَتَنْهَشَهُ . فَلَيْلُهُ لَيْلُ مَخَافَةٍ إِذَا أَمِنَ فِيهِ الْمُغْتَرُّونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حُزْنٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ الْبَطَّالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى وَتَرَكَنِي فَقُلْتُ : زِدْنِي . فَقَالَ : إِنَّ الظَّمْآنَ يَقْنَعُ بِيَسِيرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنَّ الْحَاسَّةَ الْجَلِيدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مَوْقُوفَةً بِرَمَدٍ وَنَحْوِهِ فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنَ الْأَشِعَّةِ الْفَائِضَةِ مِنَ الشَّمْسِ . كَذٰلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مَوْقُوفَةً بِالْهَوَى وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَالِاخْتِلَاطِ بِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ مَحْجُوبَةٌ عَنْ ذَوْقِ اللَّذَّاتِ الْإِنْسِيَّةِ . وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

ذَا مُرْتَفِعٌ ذَا مُنْتَصِبٌ ذَا مُنْخَفِضٌ ذَا مُنْخَزِمُ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا وُجِدُوا لَا يَعْتَبِرُونَ لِمَا عُدِمُوا
أَهْوَاءُ نُفُوسِهِمِ عَبَدُوا وَالنَّفْسُ لِعَابِدِهَا صَنَمُ

(لبهاء الدين)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحِمْيَرِيُّ :

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَلِلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالدِّينِ أَعْجَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ هٰذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذَيْنِ أَخْيَبُ

٢٤ قَالَ الْحَسَنُ : ابْنَ آدَمَ أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَّاتِهَا بِمَا يَنْقَضِي . وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمِنْ مُلْكِهَا بِمَا يَنْفَدُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ الْأَوْزَارَ وَلِأَهْلِكَ الْأَمْوَالَ . فَإِذَا مُتَّ حَمَلَتْ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَتَرَكْتَ أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَبَقِيتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِيَ مَا أَبْقَى لَكَ الْمَالُ
أَلْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسُرُّهُمُ فَكَيْفَ بَعْدَهُمُ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلُّوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ الْقِيلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالُ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةُ أَيْكَةٍ إِذَا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الْآمَالُ إِلَّا فَجَائِعٌ عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَّاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخَّنَتْ بِالْأَمْسِ عَيْنًا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عُيُونًا دَمْعُهَا الْآنَ سَاكِبُ
فَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَنْفَدُ عَذَابُهَا

٢٧ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْبُلَغَاءِ: اَلدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَلَتْ. وَإِنْ أَدْبَرَتْ بَرَتْ. أَوْ أَطْنَبَتْ نَبَتْ. أَوْ أَرْكَبَتْ كَبَتْ. أَوْ أَبْهَجَتْ هَجَتْ. أَوْ أَسْعَفَتْ عَفَتْ. أَوْ أَيْنَعَتْ نَعَتْ. أَوْ أَكْرَمَتْ رَمَتْ. أَوْ عَاوَنَتْ وَنَتْ. أَوْ مَاجَنَتْ جَنَتْ. أَوْ سَامَحَتْ مَحَتْ. أَوْ صَالَحَتْ لَحَتْ. أَوْ وَصَلَتْ صَلَتْ. أَوْ بَالَغَتْ لَغَتْ. أَوْ وَفَرَتْ فَرَتْ. أَوْ زَوَّجَتْ وَجَتْ. أَوْ نَوَّهَتْ وَهَتْ. أَوْ وَلَهَتْ لَهَتْ. أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لبهاء الدين)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

ذَهَبَ الَّذِينَ عَلَيْهِمِ وَجْدِي ... وَبَقِيتُ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَحْدِي
مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ ... شِبْرَانِ فَهُوَ بِغَايَةِ الْبُعْدِ
لَوْ بُعْثِرَتْ لِلْخَلْقِ أَطْبَاقُ الثَّرَى ... لَمْ يُعْرَفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ
مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ ... يَطَأُ التُّرَابَ بِنَاعِمِ الْخَدِّ

٢٨ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هٰذِهِ الْأَبْيَاتَ:

أَمَا وَاللهِ إِنَّ الظُّلْمَ شُومُ ... وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظَّلُومُ
إِلَى الدَّيَّانِ يَوْمَ الدِّينِ نَمْضِي ... وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا الْتَقَيْنَا ... غَدًا عِنْدَ الْمَلِيكِ مَنِ الظَّلُومُ
سَتَنْقَطِعُ اللَّذَاذَةُ عَنْ أُنَاسٍ ... مِنَ الدُّنْيَا وَتَقْطَعُ الْهُمُومُ
لِأَمْرٍ مَا تَصَرَّفَتِ اللَّيَالِي ... لِأَمْرٍ مَا تَحَرَّكَتِ النُّجُومُ
سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أُمَمٍ تَقَضَّتْ ... سَتُخْبِرُكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

وَقَالَ ابْنُ عِمْرَانَ:

أُفٍّ لِدُنْيَا قَدْ شُغِفْنَا بِهَا ... جَهْلًا وَعَقْلًا لِلْهَوَى مُتَّبِعْ
فَتَّانَةٌ تَخْدَعُ طُلَّابَهَا ... فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَنْخَدِعْ
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ ... أَوْ كَوَمِيضِ الْبَرْقِ مَهْمَا لَمَعْ

٢٥ (مِنْ خُطْبَةٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ خَلْفُ مَاضِينَ وَبَقِيَّةُ الْمُتَقَدِّمِينَ. كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بَسْطَةً وَأَعْظَمَ سَطْوَةً. أَزْعَجُوا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا فَغَدَرَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا. فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةٌ عَشِيرَةٍ وَلَا قُبِلَ مِنْهُمْ بَذْلُ فِدْيَةٍ. فَارْحَلُوا نُفُوسَكُمْ بِزَادٍ مُبَلِّغٍ قَبْلَ أَنْ تُؤْخَذُوا عَلَى فَجْأَةٍ. فَقَدْ غَفَلْتُمْ عَنِ الِاسْتِعْدَادِ وَجَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا. وَمَهِّدُوا لَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبُوا. وَتَزَوَّدُوا لِلرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تُزْعَجُوا. فَإِنَّمَا هُوَ مَوْقِفُ عَدْلٍ وَقَضَاءُ حَقٍّ. وَلَقَدْ أَبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ. مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنْذَارِ

٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) اَلدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ. وَمَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَعَنَاءٍ. قَدْ نُزِعَتْ مِنْهَا نُفُوسُ السُّعَدَاءِ. وَانْتُزِعَتْ بِالْكُرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ. فَأَسْعَدُ النَّاسِ فِيهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا. وَأَشْقَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا هِيَ الْغَاشَّةُ لِمَنِ ائْتَصَحَهَا وَالْمُغْوِيَةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا. وَالْهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا. طُوبَى لِعَبْدٍ اتَّقَى فِيهَا رَبَّهُ وَنَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَأَخَّرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفِظَهُ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ. فَيُصْبِحَ فِي دِمَنِ غُبْرَاءَ. مُدْلَهِمَّةٍ ظَلْمَاءَ. لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزِيدَ فِي حَسَنَةٍ. وَلَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ. ثُمَّ يُنْشَرُ فَيُحْشَرُ إِمَّا إِلَى

تَرُومُ ٱلْخُلْدَ فِي دَارِ ٱلْمَنَايَا فَكَمْ قَدْ رَامَ مِثْلَكَ مَا تَرُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ ٱلْمَنَايَا تَنَبَّهْ لِلْمَنِيَّةِ يَا نَؤُومُ
لَهَوْتَ عَنِ ٱلْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا يَدُومُ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ لِحُرِّ ٱلرَّجَاءِ وَنَارِ ٱلْأَمَلْ
يُؤَمِّلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُنُوُّ ٱلْأَجَلْ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هٰذَا غَدًا وَدُونَ غَدٍ لِلْمَنَايَا عَمَلْ

قَالَ آخَرُ:

عَجِبْتُ لِمَفْتُونٍ يُخَلِّفُ بَعْدَهُ لِوَارِثِهِ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
حَوَوْا مَالَهُ ثُمَّ ٱسْتَهَلُّوا لِقَبْرِهِ بِبَادِي بُكَاءٍ تَحْتَهُ ضَحِكُ ٱلْقَلْبِ

قَالَ غَيْرُهُ:

وَٱللهِ لَوْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبْقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدَا
مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حُرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهْيَ مَتَاعٌ يَضْمَحِلُّ غَدَا

قَالَ آخَرُ:

إِنَّمَا هٰذِهِ ٱلْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَٱلْفُضُولُ ٱلْفُضُولُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَٱلْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ وَلَكَ ٱلسَّاعَةُ ٱلَّتِي أَنْتَ فِيهَا

٢٩ أَوْرَدَ ٱبْنُ خِلِّكَانَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ٱلْخَازِنِ:

عَنَتِ ٱلدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَٱسْتَرَاحَ ٱلزَّاهِدُ ٱلْقَطِنُ
كُلُّ مُلْكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفَنُ

يَقْتَنِي مَالًا وَيَتْرُكُهُ فِي كِلَا ٱلْحَالَيْنِ مُفْتَتِنُ
أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ ٱللهِ مُرْتَهَنُ
أَكْرَهُ ٱلدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَٱلَّذِي تَنْحُو بِهِ وَسَنُ
لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَاذَا ٱلْهَمُّ وَٱلْحَزَنُ

وَأَنْشَدَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ:

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى ٱلْمُلُوكِ أَنُوشِرْ وَانُ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو ٱلْأَصْفَرِ ٱلْكِرَامُ مُلُوكُ ٱلرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
وَأَخُو ٱلْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دِجْـ ـلَةُ تُجْبَى إِلَيْهِ وَٱلْخَابُورُ
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْـ ـسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ فَبَادَ ٱلْـ ـمُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ

قَالَ غَيْرُهُ:

تَأَمَّلْ فِي ٱلْوُجُودِ بِعَيْنِ فِكْرٍ تَرَى ٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةَ كَٱلْخَيَالِ
وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَالِ

قَالَ آخَرُ:

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَٱنْظُرْ مَا ذَاكَ ٱلشَّيْئَانِ
مَا فَاتَ مِنْهَا فَحُلْمٌ وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِي

٣٠ إِسْتَنْشَدَ ٱلْمُتَوَكِّلُ أَبَا ٱلْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ: إِنِّي لَقَلِيلُ ٱلرِّوَايَةِ فِي ٱلشِّعْرِ. فَقَالَ: لَا بُدَّ. فَأَنْشَدَهُ:

بَاتُوا عَلَى قُلَلِ ٱلْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غُلْبُ ٱلرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعْهُمُ ٱلْقُلَلُ

وَأَسْتُ تَزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَعَاقِلِهِمْ ... فَأُودِعُوا حُفَرًا يَا بِئْسَ مَا نَزَلُوا

نَادَاهُمُ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا ... أَيْنَ الْأَسِرَّةُ وَالتِّيجَانُ وَالْحُلَلُ

أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنَعَّمَةً ... مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكِلَلُ

فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَلَهُمْ ... تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَتِلُ

قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا ... فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا

وَطَالَمَا كَثَّرُوا الْأَمْوَالَ وَادَّخَرُوا ... فَخَلَّفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَارْتَحَلُوا

وَطَالَمَا شَيَّدُوا دُورًا لِتُحْصِنَهُمْ ... فَفَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَانْتَقَلُوا

أَضْحَتْ مَسَاكِنُهُمْ وَحْشًا مُعَطَّلَةً ... وَسَاكَنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا

سَلِ الْخَلِيفَةَ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتُهُ ... أَيْنَ الْجُنُودُ وَأَيْنَ الْخَيْلُ وَالْخَوَلُ

أَيْنَ الْكُنُوزُ الَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحُهَا ... تَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ الْمُقْوِينَ لَوْ حَمَلُوا

أَيْنَ الْعَبِيدُ الْأُلَى أَرْصَدْتَهُمْ عُدَدًا ... أَيْنَ الْعَدِيدُ وَأَيْنَ الْبِيضُ وَالْأَسَلُ

أَيْنَ الْفَوَارِسُ وَالْغِلْمَانُ مَا صَنَعُوا ... أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْخَطِّيَّةُ الذُّبُلُ

أَيْنَ الْكُفَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ ... لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيعًا وَهْوَ يَبْتَهِلُ

أَيْنَ الْكُمَاةُ أَمَا حَامُوا أَمَا غَضِبُوا ... أَيْنَ الْحُمَاةُ الَّتِي تُحْمَى بِهَا الدُّوَلُ

أَيْنَ الرُّمَاةُ أَلَمْ تَمْنَعْ بِأَسْهُمِهِمْ ... لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَنْتَضِلُ

هَيْهَاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا ... عَنْكَ الْمَنِيَّةَ إِذْ وَافَى بِهَا الْأَجَلُ

وَلَا الرُّشَى دَفَعَتْهَا صَاحِ لَوْ بَذَلُوا ... وَلَا الرُّقَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا الْحِيَلُ

مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبُهُمْ ... بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَا بِئْسَ مَا فَعَلُوا

مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ ... وَلَا يَطُوفُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلُ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَحْشًا لَا أَنِيسَ بِهِ ... يَغْشَاكَ مِنْ كَنَفَيْهِ الرَّوْعُ وَالْوَهَلُ

مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطَّرَحًا ... وَكُلُّهُمْ بِاقْتِسَامِ الْمَالِ قَدْ شُغِلُوا

لَا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ ... إِلَّا أَنَاخَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْوَجَلُ

وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا ... وَرُوحُهُ بِحِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ

وَجِسْمُهُ لِلْبَانَاتِ الرَّدَى غَرَضٌ ... وَمُلْكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ

(وتُروى هذه القصيدة في ديوان عليّ بن ابي طالب)

حفظ الحواس

٣١ قَالَ الْمُعَلَّى الصُّوفِيُّ: شَكَوْتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَّادِ فَسَادًا أَجِدُهُ فِي قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَاقَتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: احْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْقَعَتَاكَ فِي مَكْرُوهٍ. وَإِنْ مَلَكْتَهُمَا مَلَكْتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ. (قَالَ) مُسْلِمٌ الْخَوَّاصُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصُّوفِيِّ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ. وَإِيثَارِ مَا يَجِبُ عَلَى مَحَبَّتِكَ. وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرْفُكَ وَشَوَّقَكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَاكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ حَتَّى تَبْلُغَ بِهَا مَا يُطَالِبَانِكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكْتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِيَ لَهُمَا إِلَى مَا أَرَدْتَ. فَلَمْ يَعْصِيَا لَكَ أَمْرًا وَلَا يَرُدَّا لَكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ): إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ الْجَوَارِحِ تَنْقَادُ لَهُ وَكُلُّ الْحَوَاسِّ تُطِيعُهُ وَهُوَ مُدَبِّرُهَا وَمُصَرِّفُهَا وَقَائِدُهَا وَسَائِقُهَا وَبِإِرَادَتِهِ تَنْبَعِثُ وَفِي طَاعَتِهِ تَتَقَلَّبُ. وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ. وَعَاضِدُهُ

ٱلْفَهْمُ . وَرَائِدُهُ ٱلْعَيْنَانِ . وَطَلِيعَتُهُ ٱلْأُذُنَانِ . وَهُمَا فِي ٱلنَّقْلِ سَوَاءٌ لَا يَكْتُمَانِهِ أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحوادثه

٣٢ لَقِيَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ٱلدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ ٱلْأَبْدَانَ وَيُجَدِّدُ ٱلْآمَالَ وَيُقَرِّبُ ٱلْمَنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ ٱلْأُمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ . قَالَ : مَنْ ظَفِرَ مِنْهُمْ لَغِبَ . وَمَنْ فَاتَهُ نَصِبَ . قَالَ : فَمَا يُغْنِي عَنْهُ . قَالَ : قَطْعُ ٱلرَّجَاءِ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ ٱلْأَصْحَابِ أَبَرُّ وَأَوْفَى . قَالَ : ٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ وَٱلتَّقْوَى . قَالَ أَيُّهُمْ أَضَرُّ وَأَرْدَى . قَالَ : ٱلنَّفْسُ وَٱلْهَوَى . قَالَ : فَأَيْنَ ٱلْمَخْرَجُ . قَالَ : سُلُوكُ ٱلْمَنْهَجِ (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أُفٍّ لِلدَّهْرِ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْيَبَ رَاجِيَهُ ، وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلَيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ ٱلدَّهْرِ فِي ٱلْأَخْذِ أَسْرَعُ مِنْ يَمِينِهِ فِي ٱلْبَذْلِ . لَا يُعْطِي بِهَذِهِ إِلَّا ٱرْتَجَعَ بِتِلْكَ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلدَّهْرُ لَا يُؤْمَنُ يَوْمُهُ . وَيُخَافُ غَدُهُ . يُرْضِعُ ثَدْيَهُ وَتَجْرَحُ يَدُهُ . وَقِيلَ : ٱلدَّهْرُ يَغُرُّ وَيَمُرُّ . وَيَسُوءُ مِنْ حَيْثُ يَسُرُّ . وَقَالَ آخَرُ ٱلدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي فِيهِ ٱلْمَوَاهِبُ حَتَّى تَتَخَلَّلَهَا ٱلْمَصَائِبُ . وَلَا تَصْفُو فِيهِ ٱلْمَشَارِبُ حَتَّى تُكَدِّرَهَا ٱلشَّوَائِبُ . (وَفِي فَصْلِ ٱبْنِ ٱلْمُعْتَزِّ) : هَذَا زَمَانٌ مُتَلَوِّنُ ٱلْأَخْلَاقِ مُتَدَاعِي ٱلْبُنْيَانِ . مُوقِظُ ٱلشَّرِّ مُنِيمُ ٱلْخَيْرِ . مُطْلِقُ أَعِنَّةِ ٱلظُّلْمِ . حَابِسُ رُوحِ ٱلْعَدْلِ . قَرِيبُ ٱلْأَخْذِ مِنَ ٱلْإِعْطَاءِ وَٱلْكَآبَةِ مِنَ ٱلْبَهْجَةِ وَٱلْقُطُوبِ مِنَ ٱلْبِشْرِ . مُرُّ ٱلثَّمَرَةِ بَعِيدُ ٱلْمُجْتَنَى . قَابِضٌ عَلَى ٱلنُّفُوسِ

بِكُرْبَتِهِ . مُنِيخٌ عَلَى ٱلْأَجْسَامِ بِوَحْشَتِهِ . لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِٱلشَّكْوَى . وَلَا يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَصَصٍ وَبَلْوَى . (وَمِثْلُهُ فَصْلٌ لِلصَّاحِبِ) : ٱلزَّمَانُ حَدِيدُ ٱلظُّفْرِ . لَئِيمُ ٱلظَّفَرِ . حُلْوُ ٱلْمَوْرِدِ مُرُّ ٱلْمَصْدَرِ . أَثَرُهُ عِنْدَ ٱلْمَرْءِ كَأَثَرِ ٱلسَّيْفِ فِي ٱلضَّرِيبَةِ وَٱللَّيْثِ فِي ٱلْفَرِيسَةِ . (وَلِشَمْسِ ٱلْمَعَالِي قَابُوسَ) : ٱلدَّهْرُ شَرٌّ كُلُّهُ . مُفَصَّلُهُ وَمُجْمَلُهُ . إِنْ أَضْحَكَ سَاعَةً أَبْكَى سَنَةً . وَإِنْ أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَعَلَهَا سُنَّةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ ٱلْأَعْمَى عَيْنًا بَصِيرَةً . وَمَنِ ٱبْتَغَى مِنْهُ ٱلرِّعَايَةَ . ٱبْتَغَى مِنَ ٱلْغُولِ ٱلْهِدَايَةَ

(طرائف اللطائف للمقدسي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالَمَا طَالَ حِرْصُ ٱلنَّاسِ فِي حَذَرٍ ... عَلَى ٱلْحَيَاةِ فَضَاعَ ٱلْحِرْصُ وَٱلْحَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ ٱلدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا ... نِعْمَ ٱلْغُصُونُ وَلَكِنْ بِئْسَمَا ٱلثَّمَرُ

قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ ... بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْآفَاتِ مَقْصُودُ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ ٱلْآفَاتِ أَجْمَعِهَا ... فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ ٱلْأَمْرِ مَحْصُودُ

قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ فَجَائِعَ ٱلدَّهْرِ :

وَأَصْبَحْتُ كَٱلْبَازِي ٱلْمُثَقَّفِ رِيشُهُ ... يَرَى حَسَرَاتٍ كُلَّمَا طَارَ طَائِرُ
يَرَى خُرَّقَاتِ ٱلْجَوِّ يَخْرُقْنَ فِي ٱلْهَوَا ... فَيَذْكُرُ رِيشًا مِنْ جَنَاحَيْهِ وَافِرُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي ٱلرِّيَاضِ مُنَعَّمًا ... عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ ٱلصَّيْدِ قَادِرُ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ ٱلدَّهْرِ نَكْبَةٌ ... فَأَصْبَحَ مَقْصُوصَ ٱلْجَنَاحَيْنِ خَاسِرُ

قَالَ غَيْرُهُ:

فِي الدَّهْرِ تَحَيَّرَتِ الْأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهُمْ أَلَمُ
بِعَجَائِبِهِ وَمَصَائِبِهِ أَمْوَاجُ زَوَاخِرَ تَلْتَطِمُ
وَالْعُمْرُ يَسِيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فَلَيْسَ تَقِرُّ لَهُ قَدَمُ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِهِمَا فَضُحًى وَدُجًى ضَوْءٌ ظُلَمُ
وَالنَّاسُ بِحُلْمِ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ الْحُلُمُ
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ بُهْمٌ نَعَمٌ قُسِمَتْ لَهُمُ نِعَمُ
فُرِقُوا فِرَقًا فَرَقُوا فُرَقًا وَمَضَوْا طُرُقًا لَا تَلْتَئِمُ

قَالَ آخَرُ:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سُلَّمٌ فَبِقَدْرِ مَا يَكُونُ صُعُودُ الْمَرْءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
وَهَيْهَاتُ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا شُرُوطُ الَّذِي يَرْقَى إِلَيْهِ سُقُوطُهُ
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمًا وَفَاءً بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذكر الموت

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ:

نَسِيرُ إِلَى الْآجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
بِنَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصِّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَاعِلُ
تَرَحَّلْ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ:

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَّا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا هُنَاكَ بِمَا عَلَيَّا
كَأَنَّ الْبَاكِيَاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرْنَ مَنِيَّتِي فَنَعَيْنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدْ أَخَيَّكَ يَا أُخَيَّا

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ:

أَتَلْهُو بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَزِيرٍ وَأَنْتَ مِنَ الْهَلَاكِ عَلَى شَفِيرِ
فَيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرِ
أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
سَتُسْلَبُ كُلَّ مَا جَمَّعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةٍ تُرَدُّ إِلَى الْمُعِيرِ

٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ لِسَانِ مَيِّتٍ:

ضَعُوا خَدِّي عَلَى لَحْدِي ضَعُوهُ وَمِنْ عَفَرِ التُّرَابِ فَوَسِّدُوهُ
وَشُقُّوا عَنْهُ أَكْفَانًا رِقَاقًا وَفِي الرَّمْسِ الْبَعِيدِ فَغَيِّبُوهُ
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَضَّتْ صَبِيحَةُ ثَالِثٍ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَلَوْ سَالَتْ نَوَاظِرُ مُقْلَتَيْهِ عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
وَقَدْ نَادَى الْبِلَى هَذَا فُلَانٌ هَلُمُّوا فَانْظُرُوا هَلْ تَعْرِفُوهُ
خَلِيلُكُمُ وَجَارُكُمُ الْمُفَدَّى تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَنَسِيتُمُوهُ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْكِنُهُ وَالْبَعْثَ مَخْرَجُهُ

وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَّاتٍ سَتُبْهِجُهُ ... يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَوْ نَارٍ سَتُنْضِجُهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى ٱلتَّقْوَى بِهِ سَمِجٌ ... وَمَا أَقَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ أَسْمَجُهُ
تَرَى ٱلَّذِي ٱتَّخَذَ ٱلدُّنْيَا لَهُ سَكَنًا ... لَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلْمَنَايَا سَوْفَ تُزْعِجُهُ

وَقَالَ آخَرُ مُتَشَوِّقًا إِلَى ٱلْمَوْتِ:

جَزَى ٱللهُ عَنَّا ٱلْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ ... أَبَرُّ بِنَا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَرْأَفُ
يُعَجِّلُ تَخْلِيصَ ٱلنُّفُوسِ مِنَ ٱلْأَذَى ... وَيُدْنِي مِنَ ٱلدَّارِ ٱلَّتِي هِيَ أَشْرَفُ

وَقَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعِيشَ فَإِنَّنِي ... أَصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ فَأُعْتَقَا
فِي ٱلْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَا ... عُرِفَتْ لَكَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يُعْشَقَا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَا لِي مَرَرْتُ عَلَى ٱلْقُبُورِ مُسَلِّمًا ... عَلَى ٱلرَّمِيمِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِي
يَا صَاحِ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيًا ... أَنُكِرْتَ بَعْدِيَ خُلَّةَ ٱلْأَصْحَابِ
قَالَ ٱلرَّمِيمُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ ... وَأَنَا رَهِينُ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
أَكَلَ ٱلتُّرَابُ مَحَاسِنِي فَنَسِيتُكُمْ ... وَحُجِبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَحْبَابِي

٣٦ وَقَالَ آخَرُ:

إِسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَٱسْعَيْ ... لِنَجَاةٍ فَٱلْحَازِمُ ٱلْمُسْتَعِدُّ
قَدْ تَبَيَّنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ خُلُودٌ وَمَا مِنَ ٱلْمَوْتِ بُدُّ
إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْ ... فَ تَرُدِّينَ وَٱلْعَوَارِي تُرَدُّ
أَنْتِ تَسْهِينَ وَٱلْحَوَادِثُ لَا تَسْـ ... ـهُو وَتَلْهِينَ وَٱلْمَنَايَا تَجِدُّ

أَيُّ مُلْكٍ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ أَيُّ حَظٍّ ... لِٱمْرِئٍ حَظُّهُ مِنَ ٱلْأَرْضِ لَحْدُ
لَا تُرَجِّ ٱلْبَقَاءَ فِي مَعْدِنِ ٱلْمَوْ ... تِ وَدَارٍ حُتُوفُهَا لَكَ وِرْدُ

التوبة الى الله

٣٧ قَالَ غَيْرُهُ:

سَلَوْتُ عَنِ ٱلْأَحِبَّةِ وَٱلْمُدَامِ ... وَمِلْتُ عَنِ ٱلتَّهَتُّكِ وَٱلْهُيَامِ
وَسَلَّمْتُ ٱلْأُمُورَ إِلَى إِلٰهِي ... وَوَدَّعْتُ ٱلْغَوَايَةَ بِٱلسَّلَامِ
وَمِلْتُ إِلَى ٱكْتِسَابِ ثَوَابِ رَبِّي ... وَقَدْمًا طَالَ عَزْمِي بِٱلْغَرَامِ
وَمَا أَنَا بَعْدَهَا مُعْطِي عِنَانِي ٱلْهَوَى لٰكِنْ تُرَى بِيَدِي زِمَامِي
أَبَعْدَ ٱلشَّيْبِ وَهْوَ أَخُو سُكُونٍ ... يَلِيقُ بِأَنْ أَمِيلَ إِلَى ٱلْغَرَامِ
فَشُرْبُ ٱلرَّاحِ نَقْصٌ بَعْدَ هٰذَا ... وَلَوْ مِنْ رَاحَتَيْ بَدْرُ ٱلتِّمَامِ
فَكَمْ أَجْرَيْتُ فِي مَيْدَانِ لَهْوٍ ... خُيُولَ هَوًى وَكَمْ ضُرِبَتْ خِيَامِي
سَأُوتِي ٱلْكَأْسَ تَعْبِيسًا وَصَدًّا ... وَإِنْ جَاءَتْ تُقَابِلُ بِٱبْتِسَامِ
عَزَمْتُ عَلَى ٱلرُّجُوعِ عَنِ ٱلْمَنَاهِي ... وَمِثْلِي مَنْ يَدُومُ عَلَى ٱعْتِزَامِ

٣٨ صَعِدَ ٱلْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ٱلْمِنْبَرَ فَخَطَبَ ٱلْقَوْمَ بِٱلشِّعْرِ فَقَالَ:

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَلِيِّ ٱلْحَمْدِ ... أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَٱلْجَهْدِ
مَنْ يُطِعِ ٱللهَ فَقَدْ أَصَابَا ... أَوْ يَعْصِهِ أَوِ ٱلضَّمِيرَ خَابَا
كَأَنَّهُ لَمَّا بَقِيَ لَدَيْكُمْ ... حَيٌّ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزِلُّوا ... عَنْ قَصْدِهِ أَوْ نَهْجِهِ تَضِلُّوا
لَا تَتْرُكُنْ نُصْحِي فَإِنِّي نَاصِحُ ... إِنَّ ٱلطَّرِيقَ فَٱعْلَمُنَّ وَاضِحُ

مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجِدْ غِبَّ التُّقَى ... يَوْمَ الْحِسَابِ صَائِرًا إِلَى الْهُدَى
إِنَّ التُّقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلْ ... أَرَى جِمَاعَ الْبِرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلْ
خَافُوا الْجَحِيمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ ... يَوْمَ اللِّقَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمُ ... فَانْتَفِعُوا بِذَاكَ إِنْ عَقَلْتُمُ
مَا يَزْرَعِ الزَّارِعُ يَوْمًا يَحْصُدُهْ ... وَمَا يُقَدِّمْ مِنْ صَلَاحٍ يَحْمَدُهْ
فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا ... فَالْمَوْتُ مِنْكُمْ فَاعْلَمُوا قَرِيبُ

(الأغاني)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ:

حَتَّامَ أَنْتَ بِمَا يُلْهِيكَ مُشْتَغِلُ ... عَنْ نُجْحِ قَصْدِكَ مِنْ خَمْرِ الْهَوَى ثَمِلُ
تَمْضِي مِنَ الدَّهْرِ بِالْعَيْشِ الذَّمِيمِ إِلَى ... كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يُغْرِي بِكَ الْأَمَلُ
وَتَدَّعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً ... وَأَنْتَ مُنْقَطِعٌ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
فَانْهَضْ إِلَى ذُرْوَةِ الْعَلْيَاءِ مُبْتَدِرًا ... عَزْمًا لِتَرْقَى مَكَانًا دُونَهُ زُحَلُ
فَإِنْ ظَفِرْتَ فَقَدْ جَاوَزْتَ مَكْرُمَةً ... بَقَاؤُهَا بِبَقَاءِ اللهِ مُتَّصِلُ
وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِ وَجْدًا فَأَحْسَنُ مَا ... يُقَالُ عَنْكَ قَضَى مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ

٤٠ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ:

أَلَا يَا خَائِضًا بَحْرَ الْأَمَانِي ... هَدَاكَ اللهُ مَا هٰذَا التَّوَانِي
أَضَعْتَ الْعُمْرَ عِصْيَانًا وَجَهْلًا ... فَمَهْلًا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَهْلَا
مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلْ ... وَفِي ثَوْبِ الْعَمَى وَالْغَيِّ رَافِلْ
إِلَى كَمْ كَالْبَهَائِمِ أَنْتَ هَائِمْ ... وَفِي وَقْتِ الْغَنَائِمِ أَنْتَ نَائِمْ

وَطَرْفُكَ لَا يُرَى إِلَّا طَمُوحَا ... وَنَفْسُكَ لَمْ تَزَلْ أَبَدًا جَمُوحَا
وَقَلْبُكَ لَا يُفِيقُ عَنِ الْمَعَاصِي ... فَوَيْلَكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
بِلَالُ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَفَارِقْ ... بِحَيَّ عَلَى الذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقْ
بِبَحْرِ الْإِثْمِ لَا تُصْغِي لِوَاعِظْ ... وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْنَبَ فِي الْمَوَاعِظْ
وَقَلْبُكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادِ ... وَجَهْلُكَ كُلَّ يَوْمٍ فِي ازْدِيَادِ
عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ الدَّنِيَّهْ ... مُجِدًّا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْعَشِيَّهْ
وَجُهْدُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدُ ... وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
وَكَيْفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامَهْ ... وَلَمْ يَجْهَدْ لِمَطْلَبِهَا قَلَامَهْ

٤١ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ:

نَزَلَ الْمَشِيبُ وَإِنَّهُ ... فِي مَفْرِقِي لَأَعَزُّ نَازِلْ
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَا ... بُ فَآهِ آهِ عَلَيْهِ رَاحِلْ
بِاللهِ قُلْ لِي يَا فُلَا ... نُ وَلِي أَقُولُ وَلِي أُسَائِلْ
أَتُرِيدُ فِي السَّبْعِينَ مَا ... قَدْ كُنْتَ فِي الْعِشْرِينَ فَاعِلْ
هَيْهَاتِ لَا وَاللهِ مَا ... هٰذَا الْحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِلْ
قَدْ كُنْتَ تُعْذَرُ بِالصِّبَا ... وَالْيَوْمَ ذَاكَ الْعُذْرُ زَائِلْ
مَنَّيْتَ نَفْسَكَ بَاطِلًا ... وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلْ
قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ الَّذِي ... تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحٍ مَرَاحِلْ
ضَيَّعْتَ ذَا الزَّمَنَ الطَّوِيلَ ... وَلَمْ تَفُزْ فِيهِ بِطَائِلْ

البابُ الثالثُ
في المراثي

رثاء داود الطائي

٤٢ لمَّا ماتَ داودُ الطائيُّ تكلَّمَ ابنُ السمَّاكِ مثنيًا عليهِ فقالَ : إنَّ داودَ نظرَ إلى ما بينَ يديهِ منْ آخرتهِ فأغشى بصرُ القلبِ بصرَ العينِ فكأنَّهُ لمْ ينظرْ إلى ما إليهِ تنظرونَ . وكأنَّكمْ لمْ تنظروا إلى ما إليهِ نظرَ . وأنتمْ منهُ تعجبونَ وهوَ منكمْ يعجبُ . فلمَّا رآكمْ مفتونينَ مغرورينَ قدْ أذهلتِ الدُّنيا عقولَكمْ وأماتتْ بحبِّها قلوبَكمْ استوحشَ منكمْ . فكنتَ إذا نظرتَ إليهِ حسبتهُ حيًّا وسطَ أمواتٍ . يا داودُ ما أعجبَ شأنكَ بينَ أهلِ زمانكَ أهنتَ نفسكَ وإنَّما تريدُ إكرامَها وأتعبتَها وإنَّما تريدُ راحتَها . أخشنتَ المطعمَ وإنَّما تريدُ طيِّبهُ . وخشنتَ الملبسَ وإنَّما تريدُ ليِّنهُ . ثمَّ أمتَّ نفسكَ قبلَ أنْ تموتَ وقبرتَها قبلَ أنْ تقبرَ . وعذَّبتَها قبلَ أنْ تعذَّبَ سجنتَ نفسكَ في بيتكَ ولا محدِّثَ لها لولا جليسٌ معها . ولا فراشَ تحتكَ ولا سترَ على بابكَ . ولا قلَّةَ تبرِّدُ فيها ماءكَ . ولا صحفةَ يكونُ فيها غداؤكَ وعشاؤكَ . يا داودُ ما تشتهي منَ الماءِ باردهُ ولا منَ الطعامِ طيِّبهُ ولا منَ اللباسِ ليِّنهُ بلى ولكنْ زهدتَ فيهِ لما بينَ يديكَ . فما أصغرَ ما بذلتَ وما أحقرَ ما تركتَ في جنبِ ما رغبتَ وأمَّلتَ . لمْ تقبلْ منَ الناسِ عطيَّةً ولا من

الإخوانِ هديَّةً فلمَّا متَّ شهرَكَ ربُّكَ بفضلكَ وألبسكَ ردَاءَ عملكَ . فلوْ رأيتَ منْ حضرَكَ علمتَ أنَّ ربَّكَ قدْ أكرمَكَ (لابن عبد ربّه)

رثاء الاسكندر

٤٣ مختارٌ منْ قولِ الحكماءِ عندَ وفاةِ الإسكندرِ لمَّا جُعلَ في تابوتٍ منْ ذهبٍ تقدَّمَ إليهِ أحدهُمْ فقالَ : كانَ الملكُ يخبأُ الذهبَ وقدْ صارَ الآنَ الذهبُ يخبأُهُ . وتقدَّمَ إليهِ آخرُ فقالَ : قدْ طافَ الأرضينَ وتملَّكَها ثمَّ جُعلَ منها في أربعِ أذرعٍ . (ووقفَ عليهِ آخرُ) فقالَ : انظرْ إلى حلمِ النائمِ كيفَ انقضى إلى ظلِّ الغمامِ وقدِ انجلى . (ووقفَ عليهِ آخرُ) فقالَ : ما لكَ لا تقلُّ عضوًا منْ أعضائكَ وقدْ كنتَ تستقلُّ ملكَ العبادِ . (وقالَ آخرُ) : ما لكَ لا ترغبُ بنفسكَ عنْ ضيقِ المكانِ وقدْ كنتَ ترغبُ بها عنْ رحبِ البلادِ (وقالَ آخرُ) : أماتَ هذا الميتُ كثيرًا منَ الناسِ لئلَّا يموتَ وقدْ ماتَ الآنَ . (وقالَ آخرُ :) ما كانَ أقبحَ إفراطَكَ في التجبُّرِ أمسِ معَ شدَّةِ خضوعكَ اليومَ . (قالتْ بنتُ دارا) : ما علمتُ أنَّ غالبَ أبي يُغلبُ . (وقالَ رئيسُ الطبَّاخينَ) : قدْ نضدتُ النضائدَ وألقيتُ الوسائدَ ونصبتُ الموائدَ ولستُ أرى عميدَ المجلسِ (للقيرواني)

٤٤ قالَ ابنُ عبدِ ربِّهِ يرثي ولدَهُ يحيى :

واكبدا قدْ تقطَّعتْ كبدي ... قدْ حرَّقتْها لواعجُ الكمدِ
ما ماتَ حيٌّ لميِّتٍ أسفًا ... أعذرَ منْ والدٍ على ولدِ

يَا رَحْمَةَ اللهِ جَاوِرِي جَدَثًا ... دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي

وَنَوِّرِي ظُلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى ... مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدِ

مَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ ... وَطَيِّبَ الرُّوحِ طَاهِرَ الْجَسَدِ

يَا مَوْتُ يَحْيَى لَقَدْ ذَهَبْتَ بِهِ ... لَيْسَ بِزُمَّيْلَةٍ وَلَا نَكِدِ

يَا مَوْتَهُ لَوْ أَقَلْتَ عَثْرَتَهُ ... يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكْتَهُ لِغَدِ

يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ ... لَكَانَ لَا شَكَّ بَيْضَةَ الْبَلَدِ

أَوْ كُنْتَ رَاخَيْتَ فِي الْعِنَانِ لَهُ ... حَازَ الْعُلَى وَاحْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ

أَيُّ حُسَامٍ سَلَبْتَ رَوْنَقَهُ ... وَأَيَّ رُوحٍ سَلَلْتَ مِنْ جَسَدِ

وَأَيِّ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمٍ ... وَأَيِّ كَفٍّ أَزَلْتَ مِنْ عَضُدِ

يَا قَمَرًا أَجْحَفَ الْخُسُوفُ بِهِ ... قَبْلَ بُلُوغِ السَّوَاءِ فِي الْعَدَدِ

أَيُّ حَشًا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسَفًا ... وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجُدِ

لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلَدٌ ... فُجِعْتَ يَا صَبْرُ فِيهِ وَالْجَلَدِ

لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا ... لَحُقَّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي

يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَاعِجُهَا ... يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَبِدِي

٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا فَارَقَ السُّكَنَا ... وَلَا امْتَلَا فَرَحًا إِلَّا امْتَلَا حَزَنَا

لِهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ السُّرُورُ بِهِ ... لَوْ كَانَ حَيًّا لَأَحْيَا الدِّينَ وَالسُّنَنَا

إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحَزَنَا ... وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحَزَنَا

يَا سَيِّدِي وَمُرَاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي ... هَلَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى يَمُرَّ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... لَحْدٌ وَيُلْبِسَنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنَا

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنٌ ... أَسْتَوْدِعُ اللهَ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا

لَوْ كُنْتُ أُعْطَى بِهِ الدُّنْيَا مُعَاوَضَةً ... مِنْهُ لَمَا كَانَتِ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنَا

٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِئٍ فِي الْأَمِينِ:

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ... وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاشِرُ

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتَ وَحْدَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أُحَاذِرُ

لَئِنْ عَمَرَتْ دُورٌ بِمَنْ لَا أُحِبُّهُ ... لَقَدْ عَمَرَتْ مِمَّنْ أُحِبُّ الْمَقَابِرُ

وَمَاتَ ابْنٌ لِأَعْرَابِيٍّ فَاشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُكَنَّى بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَعْظَمَ لِثَوَابِكَ. فَقَالَ:

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ عَبَأَتْ حَنُوطَهُ ... بِيَدِي وَفَارَقَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ

كَيْفَ السُّلُوُّ وَكَيْفَ أَنْسَى ذِكْرَهُ ... وَإِذَا دُعِيتُ فَإِنَّمَا أُدْعَى بِهِ

وَقَالَ آخَرُ يَرْثِي أَخَاهُ:

أَخٌ طَالَمَا سَرَّنِي ذِكْرُهُ ... فَقَدْ صِرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ

وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ ... فَقَدْ صِرْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ

٤٧ قَالَتِ الْخَنْسَاءُ تَرْثِي أَخَاهَا:

أَعَيْنَيَّ جُودَا وَلَا تَجْمُدَا ... أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى

أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيءَ الْجَوَادَ ... أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا

طَوِيلَ النِّجَادِ رَفِيعَ الْعِمَا ... دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

يُحَمِّلُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ ... وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا

جُمُوعُ الضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا

وَقَالَتْ أُخْتُ الْوَلِيدِ بْنِ طَرِيفٍ تَرْثِي أَخَاهَا الْمَذْكُورَ:

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

فَتًى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنًا وَسُيُوفِ

فَقَدْنَاهُ فِقْدَانَ الرَّبِيعِ فَلَيْتَنَا فَدَيْنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِأُلُوفِ

خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفِ

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ وَقْفًا فَإِنَّنِي أَرَى الْمَوْتَ وَقَّاعًا بِكُلِّ شَرِيفِ

قَالَ ابْنُ مَعْتُوقٍ يَرْثِي الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

حُزْنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَنْقَضِي وَتَصَبُّرِي مِنِّي عَلَيَّ تَعَذُّرَا

وَارَحْمَتَاهُ لِصَارِخَاتٍ حَوْلَهُ تَبْكِي لَهُ وَلِوَجْهِهَا لَنْ تَسْتُرَا

مُلْقًى عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ تَظُنُّهُ دَاوُدَ فِي الْمِحْرَابِ حِينَ تَسَوَّرَا

لَهْفِي عَلَى الْهَاوِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَمَرٌ هَوَى مِنْ أُفْقِهِ فَتَكَوَّرَا

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْبَنَانِ تَقَطَّعَتْ لَوْ أَنَّهَا اتَّصَلَتْ لَكَانَتْ أَبْحُرَا

لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهْوَ مُجَنْدَلٌ عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعَثَّرَا

لَحِقَ الْغُبَارُ جَبِينَهُ وَلَطَالَمَا فِي شَأْوِهِ لَحِقَ الْكِرَامَ وَغَبَّرَا

٤٨ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ:

لَعَمْرُكَ مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ

وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ حُرٍّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ

وَقَالَ الصَّفَدِيُّ:

يَا غَائِبًا فِي الثَّرَى تَبْلَى مَحَاسِنُهُ أَللهُ يُولِيكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانَا

إِنْ كُنْتَ جُرِّعْتَ كَأْسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذُوقُ الْمَوْتَ أَحْيَانَا

رَثَى بَعْضُ الشُّعَرَاءِ الْقَاضِيَ الْبَاقِلَانِيَّ الْبَصْرِيَّ:

أَنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمْشِي الرِّجَالُ بِهِ وَانْظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ الصَّلَفِ

وَانْظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُغْتَمِدًا وَانْظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدَفِ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُوَدِّعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بِغَيْرِ خَلِيلِ

وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَجِيءَ مَنِيَّتِي وَيُفْرَدَ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي

قَالَ آخَرُ يَرْثِي أَخًا اسْمُهُ حَبِيبٌ:

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي حَبِيبٌ رُزِئْتُ ذَوِي الْمَوَدَّةِ أَجْمَعِينَا

وَكَانَ عَلَى الزَّمَانِ أَخِي حَبِيبٌ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينَا

فَإِنْ يَفْرَحْ بِمَصْرَعِهِ الْأَعَادِي فَمَا نُلْفَى لَهُمْ مُتَخَشِّعِينَا

قَالَ إِبْرَاهِيمُ الصُّولِيُّ يَرْثِي ابْنًا لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعْرِعًا:

كُنْتَ السَّوَادَ لِمُقْلَتِي فَبُكَى عَلَيْكَ النَّاظِرُ

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ

٤٩ قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ يَرْثِي عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْمُنَجِّمَ:

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسَلِّمًا وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ

وَلَوِ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ تُرَابَهُ فَلَطَالَمَا عَنِّي حَمَلْتَ نَوَائِبِي

قَالَ الْعُتْبِيُّ فِي ابْنٍ لَهُ تُوُفِّيَ صَغِيرًا:

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَٱلْأَسَى غَيْرُ صَغِيرِ
كَانَ رَيْحَانِي فَأَمْسَى وَهْوَ رَيْحَانُ ٱلْقُبُورِ
غَرَسَتْهُ فِي بَسَاتِينِ ٱلْبِلَى أَيْدِي ٱلدُّهُورِ

قَالَ مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ يَرْثِي أَخَاهُ مَالِكًا:

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ ٱلْقُبُورِ عَلَى ٱلْبُكَا رَفِيقِي لِتَذْرَافِ ٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَافِكِ
فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لِقَبْرٍ ثَوَى بَيْنَ ٱللِّوَى فَٱلدَّكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ ٱلشَّجَا يَبْعَثُ ٱلشَّجَا فَدَعْنِي فَهٰذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

قَالَ آخَرُ:

لِكُلِّ أُنَاسٍ مَقْبَرٌ بِفِنَائِهِمْ فَهُمْ يَنْقُصُونَ وَٱلْقُبُورُ تَزِيدُ
وَمَا إِنْ يَزَالُ رَسْمُ دَارٍ قَدِ ٱخْلَقَتْ وَبَيْتٌ لِمَيْتٍ بِٱلْفَنَاءِ جَدِيدُ
هُمُ جِيرَةُ ٱلْأَحْيَاءِ أَمَّا جِوَارُهُمْ فَدَانٍ وَأَمَّا ٱلْمُلْتَقَى فَبَعِيدُ

٥٠ قَالَ ٱلْعَطَمَّسُ ٱلضَّبِّيُّ:

إِلَى ٱللهِ أَشْكُو لَا إِلَى ٱلنَّاسِ أَنَّنِي أَرَى ٱلْأَرْضَ تَبْقَى وَٱلْأَخِلَّاءُ تَذْهَبُ
أَخِلَّاءَ لَوْ غَيْرُ ٱلْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلٰكِنْ مَا عَلَى ٱلْمَوْتِ مَعْتَبُ

قَالَ آخَرُ:

أَجَارِيَ مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةً إِلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَائِيَا
أَجَارِيَ لَوْ نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ فَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُمَلَّاكَ حِقْبَةً فَحَالَ قَضَاءُ ٱللهِ دُونَ رَجَائِيَا
أَلَا فَلْيَمُتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٥١ قَالَ أَبُو ٱلشَّغْبِ ٱلْعَبْسِيُّ فِي خَالِدٍ ٱلْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ ٱلنَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا أَسِيرُ ثَقِيفٍ عِنْدَهُمْ فِي ٱلسَّلَاسِلِ
لَعَمْرِي لَئِنْ عَمَّرْتُمُ ٱلسِّجْنَ خَالِدًا وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطْأَةَ ٱلْمُتَثَاقِلِ
لَقَدْ كَانَ يَبْنِي ٱلْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ وَيُعْطِي ٱللَّهَى فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
فَإِنْ تَسْجُنُوا ٱلْقَسْرِيَّ لَا تَسْجُنُوا ٱسْمَهُ وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي ٱلْقَبَائِلِ

قَالَتْ صَفِيَّةُ ٱلْبَاهِلِيَّةُ:

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ فِي جُرْثُومَةٍ سَمَقَا حِينًا بِأَحْسَنِ مَا تَسْمُو لَهُ ٱلشَّجَرُ
حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا وَطَابَ فَيْآهُمَا وَٱسْتُنْظِرَ ٱلثَّمَرُ
أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَيْبُ ٱلزَّمَانِ وَمَا يُبْقِي ٱلزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجُمِ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو ٱلدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِهَا ٱلْقَمَرُ

٥٢ وَقَالَ ٱلتَّيْمِيُّ فِي مَنْصُورٍ:

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلَهْفَةٍ مِنْ خَائِفٍ يَبْغِي جِوَارَكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ
أَمَّا ٱلْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسٌ بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَٱلدِّيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ فَٱلنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ
يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ خَيْرًا لِأَنَّكَ بِٱلثَّنَاءِ جَدِيرُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ
فَٱلنَّاسُ مَأْتَمُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ
عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةٍ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشَمُّ كَبِيرُ

(الحماسة لابي تمّام)

أَلْبَابُ الرَّابِعُ
فِي الْحِكَمِ

٥٣ قِيلَ : لَا تَسْتَصْغِرَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ . لِأَنَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدْ وَإِنْ ظَفِرَ بِكَ لَمْ تُعْذَرْ . وَالضَّعِيفُ الْمُحْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ . وَقِيلَ : الْعَدُوُّ الْمُحْتَقَرُ رُبَّمَا اشْتَدَّ . كَالْغُصْنِ النَّضِرِ رُبَّمَا صَارَ شَوْكًا . وَقِيلَ : لَا تَأْمَنَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُورِّطَكَ . فَالرُّمْحُ قَدْ يُقْتَلُ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَانَ وَالزُّجَّ . قَالَ الْمُوسَوِيُّ :

أَلْفِيلُ يَضْجَرُ وَهُوَ أَعْظَمُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبَعُوضِ

٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْقِرِّيَّةِ دَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ وَقَالَ لَهُ : مَا الْكُفْرُ . فَقَالَ : الْبَطَرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ . فَقَالَ : مَا الرِّضَاءُ . فَقَالَ : الْقُنُوعُ بِعَطَاءِ اللهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارِهِ . فَقَالَ : مَا الصَّبْرُ . فَقَالَ : كَظْمُ الْغَيْظِ وَالِاحْتِمَالُ لِمَا لَا يُرَادُ . فَقَالَ : مَا الْحِلْمُ . فَقَالَ : إِظْهَارُ الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَاءِ عِنْدَ الْغَضَبِ . فَقَالَ : مَا الْكَرَمُ . فَقَالَ : حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحُقُوقِ . فَقَالَ : مَا الْحَمِيَّةُ . فَقَالَ : الْوُقُوفُ عَلَى رَأْسِ مَنْ هُوَ دُونَكَ . فَقَالَ : مَا الشَّجَاعَةُ . فَقَالَ : الْحَمْلَةُ فِي وُجُوهِ الْأَعْدَاءِ وَالْكُفَّارِ . وَالثَّبَاتُ فِي مَوْضِعِ الْفِرَارِ . وَإِرْضَاءُ الرِّجَالِ . قَالَ : مَا الْعَدْلُ . قَالَ : تَرْكُ الْمُرَادِ . وَصِحَّةُ السِّيرَةِ وَالِاعْتِقَادِ . فَقَالَ :

مَا الْإِنْصَافُ . قَالَ : الْمُسَاوَاةُ عِنْدَ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ . فَقَالَ : مَا الذُّلُّ . قَالَ : الْمَرَضُ عِنْدَ خُلُوِّ الْيَدِ وَالِانْكِسَارُ مِنْ قِلَّةِ الرِّزْقِ . فَقَالَ : مَا الْحِرْصُ . قَالَ : حِدَّةُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرَّجَاءِ . فَقَالَ : مَا الْأَمَانَةُ . قَالَ : قَضَاءُ الْوَاجِبِ . فَقَالَ : مَا الْخِيَانَةُ . قَالَ : التَّرَاخِي مَعَ الْقُدْرَةِ . فَقَالَ : مَا الْفَهْمُ . قَالَ : التَّفَكُّرُ وَإِدْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (للغزالي)

٥٥ (فَائِدَةٌ جَامِعَةٌ وَلُمْعَةٌ سَاطِعَةٌ وَمَقَالَةٌ نَافِعَةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) قَالَ : لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوِ الْعَفْوِ . يَغْفِرُ زَلَّتَهُ . وَيَرْحَمُ عَبْرَتَهُ . وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ . وَيُقِيلُ عَثْرَتَهُ . وَيَقْبَلُ مَعْذِرَتَهُ . وَيَرُدُّ غِيبَتَهُ . وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ . وَيَحْفَظُ خُلَّتَهُ . وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ . وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ . وَيَشْهَدُ مَيِّتَهُ . وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ . وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُ . وَيُكَافِئُ صِلَتَهُ . وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ . وَيُحْسِنُ نُصْرَتَهُ . وَيَحْفَظُ حُرْمَتَهُ . وَيَقْضِي حَاجَتَهُ . وَيَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ . وَلَا يُخَيِّبُ مَقْصَدَهُ . وَيُشَمِّتُ عَطْسَتَهُ . وَيُرْشِدُ ضَالَّتَهُ . وَيَرُدُّ سَلَامَهُ . وَيُطَيِّبُ كَلَامَهُ . وَيَبَرُّ إِنْعَامَهُ . وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَهُ . وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا بِإِعَانَتِهِ عَلَى وَفَاءِ حَقِّهِ . وَيُوَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ . وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَشْتِمُهُ . وَيُحِبُّ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ . فَلَا يَتْرُكُ وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالَبَهُ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الترغيب للاصبهاني)

٥٦ قَالَ حَكِيمٌ : الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لَعَّانٌ وَلَا نَمَّامٌ . وَلَا مُغْتَابٌ وَلَا فَتَّاتٌ . وَلَا حَسُودٌ وَلَا حَقُودٌ . وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مُخْتَالٌ . يَطْلُبُ

مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ أَعْلَاهَا . وَمِنَ ٱلْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا . إِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ ٱلْآخِرَةِ كَانَ أَوْرَعَهُمْ . غَضِيضُ ٱلطَّرْفِ . سَخِيُّ ٱلْكَفِّ . لَا يَرُدُّ سَائِلًا . وَلَا يَبْخَلُ بِنَائِلٍ . مُتَوَاصِلُ ٱلْأَحْزَانِ . مُتَرَادِفُ ٱلْإِحْسَانِ . يَزِنُ كَلَامَهُ وَيَحْرُسُ لِسَانَهُ . وَيُحْسِنُ عَمَلَهُ وَيُكْثِرُ فِي ٱلْحَقِّ أَمَلَهُ . مُتَأَسِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . كَأَنَّهُ نَاظِرٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ . لَا يَرُدُّ ٱلْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَا يَقْبَلُ ٱلْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ . كَثِيرُ ٱلْمَعُونَةِ قَلِيلُ ٱلْمُؤُونَةِ . يَعْطِفُ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عِثْرَتِهِ لِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ . فَهَذِهِ صِفَاتُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْخَالِصِينَ (للدميري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ ٱلْمُلُوكِ ٱلْجَارِي مَجْرَى ٱلْأَمْثَالِ :) قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا رَغِبَتِ ٱلْمُلُوكُ عَنِ ٱلْعَدْلِ رَغِبَتِ ٱلرَّعِيَّةُ عَنِ ٱلطَّاعَةِ . (أَفْرِدُونُ) ٱلْأَيَّامُ صَحَائِفُ آجَالِكُمْ فَحَلُّوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ . (أَنُوشِرْوَانُ) ٱلْمُلْكُ إِذَا كَثُرَ مَالُهُ مِمَّا يَأْخُذُ مِنْ رَعِيَّتِهِ كَانَ كَمَنْ يَعْمُرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتَلِعُهُ مِنْ قَوَاعِدِ بُنْيَانِهِ . (أَبَرْوِيزُ) أَطِعْ مَنْ فَوْقَكَ يُطِعْكَ مَنْ دُونَكَ . قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ :

كَمْ فُرْصَةٍ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً تُشْجِي بِطُولِ تَلَهُّفٍ وَتَنَدُّمِ

لَمَّا عَزَمَ ٱلْمَنْصُورُ عَلَى ٱلْفَتْكِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَزِعَ مِنْ ذَٰلِكَ عِيسَى بْنُ مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدَبُّرٍ فَإِنَّ فَسَادَ ٱلرَّأْيِ أَنْ تَتَعَجَّلَا

فَأَجَابَهُ ٱلْمَنْصُورُ :

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ ٱلرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا

وَلَا تُمْهِلِ ٱلْأَعْدَاءَ يَوْمًا بِغُدْوَةٍ وَبَادِرْهُمُ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدَا

(ٱلْمُعْتَصِمُ) إِذَا ظَفِرَ ٱلْهَوَى بَطَلَ ٱلرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ ٱلْقِرِّيَّةِ) : ٱلنَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَأَحْمَقُ وَفَاجِرٌ . فَٱلْعَاقِلُ ٱلدِّينُ شَرِيعَتُهُ وَٱلْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَٱلرَّأْيُ ٱلْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ . إِنْ سُئِلَ أَجَابَ . وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ . وَإِنْ سَمِعَ ٱلْعِلْمَ وَعَى . وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى . وَأَمَّا ٱلْأَحْمَقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجِلَ . وَإِنْ حَدَّثَ وَهِلَ . وَإِنِ ٱسْتُنْزِلَ عَنْ رَأْيِهِ نَزَلَ . فَإِنْ حُمِلَ عَلَى ٱلْقَبِيحِ حَمَلَ . وَأَمَّا ٱلْفَاجِرُ فَإِنِ ٱئْتَمَنْتَهُ خَانَكَ . وَإِنْ حَدَّثْتَهُ شَانَكَ . وَإِنْ وَثِقْتَ بِهِ لَمْ يَرْعَكَ . وَإِنِ ٱسْتَكْتَمْتَهُ لَمْ يَكْتُمْ . وَإِنْ عُلِّمَ لَمْ يَعْلَمْ . وَإِنْ حُدِّثَ لَمْ يَفْهَمْ . وَإِنْ فُقِّهَ لَمْ يَفْقَهْ

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحُ مُلْكِكَ وَٱسْتِقَامَةُ رَعِيَّتِكَ . قَالَ : مَا هُنَّ . قَالَ : لَا تَعِدْ عِدَةً لَا تَثِقُ مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا . وَلَا يَغُرَّنَّكَ ٱلْمُرْتَقَى وَإِنْ كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ ٱلْمُنْحَدَرُ وَعْرًا . وَٱعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَٱتَّقِ ٱلْعَوَاقِبَ . وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغَتَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ . قَالَ عِيسَى بْنُ دَاتٍ : فَحَدَّثْتُ بِهٰذَا ٱلْحَدِيثِ ٱلْمَهْدِيَّ وَفِي يَدِهِ لُقْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ . فَأَمْسَكَهَا وَقَالَ : وَيْحَكَ أَعِدْ عَلَيَّ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَسِغْ لُقْمَتَكَ . فَقَالَ : حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ

(للقزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ سُمٌّ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاقُهَا . ٱلدُّنْيَا سُمٌّ قَاتِلٌ

وَالزُّهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَالْمَالُ سُمٌّ قَاتِلٌ وَالزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ سُمٌّ قَاتِلٌ وَذِكْرُ اللهِ دِرْيَاقُهُ . وَمُلْكُ الدُّنْيَا سُمٌّ قَاتِلٌ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ

٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمُومِ وَصَوْمُ الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمُومِ فَهُوَ كَفُّ الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الْهُمُومِ الدَّنِيَّةِ وَالْأَفْكَارِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّهُ عَمَّا سِوَى اللهِ بِالْكُلِّيَّةِ (الكنز المدفون)

٦١ (فَصْلٌ) مِنْ نَوَادِرِ بُزُرْجُمِهْرَ حَكِيمِ الْفُرْسِ (قَالَ) : نَصَحَنِي النُّصَحَاءُ وَوَعَظَنِي الْوُعَّاظُ شَفَقَةً وَنَصِيحَةً وَتَأْدِيبًا فَلَمْ يَعِظْنِي أَحَدٌ مِثْلَ شَيْبِي وَلَا نَصَحَنِي مِثْلُ فِكْرِي . وَلَقَدِ اسْتَضَأْتُ بِنُورِ الشَّمْسِ وَضَوْءِ الْقَمَرِ فَلَمْ أَسْتَضِئْ بِضِيَاءٍ أَضْوَأَ مِنْ نُورِ قَلْبِي . وَمَلَكْتُ الْأَحْرَارَ وَالْعَبِيدَ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا قَهَرَنِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِيَ الْأَعْدَاءُ فَلَمْ أَرَ أَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِلْتُ وَاحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي مِنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً فَوَجَدْتُهَا شَرَّ الْأَنْفُسِ لِنَفْسِهَا . وَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا الْفَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا . وَزَاحَمَتْنِي الْمَضَايِقُ فَلَمْ يَزْحَمْنِي مِثْلُ الْخُلُقِ السَّوْءِ . وَوَقَعْتُ مِنْ أَبْعَدِ الْبُعْدِ وَأَطْوَلِ الطُّولِ فَلَمْ أَقَعْ فِي شَيْءٍ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ وَوَطِئْتُ عَلَى الرَّمْضَاءِ فَلَمْ أَرَ نَارًا أَحَرَّ عَلَيَّ مِنْ غَضَبِي إِذَا تَمَكَّنَ مِنِّي . وَطَالَبَتْنِي الطُّلَّابُ فَلَمْ

يُدْرِكْنِي مُدْرِكٌ مِثْلُ إِسَاءَتِي . وَنَظَرْتُ مَا الدَّاءُ الْقَاتِلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سُبْحَانَهُ . وَالْتَمَسْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَرْوَحَ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَعْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبِحَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوَالَ فَلَمْ أَرَ هَوْلًا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرَ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السُّوءِ . وَعَالَجْتُ السِّبَاعَ وَالضِّبَاعَ وَالذِّئَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرَتْنِي وَغَلَبَتْهَا فَغَلَبَنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ السُّوءِ . وَأَكَلْتُ الطِّيبَ وَشَرِبْتُ الْمُسْكِرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَلَذَّ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنَ الْإِنْسَانِ السُّوءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبِرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا أَمَرَّ مِنَ الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجُيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرَ قِرْنًا أَغْلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السُّوءِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ الصَّخْرَ فَلَمْ أَرَ حِمْلًا أَثْقَلَ مِنَ الدَّيْنِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُذِلُّ الْعَزِيزَ وَيَكْسِرُ الْقَوِيَّ وَيَضَعُ الشَّرِيفَ فَلَمْ أَرَ أَذَلَّ مِنْ ذَوِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرُشِقْتُ بِالنُّشَّابِ وَرُجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرَ أَنْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السُّوءِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِ مُطَالِبٍ بِحَقٍّ . وَعُمِّرْتُ السِّجْنَ وَشُدِدْتُ فِي الْوِثَاقِ وَضُرِبْتُ بِعَمَدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي الْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ . وَاصْطَنَعْتُ الْإِخْوَانَ وَانْتَخَبْتُ الْأَقْوَامَ لِلْعُدَّةِ وَالشِّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا أَخْيَرَ مِنَ الْكَرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغِنَى مِنْ وُجُوهِهِ فَلَمْ أَرَ أَغْنَى مِنَ الْقُنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالذَّخَائِرِ فَلَمْ أَرَ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ ٱلْوَحْدَةَ وَٱلْغُرْبَةَ وَٱلْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرَ أَذَلَّ مِنْ مُقَاسَاةِ ٱلْجَارِ ٱلسَّوْءِ . وَشَيَّدتُ ٱلْبُنْيَانَ لِأَعِزَّ بِهِ وَأَذْكَرَ فَلَمْ أَرَ شَرَفًا أَرْفَعَ مِنِ ٱصْطِنَاعِ ٱلْمَعْرُوفِ . وَلَبِسْتُ ٱلْكُسَى ٱلْفَاخِرَةَ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا مِثْلَ ٱلصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ ٱلْأَشْيَاءِ عِنْدَ ٱلنَّاسِ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ

٦٢ (فَصْلٌ) مِنْ حِكَمِ شَاتَاقَ ٱلْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ ٱلَّذِي سَمَّاهُ مُنْتَخَلَ ٱلْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ٱبْنِ قُمَابِصَ ٱلْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا ٱلْوَالِي ٱتَّقِ عَثَرَاتِ ٱلزَّمَانِ وَٱخْشَ تَسَلُّطَ ٱلْأَيَّامِ وَلُؤْمَ غَلَبَةِ ٱلدَّهْرِ . وَٱعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَٱتَّقِ ٱلْعَوَاقِبَ وَلِلْأَيَّامِ غَدَرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَٱلزَّمَانُ مُتَقَلِّبٌ مُتَحَوِّلٌ فَٱحْذَرْ تَقَلُّبَهُ . لَئِيمُ ٱلْكَرَّةِ فَخِفْ سَطْوَتَهُ . سَرِيعُ ٱلْغِيرَةِ فَلَا تَأْمَنْ دَوْلَتَهُ . وَٱعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يُدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَقَامِ ٱلْآثَامِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ ٱلشِّفَاءِ فِي دَارٍ لَا دَوَاءَ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَذَلَّ حَوَاسَّهُ وَٱسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نُبْلُهُ . وَمَنْ لَمْ يَضْبِطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَّهُ وَهِيَ خَمْسٌ . وَإِذَا لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَّهُ مَعَ قِلَّتِهَا وَذِلَّتِهَا صَعُبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ ٱلْأَعْوَانِ مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَخُشُونَةِ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ ٱلرَّعِيَّةِ فِي نَوَاحِي ٱلْبِلَادِ وَأَطْرَافِ ٱلْمَمْلَكَةِ أَبْعَدَ مِنَ ٱلضَّبْطِ . فَلْيَبْدَإِ ٱلْمَلِكُ بِسُلْطَانِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ عَدُوٍّ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَهُ بِٱلْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ يَشْرَعْ فِي قَهْرِ حَوَاسِّهِ ٱلْخَمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ ٱلْوَاحِدَةِ مِنْهُنَّ دُونَ صَوَيْحِبَاتِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى ٱلنَّفْسِ

ٱلْقَوِيَّةِ ٱلْحَذِرَةِ فَكَيْفَ إِذَا ٱجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا لَيْسَ لِلْأُخْرَى فَٱقْهَرْهَا تَسْلَمْ مِنْ شَرِّهَا . وَإِنَّمَا يَهْلِكُ ٱلْحَيَوَانُ بِٱلشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلْفَرَاشَ يَكْرَهُ ٱلشَّمْسَ فَيَسْتَكِنُّ مِنْ حَرِّهَا وَيُعْجِبُهُ ضِيَاءُ ٱلنَّارِ فَيَدْنُو مِنْهَا فَتُحْرِقُهُ . وَٱلظَّبْيُ عَلَى نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِ يَنْصِبُ لِسَمَاعِ ٱلْمَلَاهِي فَيُمَكِّنُ ٱلْقَانِصَ مِنْ نَفْسِهِ . وَٱلسَّمَكُ فِي ٱلْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ ٱلطُّعْمِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فَتَحْصُلُ ٱلصِّنَّارَةُ فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يَحْسُنُ بِٱلْمَلِكِ أَنْ يُشَبِّهَ تَصَارِيفَ تَدْبِيرِهِ بِطِبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ : ٱلْغَيْثِ وَٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ وَٱلرِّيحِ وَٱلنَّارِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْمَاءِ وَٱلْمَوْتِ . فَأَمَّا شَبَهُ (ٱلْغَيْثِ) فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ ٱلسَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ ٱلسَّنَةِ كَذٰلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا لِتَتِمَّةِ ٱلسَّنَةِ . فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي ٱلْمَطَرُ بَيْنَ كُلِّ أَكَمَةٍ وَشَرَفٍ وَغَائِطٍ مُسْتَفِلٍ . وَيَغْمُرُ كُلًّا مِنْ مَائِهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجْبِي ٱلْمَلِكُ فِي ٱلثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حُقُوقَهُ مِنْ غَلَّاتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجْبِي ٱلشَّمْسُ بُخَارَهَا وَحِدَّةَ فِعْلِهَا نَدَاوَةَ ٱلْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرِ ٱلْإِمْطَارِ . وَأَمَّا شَبَهُ (ٱلرِّيحِ) فَإِنَّ ٱلرِّيحَ لَطِيفَةُ ٱلْمَدَاخِلِ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ ٱلْمَنَافِذِ حَتَّى لَا يَفُوتُهَا مَكَانٌ كَذٰلِكَ ٱلْمَلِكُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَلَّجَ فِي قُلُوبِ ٱلنَّاسِ بِجَوَاسِيسِهِ وَعُيُونِهِ لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتَمِرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

(وكالقمر) إذا استهل تمامه فأضاء واعتدل نوره على الخلق وسر الناس بضوئه. ينبغي أن يكون ببهجته وزينته وإشراقه في مجلسه وإيناسه رعيته ببشره فلا يخص شريفا دون وضيع بعدله. (وكالنار) على أهل الدعارة والفساد. (وكالأرض) على كتمان السر والاحتمال والصبر والأمانة. (وكعاقبة الموت) في الثواب والعقاب يكون ثوابه لا يقصر عن إقامة حد ولا يتجاوزه. (وكالماء) في لينه لمن لانه. وهدمه واقتلاعه عظيم الشجر لمن جاذبه (للطرطوشي)

اشعار حكمية

٦٤ قال ابن عربشاه:

أَلسَّيْلُ يَقْلَعُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ ... بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الصَّخْرُ يَنْفَطِرُ
حَتَّى يُوَافِي عُبَابَ الْبَحْرِ تَنْظُرُهُ ... قَدِ اضْمَحَلَّ فَلَا يَبْقَى لَهُ أَثَرُ

وقال أيضا:

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ ... شَرَارَةٌ فَإِذَا بَادَرْتَهُ خَمَدَا
وَإِنْ تَوَانَيْتَ عَنْ إِطْفَائِهِ كَسَلًا ... أَوْرَى قَبَائِلَ تَشْوِي الْقَلْبَ وَالْكَبِدَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمُ ... لَمَا أَفَادُوكَ فِي إِخْمَادِهَا أَبَدَا

وقال أيضا:

أَرَى النَّاسَ يُولُونَ الْغِنَى كَرَامَةً ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرِفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيَلْوُونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وُجُوهَهُمْ ... وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِإِكْبَارِ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ ... فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارِ

٦٥ قال غيره:

لَا تُعَامِلْ مَا عِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا ... بِالَّذِي أَنْتَ تَرْتَضِيهِ لِنَفْسِكْ
ذَاكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَالْزَمْهُ فِيمَا ... تَبْتَغِيهِ فِي كُلِّ أَبْنَاءِ جِنْسِكْ

قال آخر:

لَا يُعْجِبَنَّكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ ... فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
لَوْ زِيدَتِ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مِئَةً ... مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئًا فِي فَضَائِلِهَا

قال غيره:

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ ... قَوْمٌ هَوَوْا مَعَهُ فَضَاعَ وَضَيَّعَا
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ ... غَرِقَتْ وَيَغْرَقُ كُلُّ مَنْ فِيهَا مَعَا

قال آخر:

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ... فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرِعَا
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ ... فَلَيْسَ يَحْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زَرَعَا

قال أبو أحمد بن ماهان الخزاعي:

إِقْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْ ... تَ وَكُنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارِجْ
فَلَخَيْرُ أَيَّامِ الْفَتَى ... يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجْ

٦٦ قال القطامي الشاعر النصراني:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
وَقَدْ تَفُوتُ عَلَى قَوْمٍ حَوَائِجُهُمْ ... مَعَ التَّرَاخِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجِلُوا

وقال آخر:

وَإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ ... مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ ... وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَاذِرُ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ:

لَأَنْ أُزَجِّيَ عِنْدَ الْعُرْيِ بِالْخَلَقِ ... وَأَجْتَزِيَ مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعَلَقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنَنًا ... مَعْقُودَةً لِلِئَامِ النَّاسِ فِي عُنُقِي
إِنِّي وَإِنْ قَصَرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَتِي ... وَكَانَ مَا لِيَ لَا يَقْوَى عَلَى خُلُقِي
لَتَارِكٌ كُلَّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي ... عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي الْمَنْهَلِ الرَّنِقِ

٦٧ وَقَالَ أَيْضًا:

مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرَّوْحَاتِ وَالدُّلَجَا ... أَبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكَبُ اللُّجَجَا
كَمْ مِنْ فَتًى قَصَرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ ... أَلْقَيْتَهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَالصَّبْرُ يَفْتِقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَتَجَا
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا
قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا ... فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا
وَلَا يَغُرَّنَّكَ صَفْوٌ أَنْتَ شَارِبُهُ ... فَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

٦٨ قَالَ الْمُتَنَبِّي:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

قَالَ آخَرُ:

فَقْرُ الْفَتَى يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ ... كَمَا اصْفِرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبْ
إِنْ غَابَ لَا يُذْكَرُ بَيْنَ الْوَرَى ... وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبْ
يَجُولُ فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَخْفِيًا ... وَفِي الْفَلَا يَبْكِي بِدَمْعٍ صَبِيبْ
وَاللهِ مَا الْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ ... إِذَا بُلِي بِالْفَقْرِ إِلَّا غَرِيبْ

قَالَ نَاهِضُ الْكِلَابِيُّ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْعَ الْقَوْمِ يُخْشَى ... وَأَنَّ حَرِيمَ وَاحِدِهِمْ مُبَاحُ
وَأَنَّ الْقِدْحَ حِينَ يَكُونُ فَرْدًا ... فَيُهْصَرُ لَا يَكُونُ لَهُ افْتِدَاحُ

قَالَ آخَرُ:

مَا مِنَ الْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا ... تَطْلُبُ الْبُعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلِ
فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالشَّيْءِ فَانْظُرْ ... كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجُ بَعْدَ الدُّخُولِ

٦٩ كَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى ابْنِهِ الْحُسَيْنِ:

أَحُسَيْنُ إِنِّي وَاعِظٌ وَمُؤَدِّبٌ ... فَأَفْهَمْ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمُتَأَدِّبُ
وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ ... يَغْذُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلَا تَعْطَبُ
أَبُنَيَّ إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ ... فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
لَا تَجْعَلَنَّ الْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا ... وَتُقَى إِلَهِكَ فَاجْعَلَنْ مَا تَكْسِبُ
كَفَلَ الْإِلَهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ ... وَالْمَالُ عَارِيَةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَفُّتِ نَاظِرٍ ... سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبَّبُ
وَمِنَ السُّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا ... وَالطَّيْرِ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تَصَوَّبُ
أَبُنَيَّ إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظٌ ... فَمِنَ الَّذِي بِعِظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ

وَاعْبُدْ إِلٰهَكَ ذَا ٱلْمَعَارِجِ مُخْلِصًا ... وَٱنْصِتْ إِلَى ٱلْأَمْثَالِ فِيمَا تُضْرَبُ

وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ مَخْشِيَّةٍ ... تَصِفُ ٱلْعَذَابَ فَقِفْ وَدَمْعُكَ يُسْكَبُ

يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ ... لَا تَجْعَلَنِّي فِي ٱلَّذِينَ تُعَذِّبُ

إِنِّي أَبُوءُ بِعَثْرَتِي وَخَطِيئَتِي ... هَرَبًا وَهَلْ إِلَّا إِلَيْكَ ٱلْمَهْرَبُ

وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا ... وَصْفُ ٱلْوَسِيلَةِ وَٱلنَّعِيمِ ٱلْمُعْجِبُ

فَٱسْأَلْ إِلٰهَكَ بِٱلْإِنَابَةِ مُخْلِصًا ... دَارَ ٱلْخُلُودِ سُؤَالَ مَنْ يَتَقَرَّبُ

وَٱجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحُلَّ بِأَرْضِهَا ... وَتَنَالَ مُلْكَ كَرَامَةٍ لَا تُسْلَبُ

بَادِرْ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ ... خَوْفَ ٱلْغَوَالِبِ إِذْ تَجِيءُ وَتَغْلِبُ

وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلضَّعِيفِ وَكُنْ لَهُ ... كَأَبٍ عَلَى أَوْلَادِهِ يَتَحَدَّبُ

وَٱلضَّيْفَ فَأَكْرِمْ مَا ٱسْتَطَعْتَ جِوَارَهُ ... حَتَّى يَعُدَّكَ وَارِثًا يَتَنَسَّبُ

وَٱجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ ... حَفِظَ ٱلْإِخَاءَ وَكَانَ دُونَكَ يَقْرُبُ

وَأَطْلُبْهُمُ طَلَبَ ٱلْمَرِيضِ شِفَاءَهُ ... وَدَعِ ٱلْكَذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يُصْحَبُ

يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ ٱلْمُنَى بِلِسَانِهِ ... وَيَرُوغُ عَنْكَ كَمَا يَرُوغُ ٱلثَّعْلَبُ

وَٱحْذَرْ ذَوِي ٱلْمَلَقِ ٱللَّئَامَ فَإِنَّهُمْ ... فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَحْطِبُ

يَسْعَوْنَ حَوْلَ ٱلْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ ... وَإِذَا نَبَا دَهْرٌ جَفَوْا وَتَغَيَّبُوا

وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي ... وَٱلنُّصْحُ أَرْخَصُ مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

٧٠ وَكَتَبَ لَهُ أَيْضًا:

عَلَيْكَ بِبِرِّ ٱلْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا ... وَبِرِّ ذَوِي ٱلْقُرْبَى وَبِرِّ ٱلْأَبَاعِدِ

فَلَا تَصْحَبَنْ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا ... عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكُفَّ ٱلْأَذَى وَٱحْفَظْ لِسَانَكَ وَٱحْتَرِزْ ... فَدَيْتُكَ مِنْ وِدِّ ٱلْخَلِيلِ ٱلْمُسَاعِدِ

وَنَافِسْ بِبَذْلِ ٱلْمَالِ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى ... بِهِمَّةِ مَحْمُودِ ٱلْخَلَائِقِ مَاجِدِ

وَكُنْ وَاثِقًا بِٱللّٰهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ ... يَصُنْكَ مَدَى ٱلْأَيَّامِ مِنْ عَيْنِ حَاسِدِ

وَبِٱللّٰهِ فَٱسْتَعْصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ ... وَلَا تَكُ فِي ٱلنَّعْمَاءِ عَنْهُ بِجَاحِدِ

وَغُضَّ عَنِ ٱلْمَكْرُوهِ طَرْفَكَ وَٱجْتَنِبْ ... أَذَى ٱلْجَارِ وَٱسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ ٱلْمَحَامِدِ

وَلَا تَبْنِ فِي ٱلدُّنْيَا بِنَاءَ مُؤَمِّلٍ ... خُلُودًا فَمَا حَيٌّ عَلَيْهَا بِخَالِدِ

وَكُلُّ صَدِيقٍ لَيْسَ فِي ٱللّٰهِ وِدُّهُ ... فَنَادِ عَلَيْهِ هَلْ بِهِ مِنْ مُزَايِدِ

٧١ وَقَالَ أَيْضًا:

قَدِّمْ لِنَفْسِكَ فِي ٱلْحَيَاةِ تَزَوُّدًا ... فَلَقَدْ تُفَارِقُهَا وَأَنْتَ مُوَدِّعُ

وَٱهْتَمَّ لِلسَّفَرِ ٱلْقَرِيبِ فَإِنَّهُ ... أَنْأَى مِنَ ٱلسَّفَرِ ٱلْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ

وَٱجْعَلْ تَزَوُّدَكَ ٱلْمَخَافَةَ وَٱلتُّقَى ... فَلَعَلَّ حَتْفَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ

وَٱقْنَعْ بِقُوتِكَ فَٱلْقَنَاعُ هُوَ ٱلْغِنَى ... وَٱلْفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لَا يَقْنَعُ

وَٱحْذَرْ مُصَاحَبَةَ ٱللَّئَامِ فَإِنَّهُمْ ... مَنَعُوكَ صَفْوَ وِدَادِهِمْ وَتَصَنَّعُوا

أَهْلُ ٱلْمَوَدَّةِ مَا أَنِلْتَهُمُ ٱلرِّضَا ... وَإِذَا مَنَعْتَ فَسَمُّهُمْ لَكَ مُنْقَعُ

لَا تُفْشِ سِرًّا مَا ٱسْتَطَعْتَ إِلَى ٱمْرِئٍ ... يُفْشِي إِلَيْكَ سَرَائِرًا يَسْتَوْدِعُ

فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا ... فَكَذَا بِسِرِّكَ لَا مَحَالَةَ يَصْنَعُ

لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ فِي مَجْلِسٍ ... قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ فَإِنَّ ذٰلِكَ يَشْنُعُ

فَٱلصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِٱلْفَتَى ... وَلَعَلَّهُ خَرِقٌ سَفِيهٌ أَرْقَعُ

وَدَعِ ٱلْمِزَاحَ فَرُبَّ لَفْظَةِ مَازِحٍ ... جَلَبَتْ إِلَيْكَ بَلَابِلًا لَا تُدْفَعُ

وَحِفَاظَ جَارٍ لَا تُضِعْهُ فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ الشَّرَفَ الْجَسِيمَ مُضِيعُ
وَإِذَا اسْتَقَالَكَ ذُو الْإِسَاءَةِ عَثْرَةً فَأَقِلْهُ إِنَّ ثَوَابَ ذَلِكَ أَوْسَعُ
وَإِذَا أُؤْتُمِنْتَ عَلَى السَّرَائِرِ فَاخْفِهَا وَاسْتُرْ عُيُوبَ أَخِيكَ حِينَ تَطَّلِعُ
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا خَرَقُ الرِّجَالِ عَلَى الْحَوَادِثِ يَجْزَعُ
وَأَطِعْ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ إِنَّ الْمُطِيعَ أَبَاهُ لَا يَتَضَعْضَعُ

٧٢ وَقَالَ أَيْضًا:

صُنِ النَّفْسَ وَاحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا تَعِشْ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلُ
وَلَا تُرِينَّ النَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلًا نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ
يَعِزُّ غَنِيُّ النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ وَيَغْنَى غَنِيُّ الْمَالِ وَهْوَ ذَلِيلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ
جَوَادٌ إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ وَعِنْدَ احْتِمَالِ الْفَقْرِ عَنْكَ بَخِيلُ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ قَالَ:

أَلْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ وَيَظَلُّ يَرْقَعُ وَالْخُطُوبُ تُمَزِّقُ
وَلَأَنْ يُعَادَى عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحْمَقًا إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدَّقُ
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا يُبْدِي عُقُولَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمَنْطِقُ
وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتُشِيرَ فَيُطْرِقُ

حَتَّى يَحُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ فَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطِقُ
لَا أُلْفِيَنَّكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ إِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ
مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ قَدْ مَاتَ مِنْ عَطَشٍ وَآخَرُ يَغْرَقُ
وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا بِالْجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمُ مَنْ يُرْزَقُ
لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسْبَ عُقُولِهِمْ أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ
لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِيكِ عَلَيْهِمِ هٰذَا عَلَيْهِ مُوَسَّعٌ وَمُضَيَّقُ
وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعَرُوسُ تَلَاقَيَا وَرَأَيْتَ دَمْعَ نَوَائِحٍ يَتَرَقْرَقُ
سَكَتَ الَّذِي تَبِعَ الْعَرُوسَ مُبَهَّتًا وَرَأَيْتَ مَنْ تَبِعَ الْجَنَازَةَ يَنْطِقُ
وَإِذَا امْرُؤٌ لَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً تَرَكَتْهُ حِينَ يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرَقُ
بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا وَمَضَى الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَصْدُقُوا

٧٤ قَالَ دِيزُ بْنُ عَبْدِ اللهِ:

لِكُلِّ ضِيقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَهْ وَالصُّبْحُ وَاللَّيْلُ لَا فَلَاحَ مَعَهْ
مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابُكَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا لِأَمْرِهِ وَزَعَهْ
أَذُودُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي يَا قَوْمُ مَنْ عَاذِرِي مِنَ الْخُدَعَهْ
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ
وَيَقْطَعُ الثَّوْبَ غَيْرُ لَابِسِهِ وَيَلْبَسُ الثَّوْبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهْ
فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهْ
وَصِلْ حِبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلَ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهْ
وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

أَلْبَابُ ٱلْخَامِسُ
فِي ٱلْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكَمِ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ) وَهٰذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجْرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكَمًا لَطِيفَةً وَأَلَّفُوا فِيهَا تَصَانِيفَ. فَمِنْ حِكَمِهِ قَالَ: مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِٱلْمَاءِ. أَفْضَلُ مِنَ ٱلسُّؤَالِ رُكُوبُ ٱلْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ ٱلنَّاسَ بَدَأَ بِمَضَرَّةِ نَفْسِهِ. أَلْعَدِيمُ مَنِ ٱحْتَاجَ إِلَى لَئِيمٍ . مَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُنَالُ . قَدْ يُشْهَرُ ٱلسِّلَاحُ . فِي بَعْضِ ٱلْمِزَاحِ . رُبَّ عِتْقٍ . شَرٌّ مِنْ رِقٍّ . أَنْتَ مُزَرٍّ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ ٱلْجَهُولَ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ ٱلْجُهَّالَ فَلْيَسْتَعِدَّ لِقِيلٍ وَقَالَ . ٱلْمِزَاحُ يُورِثُ ٱلضَّغَائِنَ . غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ ٱلْمَسِيرَ أَدْرَكَ ٱلْمَقِيلَ . جَارُ ٱلرَّجُلِ ٱلْجَوَادِ كَمُجَاوِرِ ٱلْبَحْرِ لَا يَخَافُ ٱلْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ ٱللَّئِيمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ ٱلسَّمَكَ فِي ٱلْمَفَازَةِ . عِدَةُ ٱلْكَرِيمِ نَقْدٌ وَعِدَةُ ٱللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ . ٱلْأَنَامُ فَرَائِسُ ٱلْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ ٱلْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ ٱلْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ نَفْسَهُ . أَذَلَّ فَلْسَهُ . مَنْ سَلَكَ ٱلْجَدَدَ أَمِنَ ٱلْعِثَارَ (للطرطوشي)

نبذ من كلام الزمخشري والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ ٱلسُّمَّ ٱتِّكَالًا عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ ٱلتِّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي ٱلْعَلَانِيَةِ وَيُوَالِيهِ فِي ٱلسِّرِّ . عَادَاتُ ٱلسَّادَاتِ سَادَاتُ ٱلْعَادَاتِ . ٱللُّطْفُ رُشْوَةُ مَنْ لَا رُشْوَةَ لَهُ . مَنْ تَاجَرَ ٱللهَ لَمْ يُوكَسْ بَيْعُهُ . وَلَمْ يُبْخَسْ رَيْعُهُ . أَدْوِيَةُ ٱلدُّنْيَا تَقْصُرُ عَنْ سُمُومِهَا . وَنَسِيمُهَا لَا يَفِي بِسُمُومِهَا . مَنْ زَرَعَ ٱلْإِحَنَ . حَصَدَ ٱلْمِحَنَ . لَا بُدَّ لِلْفَرَسِ مِنْ سَوْطٍ . وَإِنْ كَانَ بَعِيدَ ٱلشَّوْطِ . شُعَاعُ ٱلشَّمْسِ لَا يُخْفَا . وَنُورُ ٱلْحَقِّ لَا يُطْفَى . أَعْمَالُكَ نِيَّتُكَ . إِنْ لَمْ تُضْحِهَا بِنِيَّةٍ . لَا يَجِدُ ٱلْأَحْمَقُ لَذَّةَ ٱلْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ بِٱلْوَرْدِ صَاحِبُ ٱلزُّكْمَةِ . طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمْرِهِ كَفَاتِحَتِهِ . وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَاضِحَتِهِ . أَفْضَلُ مَا ٱدَّخَرَتِ ٱلتَّقْوَى . وَأَجْمَلُ مَا لَبِسَتِ ٱلْوَرَعُ . وَأَحْسَنُ مَا ٱكْتَسَيْتَ ٱلْحَسَنَاتُ . كَفَى بِٱلظَّفَرِ شَفِيعًا بِٱلذَّنْبِ . أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِٱلزِّيَادَةِ فِي ٱلنِّعَمِ أَشْكَرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهْرُ ٱلْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ ٱلْحِقْدِ . قَالَ ٱلْجِدَارُ لِلْوَتِدِ : لِمَ تَشُقُّنِي . قَالَ : سَلْ مَنْ يَدُقُّنِي . مَنْ نَصَرَ ٱلْحَقَّ قَهَرَ ٱلْخَلْقَ . رُبَّمَا كَانَ حَتْفُ ٱمْرِئٍ فِي مَا تَمَنَّى

ما ضُرِبَ به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتِ ٱلْعَرَبُ أَكْثَرُ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةً بِٱلْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ يَذُمُّونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذٰلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ ٱلسِّبَاعِ وَٱلْأَحْنَاشِ وَٱلْحَشَرَاتِ فَٱسْتَعْمَلُوا ٱلتَّمْثِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَشْجَعُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجْبَنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثٍ عِفِرِّينَ . وَأَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ . وَأَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ . وَأَنْوَمُ مِنْ فَهْدٍ . وَأَعَقُّ مِنْ ضَبٍّ . وَأَجْبَنُ مِنْ صِفْرِدٍ . وَأَضْرَعُ مِنْ سِنَوَّرٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبَرُ مِنْ عَوْدٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ . وَأَحَنُّ مِنْ نَابٍ . وَأَكْذَبُ مِنْ فَاخِتَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأَنُوقِ . وَأَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْعَقُوقِ . (الصَّافِرُ الصَّغِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعُودُ الْمُسِنُّ مِنَ الْجِمَالِ . وَالْأَنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ إِنَّهُ يَبِيضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْفَأْرَةُ تَسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَالْفَاخِتَةُ طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطَبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ . وَأَجْوَدُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْمَحُ مِنَ الْبَحْرِ . وَأَنْوَرُ مِنَ النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ رِجْلَةَ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمْيَةٍ . وَأَنْزَهُ مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَآنَسُ مِنْ جَدْوَلٍ . وَأَضْيَقُ مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَازَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنَ الْوَحْيِ فِي الصُّمِّ الصِّلَابِ . وَأَخَفُّ مِنْ رِيشِ الْحَوَاصِلِ (لابن عبد ربّه)

٧٨ أَشْعَارٌ جَارِيَةٌ مَجْرَى الْمَثَلِ وَهِيَ لِشُعَرَاءَ مُخْتَلِفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ ... كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحِ

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً ... أَتَتْهُ الرَّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ

إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ... ضَلَلْتَ وَإِنْ تَقْصِدْ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي ... وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْلِمْ طَبِيبَكَ كُلَّ مَا ... يَسُوؤُكَ أَبْعَدتَ الدَّوَاءَ عَنِ السُّقْمِ

إِنِ اخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي ... فَقِسْ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ

إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ النَّصِيحِ قَبُولُ ... فَإِنَّ مَعَارِيضَ الْكَلَامِ فُضُولُ

أَرَى مَاءً وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ ... وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَصْفِي لِنَفْسِكَ صَاحِبًا ... فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تَصْفِي لَهُ الْوُدَّ أَغْضِبْهُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يُزْرَى بِقَدْرِهِ ... إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا ... فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَظْهَرُ

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

إِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الْخَلَلَا ... جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا ... يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذِّئْبَ وَالضَّبُعَا

تَرَقَّبْ جَزَاءَ الْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا ... وَلَا تَخْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا أَنْتَ لَا تَسِي

أَلْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا ... وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ الْمَطَرُ

ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدْحِ ... وَإِنْ غَدَا أَقْوَمَ مِنْ قِدْحِ

الرَّأْيُ يَصْدَأُ كَالْحُسَامِ لِعَارِضٍ ... يَطْرَا عَلَيْهِ وَصَقْلُهُ التَّذْكِيرُ

سَبَكْنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَيْنًا ... فَأَبْدَى الْكِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

عَفَافُكَ غَيٌّ إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى ... إِذَا عَفَّ مِنْ لَذَّاتِهِ وَهُوَ قَادِرُ

غُلَامٌ أَتَاهُ اللُّؤْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ ... وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أُمٍّ وَلَا أَبِ

وَأَجْبَنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثٍ عِفِرِّينَ . وَأَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ . وَأَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ . وَأَنْوَمُ مِنْ فَهْدٍ . وَأَعَقُّ مِنْ ضَبٍّ . وَأَجْبَنُ مِنْ صِفْرِدٍ . وَأَضْرَعُ مِنْ سِنَوَّرٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبَرُ مِنْ عُودٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ . وَأَحَنُّ مِنْ نَابٍ . وَأَكْذَبُ مِنْ فَاخِتَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأَنُوقِ . وَأَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْعَقُوقِ . (الصَّافِرُ الصَّغِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعُودُ الْمُسِنُّ مِنَ الْجِمَالِ . وَالْأَنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ إِنَّهُ يَبِيضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْفَأْرَةُ تَسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَالْفَاخِتَةُ طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطَبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ . وَأَجْوَدُ مِنَ الدَّيْمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْمَحُ مِنَ الْبَحْرِ . وَأَنْوَرُ مِنَ النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ رِجْلَةَ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمْيَةٍ . وَأَنْزَهُ مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَآنَسُ مِنْ جَدْوَلٍ . وَأَضْيَقُ مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَازَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنَ الْوَحْيِ فِي الصُّمِّ الصِّلَابِ . وَأَخَفُّ مِنْ رِيشِ الْحَوَاصِلِ (لابن عبد ربّه)

٧٨ أَشْعَارُ جَارِيَةٌ مَجْرَى الْمَثَلِ وَهِيَ لِشُعَرَاءَ مُخْتَلِفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ ... كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحِ
إِذَا كَانَ غَيْرُ اللهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً ... أَتَتْهُ الرَّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ... ضَلَلْتَ وَإِنْ تَقْصِدْ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي ... وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ طَبِيبَكَ كُلَّ مَا ... يَسُوؤُكَ أَبْعَدَتَ الدَّوَاءَ عَنِ السُّقْمِ
إِنِ اخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي ... فَقِسْ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ
إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ النَّصِيحِ قَبُولُ ... فَإِنَّ مَعَارِيضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
أَرَى مَاءً وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ ... وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
إِذَا رُمْتَ أَنْ تُصْفِي لِنَفْسِكَ صَاحِبًا ... فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْفِي لَهُ الْوُدَّ أَغْضِبْهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يُزْرَى بِقَدْرِهِ ... إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا ... فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَظْهَرُ
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ
إِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الْخَلَلَا ... جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا ... يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذِّئْبَ وَالضَّبُعَا
تَرَقَّبْ جَزَا الْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا ... وَلَا تَخْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا أَنْتَ لَا تَسِي
أَلْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا ... وَالشَّرُّ يَسْبُقُ سَيْلَهُ الْمَطَرُ
ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدْحِ ... وَإِنْ غَدَا أَقْوَمَ مِنْ قِدْحِ
أَلرَّأْيُ يَصْدَأُ كَالْحُسَامِ لِعَارِضٍ ... يَطْرَا عَلَيْهِ وَصَقْلُهُ التَّذْكِيرُ
سَبَكْنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَيْنًا ... فَأَبْدَى الْكِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ
عَفَافُكَ غَيُّ إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى ... إِذَا عَفَّ مِنْ لَذَّاتِهِ وَهُوَ قَادِرُ
غُلَامٌ أَتَاهُ اللُّؤْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ ... وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أُمٍّ وَلَا أَبِ

فَقَالَ قُمْ قُلْتُ رِجْلِي لَا تُطَاوِعُنِي ... فَقَالَ خُذْ قُلْتُ كَفِّي لَا تُوَاتِينِي

فَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَتَى ... فَمَا كُلُّ مَصْقُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِي

فَالدُّرُّ وَهْوَ أَجَلُّ شَيْءٍ يُقْتَنَى ... مَا حَطَّ قِيمَتَهُ هَوَانُ الْغَائِصِ

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبًا ... فَمَا احْتِيَالُكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا

لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيمًا حُسْنُ بَزَّتِهِ ... وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جَوْدَةُ الْكَفَنِ

لَا تَرْجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ ... فَالْغَيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ الْغَثِّ

لَا تَغُرَّنَّكَ هٰذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُرُّ ... فَيَا رُبَّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ رُطْبًا أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى ... حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

لَا تَحْقِرَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدَهُ ... وَلَرُبَّمَا صَرَعَ الْأُسُودَ الثَّعْلَبُ

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ... وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلَلِ

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا ... أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

مَا لِقَوِيٍّ عَنْ ضَعِيفٍ غِنًى ... لَا بُدَّ لِلسَّهْمِ مِنَ الرِّيشِ

مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أُسُودَ الْغَابِ إِنْ زَأَرَتْ ... فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْحَيِّ إِنْ نَبَحَتْ

لَا يَحْمِلُ الْحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ ... وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبْعُهُ الْغَضَبُ

أَلْمَرْءُ يَحْيَا بِلَا سَاقٍ وَلَا عَضُدٍ ... وَلَا يَعِيشُ بِلَا قَلْبٍ وَلَا أَدَبِ

نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ... تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا

وَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءَ مَنْ دُونَهُ ... كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسَ جِرْمُ الْقَمَرْ

وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ ... حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيرُهَا

وَلَوْ لَبِسَ الْحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍّ ... لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارِ

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ... ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

وَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجِذْعَ مُعْرِضًا ... وَتَعْجَبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَذَى

وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَاعِلُ

وَتَشَتُّتُ الْأَعْدَاءِ فِي آرَائِهِمْ ... سَبَبٌ لِجَمْعِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ

وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يَؤُولُ إِلَى بِلَى ... وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا ... تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

وَمَاذَا أُرَجِّي مِنْ حَيَاةٍ تَكَدَّرَتْ ... وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمِ

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ غَارِسٍ ... وَلَا مِثْلَ حُسْنِ الصَّبْرِ جُبَّةَ لَابِسِ

وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ ... وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

وَنَارٌ إِنْ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ ... وَلٰكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادِ

وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَاحِيًا ... كَمَا خُطَّ فِي الْقِرْطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرِ

وَيُمْكِنُ وَصْلُ الْحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ ... وَلٰكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ الرَّبْطِ

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى الْعُمْرِ مَوْتًا ... فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ

وَإِذَا أَرَادَ اللّٰهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ ... كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارَا

وَمَنْ يَتَشَبَّثْ فِي الْعَدَاوَةِ كَفُّهُ ... بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهْوَ لَا شَكَّ هَالِكُ

يَهْوَى الثَّنَاءَ مُبَرِّزٌ وَمُقَصِّرٌ ... حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ... وَلَوْ ظَفِرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

أَلْبَابُ ٱلسَّادِسُ
فِي أَمْثَالٍ عَنْ أَلْسِنَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ بَازٍ وَدِيكٌ تَنَاظَرَا . فَقَالَ ٱلْبَازِي لِلدِّيكِ : مَا أَعْرِفُ أَقَلَّ وَفَاءً مِنْكَ لِأَصْحَابِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ . قَالَ : تُؤْخَذُ بَيْضَةً وَتَحْضُنُكَ أَهْلُكَ وَتَخْرُجُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فَيُطْعِمُونَكَ بِأَيْدِيهِمْ . حَتَّى إِذَا كَبِرْتَ صِرْتَ لَا يَدْنُو مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا طِرْتَ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا وَصِحْتَ . وَعَلَوْتَ عَلَى حَائِطِ دَارٍ كُنْتَ فِيهَا سِنِينَ فَطِرْتَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَأَمَّا أَنَا فَأُوخَذُ مِنَ ٱلْجِبَالِ وَقَدْ كَبِرَ سِنِّي فَتَخُوطُ عَيْنِي . وَأُطْعَمُ ٱلشَّيْءَ ٱلْيَسِيرَ وَأَسْهَدُ فَأُمْنَعُ مِنَ ٱلنَّوْمِ وَأُنْسَى ٱلْيَوْمَ وَٱلْيَوْمَيْنِ . ثُمَّ أُطْلَقُ عَلَى ٱلصَّيْدِ وَحْدِي فَأَطِيرُ إِلَيْهِ وَآخُذُهُ وَأَجِيءُ بِهِ إِلَى صَاحِبِي . فَقَالَ لَهُ ٱلدِّيكُ : ذَهَبَتْ عَنْكَ ٱلْحُجَّةُ أَمَا لَوْ رَأَيْتَ بَازِيَيْنِ فِي سَفُّودِ ٱلنَّارِ مَا عُدْتَ إِلَيْهِمْ . وَأَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَى ٱلسَّفَافِيدَ مَمْلُوَّةً دُيُوكًا . فَلَا تَكُنْ حَلِيمًا عِنْدَ غَضَبِ غَيْرِكَ

(لبهاء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حُكِيَ أَنَّهُ ٱحْتَمَعَ بُرْغُوثٌ وَبَعُوضَةٌ . فَقَالَتِ ٱلْبَعُوضَةُ لِلْبُرْغُوثِ : إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ . أَنَا أَفْصَحُ مِنْكَ لِسَانًا . وَأَوْضَحُ بَيَانًا . وَأَرْجَحُ مِيزَانًا . وَأَكْبَرُ شَأْنًا . وَأَكْثَرُ طَيَرَانًا . وَمَعَ هٰذَا فَقَدْ أَضَرَّ بِي

ٱلْجُوعُ . وَحَرَمَنِي ٱلْهُجُوعَ . وَلَا أَزَالُ عَلِيلَةً مَجْهُودَةً . مُبْعَدَةً عَنِ ٱلطَّرِيقِ مَطْرُودَةً . وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ . وَفِي نَوَاعِمِ ٱلْأَبْدَانِ تَرْتَعُ . فَقَالَ لَهَا ٱلْبُرْغُوثُ : أَنْتِ بَيْنَ ٱلْعَالَمِ مُطَنْطِنَةٌ . وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ مُدَنْدِنَةٌ . وَأَنَا قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوتِي . بِسَبَبِ سُكُوتِي

اللبوءة والغزال والقرد

٨١ حُكِيَ أَنَّ لَبُوءَةً كَانَتْ سَاكِنَةً بِغَابَةٍ . وَبِجِوَارِهَا غَزَالٌ وَقِرْدٌ قَدْ أَلِفَتْ جِوَارَهُمَا وَٱسْتَحْسَنَتْ عِشْرَتَهُمَا . وَكَانَ لِتِلْكَ ٱللَّبُوءَةِ شِبْلٌ صَغِيرٌ قَدْ شُغِفَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا . وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا . وَكَانَ لِجَارِهَا ٱلْغَزَالِ أَوْلَادٌ صِغَارٌ . وَكَانَتِ ٱللَّبُوءَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَبْتَغِي قُوتًا لِشِبْلِهَا مِنَ ٱلنَّبَاتِ وَصِغَارِ ٱلْحَيَوَانِ . وَكَانَتْ تَمُرُّ فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ ٱلْغَزَالِ . وَهُمْ يَلْعَبُونَ بِبَابِ جُحْرِهِمْ . فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِٱقْتِنَاصِ وَاحِدٍ لِجَعْلِهِ قُوتَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَتَسْتَرِيحَ فِيهِ مِنَ ٱلذَّهَابِ . ثُمَّ أَقْلَعَتْ عَنْ هٰذَا ٱلْعَزْمِ لِحُرْمَةِ ٱلْجِوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا ٱلشَّرَهُ ثَانِيًا مَعَ مَا تَجِدُهُ فِي نَفْسِهَا مِنَ ٱلْقُوَّةِ . وَأَكَّدَ ذٰلِكَ ضَعْفُ ٱلْغَزَالِ وَٱسْتِلَامُهُ لِأَمْرِ ٱللَّبُوءَةِ . فَأَخَذَتْ ظَبْيًا مِنْهُمْ وَمَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ ٱلْغَزَالُ دَاخَلَهُ ٱلْحُزْنُ وَٱلْقَلَقُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِ ذٰلِكَ وَشَكَا لِجَارِهِ ٱلْقِرْدِ . فَقَالَ لَهُ : هَوِّنْ عَلَيْكَ فَلَعَلَّهَا تُقْلِعُ عَنْ هٰذَا وَنَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مُكَاشَفَتَهَا وَلَعَلِّي أَنْ أُذَكِّرَهَا عَاقِبَةَ ٱلْعُدْوَانِ وَحُرْمَةَ ٱلْجِيرَانِ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْغَدُ أَخَذَتْ ظَبْيًا ثَانِيًا فَلَقِيَهَا ٱلْقِرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاهَا وَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَا آمَنُ

عَلَيْكِ عَاقِبَةَ ٱلْبَغْيِ وَإِسَاءَةِ ٱلْجِوَارِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَهَلِ ٱقْتِنَاصِي لِأَوْلَادِ ٱلْغَزَالِ. إِلَّا كَٱقْتِنَاصِي مِنْ أَطْرَافِ ٱلْجِبَالِ. وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوتِي وَقَدْ سَاقَهُ ٱلْقَدَرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي. فَقَالَ لَهَا ٱلْقِرْدُ: هٰكَذَا ٱغْتَرَّ ٱلْفِيلُ بِعَظِيمِ جُثَّتِهِ. وَوُفُورِ قُوَّتِهِ فَبَحَثَ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ. وَأَوْبَقَهُ ٱلْبَغْيُ رَغْمَ أَنْفِهِ. فَقَالَتِ ٱللَّبُوءَةُ: كَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ. قَالَ ٱلْقِرْدُ: ذَكَرُوا أَنَّ قُبَّرَةً كَانَ لَهَا عُشٌّ فَبَاضَتْ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ ٱلْأَرْضِ فِيلٌ وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ. وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ عَلَى عُشِّ ٱلْقُبَّرَةِ. فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبَهُ فَعَمَدَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْعُشِّ وَوَطِئَهُ وَهَشَّمَ رُكْنَهُ. وَأَتْلَفَ ٱلْبَيْضَ وَأَهْلَكَ ٱلْفِرَاخَ. فَلَمَّا نَظَرَتِ ٱلْقُبَّرَةُ إِلَى مَا حَلَّ بِعُشِّهَا سَاءَهَا ذٰلِكَ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ مِنَ ٱلْفِيلِ. فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ بَاكِيَةً وَقَالَتْ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مَا ٱلَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطِئْتَ عُشِّي وَهَشَّمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاخِي وَإِنَّنَا فِي جِوَارِكَ. أَفَعَلْتَ ذٰلِكَ ٱسْتِضْعَافًا بِحَالِي وَقِلَّةَ مُبَالَاةٍ بِأَمْرِي. قَالَ ٱلْفِيلُ: هُوَ كَذٰلِكَ. فَٱنْصَرَفَتِ ٱلْقُبَّرَةُ إِلَى جَمَاعَةِ ٱلطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ ٱلْفِيلِ فَقَالَتْ لَهَا ٱلطُّيُورُ: وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ ٱلْفِيلِ وَنَحْنُ طُيُورٌ. فَقَالَتْ لِلْعَقَاعِقِ وَٱلْغِرْبَانِ: إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِي إِلَيْهِ فَتَفْقَؤُوا عَيْنَيْهِ. فَأَنَا بَعْدَ ذٰلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى. فَأَجَابُوهَا إِلَى ذٰلِكَ وَمَضَوْا إِلَى ٱلْفِيلِ. وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يَتَجَاذَبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَنْقُرُونَ عَيْنَيْهِ إِلَى أَنْ فَقَؤُوهُمَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ. فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذٰلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ ضَفَادِعُ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ ٱلْفِيلِ. فَقَالَتِ ٱلضَّفَادِعُ: مَا حِيلَتُنَا مَعَ ٱلْفِيلِ وَلَسْنَا أَكْفَاءَهُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ. قَالَتِ ٱلْقُبَّرَةُ: أُحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَذْهَبْنَ مَعِي إِلَى وَهْدَةٍ بِٱلْقُرْبِ مِنْهُ فَتَقِفْنَ تَضِجِجْنَ بِهَا. فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُنَّ لَمْ يَشُكَّ أَنَّ بِهَا مَاءً فَيَكُبُّ نَفْسَهُ فِيهَا. فَأَجَابَهَا ٱلضَّفَادِعُ إِلَى ذٰلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْفِيلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ ٱلْحُفْرَةِ تَوَهَّمَ أَنَّ بِهَا مَاءً. وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ ٱلْعَطَشِ فَجَاءَ مُكِبًّا عَلَى طَلَبِ ٱلْمَاءِ فَسَقَطَ فِي ٱلْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا. فَجَاءَتِ ٱلْقُبَّرَةُ تُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْمُغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ ٱلصَّائِلُ عَلَى ضُعْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُثَّتِي. وَبَلَادَةَ فَهْمِكَ مَعَ كِبَرِ جِسْمِكَ. وَكَيْفَ رَأَيْتَ عَاقِبَةَ ٱلْبَغْيِ وَٱلْعُدْوَانِ. وَمُسَالَمَةَ ٱلزَّمَانِ. فَلَمْ يَجِدِ ٱلْفِيلُ مَسْلَكًا لِجَوَابِهَا. وَلَا طَرِيقًا لِخِطَابِهَا. فَلَمَّا ٱنْتَهَى ٱلْقِرْدُ فِي غَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِلَّبُوءَةِ مِنَ ٱلْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ ٱنْتِهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ ٱسْتِكْبَارًا. ثُمَّ إِنَّ ٱلْغَزَالَ ٱنْتَقَلَ بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهِ يَبْتَغِي لَهُمْ جُحْرًا آخَرَ. وَإِنَّ ٱللَّبُوءَةَ خَرَجَتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَتَرَكَتْ شِبْلَهَا. فَمَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَآهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لَحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ ٱللَّبُوءَةُ وَرَأَتْ شِبْلَهَا مَقْتُولًا مَسْلُوخًا رَأَتْ أَمْرًا فَظِيعًا. فَٱمْتَلَأَتْ غَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا وَدَاخَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْقِرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا: وَمَا دَهَاكِ. فَقَالَتِ ٱللَّبُوءَةُ: مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَفَعَلَ بِهِ مَا تَرَى. فَقَالَ لَهَا: لَا تَجْزَعِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِنِي مِنْ نَفْسِكِ وَٱصْبِرِي عَنْ غَيْرِكِ

كما صبر غيرك عنك. فكما يدين الفتى يدان. وجزاء الدهر بميزان.
ومن يذر حباً في أرض فبقدر بذره يكون الثمر. والجاهل لا يبصر
من أين تأتيه سهام الدهر. وإن حقاً عليك أن لا تجزعي من هذا
الأمر. وأن تتدرعي له بالرضا والصبر. فقالت اللبوءة: كيف لا
أجزع وهو قرة العين وواحد القلب ونزهة الفكر. وأي حياة تطيب
لي بعده. فقال لها القرد: أيتها اللبوءة ما الذي كان يغديك
ويعشيك. قالت: لحوم الوحوش. قال القرد: أما كان لتلك
الوحوش التي كنت تأكلينها آباء وأمهات. قالت: بلى. قال القرد:
فما بالنا لا نسمع لأولئك الآباء ولا الأمهات صياحاً وصراخاً كما سمع
منك ولقد أنزل بك هذا الأمر جهلك بالعواقب وعدم تفكرك فيها.
وقد نصحتك حين حقرت حق الجوار. وألحقت بنفسك العار.
وجاوزت بقوتك حد الإنصاف. وسطوت على الضعاف.
فكيف وجدت طعم مخالفة الصديق الناصح. قالت اللبوءة: وجدته
مر المذاق. ولما علمت اللبوءة أن ذلك بما كسبت يدها من ظلم
الوحوش رجعت عن صيدها ورمت نفسها باللوم. وصارت تقنع
بأكل النبات وحشيش الفلوات (بستان الاذهان للشبراوي)

ساعة

٨٢ وهو مثل من يمنعه التفكر في مستقبل الأمر عن الانتفاع بالحاضر
حكي أن ساعة قديمة كانت مركوزة في مطبخ أحد الدهاقنة

مدة خمسين سنة من دون أن يبدو منها أدنى سبب يكدره. غير
أنها في صبيحة ذات يوم من أيام الصيف. وقفت عن الحركة قبل
أن يستيقظ أصحاب المحل. فتغير منظر وجهها بسبب ذلك ودهش.
وبذلت العقارب جهدها وودت لو تبقى على حالة سيرها الأولى.
وغدت الدواليب عديمة الحركة لما شملها من التعجب. وأصبح الثقل
واقفاً لا يبدئ ولا يعيد. ورامت كل آلة أن تحيل الذنب على أختها
وطفق الوجه يبحث عن هذا الوقوف. وبينما كانت الدواليب
والعقارب تبرئ نفسها باليمين إذا بصوت خفي سمع من الدقاق
بأسفل الساعة يقول هكذا: إني أقر على نفسي بأني أنا كنت
علة هذا الوقوف. وسأبين لكم سبب ذلك لسكوتكم وإقناعكم
أجمعين. والحق أقول إني ملت من الدق. فلما سمعت الساعة
مقالته كادت تتميز من الغيظ. وقال له الوجه وهو رافع يديه:
تباً لك من سلك ذي كسل. فأجابه الدقاق: لا بأس بذلك يا سيدي
الوجه: لاجرم أنك ترضيك هذه الحال. إذ قد دافعت عن نفسك
كما هو معلوم لدى الجميع. وأنه يسهل عليك أن تدعو غيرك كسلا
وتنسبه إلى التواني. فإنك قد قضيت عمرك كله بغير شغل ولم
يكن لك فيه من عمل إلا التحديق في وجوه الناس والانشراح
برؤية ما يحدث في المطبخ. ودددت لو كنت مثلي في موضع ضنك
مظلم كهذا. وتجيز حياتك كلها بين مجيء وذهاب يوماً بعد يوم

وعاماً بعد عام . فقال له الوجه : أوليس في موضعك طاقة تنظر منها . فقال الدقاق : بلى . ولكنها مظلمة . على أنه وإن تكن لي طاقة فلا أتجاسر على التطلع منها . حيث لا يمكن لي الوقوف ولو طرفة عين . والحاصل أني ملت هذه الحال . وإن استزدتني شرحاً . فإني أخبرك بما سبب لي الضجر من شغلي . وذلك أني حسبت في صباح هذا اليوم كمية المرار التي أغدو وأروح فيها مدة أربع وعشرين ساعة . فعظم ذلك علي . وقد يمكن تحقيق ذلك بمعرفة أحد الجلوس الذين فوق . فبادر عقرب الدقائق إلى العدد وقال بديهاً : إن عدة المرار التي ينبغي لك فيها المجيء والذهاب في هذه المدة الوجيزة إنما تبلغ ستاً وثمانين ألفاً وأربع مئة مرة . فقال الدقاق : هو هكذا . فهل (والحالة هذه وقصتي قد رفعت لكم) يخال أن مجرد التفكر في هذا العمل لا يوجب عناء وتعباً لمن يعانيه . على أني حين شرعت في ضرب دقائق ذلك اليوم في مستقبل الشهور والأعوام زالت مني قوتي ووهن عظمي وعزمي . وما ذلك بغريب . وبعد تخيلات شتى عمدت إلى الوقوف كما ترونني . فكاد الوجه في أثناء هذه المكالمة أن لا يتمالك عنه . ولكنه كظم غيظه وخاطبه بحلم وقال : يا سيدي الدقاق العزيز إني لفي تعجب عظيم من انقلاب شخص فاضل نظيرك لمثل هذه الوساوس بغتة . نعم إنك وليت في عمرك أعمالاً جسيمة كما علمنا نحن كلنا أيضاً . وإن

التفكر في هذه الأشغال وحده يوجب العناء غير أني أظن مباشرتها ليست كذلك . فألتمس منك أن تسدي إلي معروفك بأن تدق الآن ست دقات ليتضح مصداق ما قلت . فرضي الدقاق بهذا ودق ست دقات جرياً على عادته . فقال له الوجه حينئذ : ناشدتك الله هل أبدى لك ما باشرته الآن نصباً وتعباً . فقال الدقاق : كلا فإن ملالي وتضجري لم ينشأ عن ست دقات . ولا عن ستين دقة . بل عن ألوف وألوف ألوف . فقال له الوجه : صدقت . ولكنه ينبغي لك أن تعلم هذا الأمر الضروري . وهو أنك تفكر في هذه الألوف بلحظة واحدة . وأما الذي يجب عليك منها فإنما هو مباشرة دقة واحدة لا غير . ثم مهما لزمك بعده من الدق يفسح الله لك في أجل لإتمامه . فقال الدقاق : أشهد أن كلامك هذا حاك في وأمالني . فقال الوجه : عسى بعد ذلك أن نعود بأجمعنا إلى ما كنا عليه من العمل . لأنا إذا بقينا كذلك يظل أهل المنزل مستغرقين في النوم إلى الظهر . ثم إن الأثقال التي لم تكن وصفت قط بالخفة ما برحت تغري الدقاق على الشغل حتى أخذ في مباشرة خدمته كما كان . وحينئذ شرعت الدواليب في الدوران . وطفقت العقارب تسير . حتى إذا ظهر شعاع الشمس في المطبخ المغلق من كوة فيه امتلأ الوجه ضياء وانجلى تعبيسه . كأن لم يكن شيء مما كان . فأما صاحب المنزل فلما نزل إلى المطبخ ليفطر فيه . نظر إلى الساعة المركوزة فقال : إن

السَّاعَةَ الَّتِي بِجَيْبِي تَأَخَّرَتْ فِي السَّيْرِ لَيْلًا بِنَحْوِ ثَلَاثِينَ دَقِيقَةً

قردٌ وغيلم

وَهُوَ مَثَلٌ مَنْ يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

٨٣ زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ كَانَ مَلِكَ الْقِرَدَةِ وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ. فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكَانَهُ. فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّاحِلِ. فَوَجَدَ شَجَرَةَ تِينٍ فَارْتَقَى إِلَيْهَا وَاتَّخَذَهَا لَهُ مُقَامًا. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا. إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِيقَاعًا. فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي الْمَاءِ فَأَطْرَبَهُ ذَلِكَ فَأَكْثَرَ مِنْ تَطْرِيحِ التِّينِ فِيهِ. وَكَانَ ثَمَّ غَيْلَمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ أَكَلَهَا. فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنِسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ. وَأَلِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ. وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغَيْلَمِ عَلَى زَوْجَتِهِ. فَجَزِعَتْ عَلَيْهِ وَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ: قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضَ لَهُ عَارِضُ سَوْءٍ فَاغْتَالَهُ. فَقَالَتْ لَهَا: إِنَّ زَوْجَكِ بِالسَّاحِلِ قَدْ أَلِفَ قِرْدًا وَأَلِفَهُ الْقِرْدُ. فَهُوَ مُؤَاكِلُهُ وَمُشَارِبُهُ وَمُجَالِسُهُ. ثُمَّ إِنَّ الْغَيْلَمَ انْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ الْحَالِ مَهْمُومَةً. فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكِ هَكَذَا فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا: إِنَّ قَرِينَتَكَ مَرِيضَةٌ مِسْكِينَةٌ. وَقَدْ وَصَفَتْ لَهَا الْأَطِبَّاءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ. فَقَالَ: هَذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنْ سَأُشَاوِرُ صَدِيقِي. ثُمَّ

انْطَلَقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ: يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي. قَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ: مَا ثَبَّطَنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَائِي. كَيْفَ أُجَازِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْآنَ أَنْ تُتِمَّ هَذَا الْإِحْسَانَ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي. فَإِنِّي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ الْفَاكِهَةِ كَثِيرَةِ الْأَثْمَارِ. فَارْكَبْ ظَهْرِي لِأَسْبَحَ بِكَ. فَرَغِبَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ وَنَزَلَ فَامْتَطَى مَطَا الْغَيْلَمِ. حَتَّى إِذَا سَبَحَ بِهِ مَا سَبَحَ عَرَضَ لَهُ فُتْحُ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَدْرِ فَنَكَسَ رَأْسَهُ. فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ: مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا. فَقَالَ الْغَيْلَمُ: إِنَّمَا هَمِّي لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ قَرِينَتِي شَدِيدَةُ الْمَرَضِ. وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا أُرِيدُ أَنْ أُبَالِغَهُ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْإِلْطَافِ. قَالَ الْقِرْدُ: إِنَّ الَّذِي أَعْتَقِدُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَؤُونَةَ التَّكَلُّفِ. قَالَ الْغَيْلَمُ: أَجَلْ. وَمَضَى بِالْقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً. فَسَاءَ ظَنُّ الْقِرْدِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا احْتِبَاسُ الْغَيْلَمِ وَبُطُوءُهُ إِلَّا لِأَمْرٍ. وَلَسْتُ آمَنُ أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَيَّ وَحَالَ عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا. فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخَفُّ وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقَلْبِ. وَيُقَالُ: يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفُلَ عَنِ الْتِمَاسِ مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ. وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ. وَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ قَلْبَ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيبَةٌ. فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحَفُّظِ مِنْهُ وَيَتَفَقَّدْ ذَلِكَ فِي لَحَظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ. فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفِرَ بِالسَّلَامَةِ. وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَفِرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ. ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ: مَا الَّذِي

يَحْبِسُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
قَالَ : يُهِمُّنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تُلْفِي أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
مَرِيضَةٌ . قَالَ ٱلْقِرْدُ : لَا تَهْتَمَّ . فَإِنَّ ٱلْهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنِ
ٱلْتَمِسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ ٱلْأَدْوِيَةِ وَٱلْأَغْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
يَبْذُلُ ذُو ٱلْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي ٱلصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ ٱلْحَاجَةِ .
وَعَلَى ٱلزَّوْجَةِ . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ . وَإِنَّمَا قَالَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
لَهَا إِلَّا قَلْبُ قِرْدٍ . فَقَالَ ٱلْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَاسَوْءَتَاهُ لَقَدْ أَدْرَكَنِي ٱلْحِرْصُ
وَٱلشَّرَهُ عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُوَرِّطٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ ٱلَّذِي
قَالَ : يَعِيشُ ٱلْقَانِعُ ٱلرَّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو ٱلْحِرْصِ وَٱلشَّرَهِ
يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدِ ٱحْتَجْتُ ٱلْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي
ٱلْتِمَاسِ ٱلْمَخْرَجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْلِمَنِي
حَتَّى كُنْتُ أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِي . وَهٰذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ ٱلْقِرَدَةِ إِذَا خَرَجَ
أَحَدُنَا لِزِيَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَّفَ قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَنْظُرَ
إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرُمِ ٱلْمَزُورِ وَمَا قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ
ٱلْآنَ . قَالَ : خَلَّفْتُهُ فِي ٱلشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَٱرْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيَكَ
بِهِ . فَفَرِحَ ٱلْغَيْلَمُ بِذٰلِكَ وَرَجَعَ بِٱلْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
ٱلسَّاحِلَ وَثَبَ ٱلْقِرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَٱرْتَقَى ٱلشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى ٱلْغَيْلَمِ
نَادَاهُ يَا خَلِيلِي ٱحْمِلْ قَلْبَكَ وَٱنْزِلْ فَقَدْ عُقْتَنِي . فَقَالَ ٱلْقِرْدُ : هَيْهَاتَ
وَلٰكِنَّكَ ٱحْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ . وَٱسْتَدْرَكْتُ

فَارِطَ أَمْرِي . وَقَدْ قِيلَ : ٱلَّذِي يُفْسِدُهُ ٱلْحِلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا ٱلْعِلْمُ . قَالَ
ٱلْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ . إِلَّا أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ
ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدَّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمْكَنَهُ ٱلتَّخَلُّصُ مِنْهَا .
كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَعْثُرُ عَلَى ٱلْأَرْضِ وَعَلَى ٱلْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَعْتَمِدُ . فَهٰذَا
مَثَلُ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَطْلُبُ ٱلْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كليله ودمنه)

الضبع والرجل

٨٤ قَالَ ٱلْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ فِتْيَانٌ فِي صَيْدٍ لَهُمْ . فَأَثَارُوا ضَبُعًا فَنَفَرَتْ
وَمَرَّتْ فَٱتَّبَعُوهَا . فَلَجَأَتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِٱلسَّيْفِ مَسْلُولًا .
فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ ٱللهِ لَمْ تَمْنَعْنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنَّهَا ٱسْتَجَارَتْ بِي
فَخَلَّوْا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْزُولَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَجَعَلَ يَسْقِيهَا
ٱللَّبَنَ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَغَبُوقًا حَتَّى سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ
يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ . فَقَالَ ٱبْنُ عَمٍّ لَهُ :

وَمَنْ يَصْنَعِ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... يُلَاقِ ٱلَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرِ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا ٱسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ ... مَعَ ٱلْأَمْنِ أَلْبَانَ ٱللِّقَاحِ ٱلدَّرَائِرِ
فَأَشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنَتْ ... فَرَتْهُ بِأَنْيَابٍ لَهَا وَأَظَافِرِ
فَقُلْ لِذَوِي ٱلْمَعْرُوفِ هٰذَا جَزَاءُ مَنْ ... يُوَجِّهُ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرِ

اسد وذئب وغراب وابن آوى وجمل

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يُهْلِكَ نَفْسَهُ

٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجَمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ ٱلطُّرُقِ ٱلْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ آوَى . وَإِنَّ رُعَاةً مَرُّوا بِذٰلِكَ الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جِمَالٌ . فَتَخَلَّفَ مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجَمَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ . قَالَ : مِنْ مَوْضِعِ كَذَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : تُقِيمُ عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخِصْبِ . فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِطَلَبِ الصَّيْدِ فَلَقِيَ فِيلًا عَظِيمًا . فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُثْخَنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ . وَقَدْ أَنْشَبَ الْفِيلُ فِيهِ أَنْيَابَهُ . فَلَمْ يَكَدْ يَصِلُ إِلَى مَكَانِهِ . حَتَّى رَزَحَ لَا يَسْتَطِيعُ حِرَاكًا وَحُرِمَ طَلَبَ الصَّيْدِ . فَلَبِثَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا . لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ وَفَوَاضِلِهِ . فَأَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهُزَالُ . وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذٰلِكَ مِنْهُمْ فَقَالَ : لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَاحْتَجْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا تُهِمُّنَا أَنْفُسُنَا . لٰكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا تَرَاهُ فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ . قَالَ الْأَسَدُ : مَا أَشُكُّ فِي نَصِيحَتِكُمْ . وَلٰكِنِ انْتَشِبُوا لَعَلَّكُمْ تُصِيبُونَ صَيْدًا فَأُكْسِبَكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ . فَخَرَجَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ . فَتَنَحَّوْا نَاحِيَةً وَائْتَمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا : مَا لَنَا وَلِهٰذَا الْآكِلِ الْعُشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا . وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا . أَلَا تُرَيْنَ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلَهُ وَيُطْعِمَنَا مِنْ لَحْمِهِ . قَالَ ابْنُ آوَى : هٰذَا مِمَّا لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ . لِأَنَّهُ قَدْ أَمَّنَ الْجَمَلَ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ .

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمُ الْأَسَدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ . وَنَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لَمَا بِنَا مِنَ الْجُوعِ . وَلٰكِنْ قَدْ وَقَفْنَا لِرَأْيِ وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقَنَا الْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا ذَاكَ . قَالَ الْغُرَابُ : هٰذَا الْجَمَلُ آكِلُ الْعُشْبِ الْمُتَمَرِّغُ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدِّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُعْقِبُ مَصْلَحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ ذٰلِكَ . غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ . وَمَا أَعْجَزَ مَقَالَكَ وَأَبْعَدَكَ مِنَ الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِئَ عَلَيَّ بِهٰذِهِ الْمَقَالَةِ وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهٰذَا الْخِطَابِ . مَعَ مَا عَلِمْتَ أَنِّي قَدْ أَمَّنْتُ الْجَمَلَ وَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ أَمَّنَ نَفْسًا خَائِفَةً وَحَقَنَ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ أَمَّنْتُهُ وَلَسْتُ بِالْغَادِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلٰكِنَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ . وَأَهْلُ الْبَيْتِ يُفْتَدَى بِهِمِ الْقَبِيلَةُ . وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ . وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدًى لِلْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَلَتْ بِالْمَلِكِ الْحَاجَةُ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّفَ ذٰلِكَ وَلَا يَلِيَهُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرَ بِهِ أَحَدًا . وَلٰكِنَّا نَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ فِيهَا صَلَاحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عِنْدَ هٰذَا الْخِطَابِ . فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ الْأَسَدَ فِي أَكْلِ الْجَمَلِ . عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ لَدَى حَضْرَتِهِ .

فنذكر ما أصابه ونتوجع له اهتماما منا بأمره وحرصا على صلاحه، ويعرض كل واحد منا نفسه عليه. فيردّه الآخران ويسفّه رأيه ويبيّن الضرر في أكله. فإذا فعلنا ذلك سلمنا كلنا ورضي الأسد عنا ففعلوا ذلك وتقدّموا إلى الأسد فقال الغراب: قد احتجت أيها الملك إلى ما يقويك. ونحن أحق أن نهب أنفسنا لك فإنا بك نعيش. فإذا هلكت فليس لأحد منا بقاء بعدك. ولا لنا في الحياة من خيرة. فليأكلني الملك فقد طبت بذلك نفسا. فأجابه الذئب وابن آوى أن اسكت. فلا خير للملك في أكلك وليس فيك شبع. قال ابن آوى: لكن أنا أشبع الملك. فليأكلني فقد رضيت بذلك وطبت عنه نفسا. فردّ عليه الذئب والغراب بقولهما له: إنك منتن قذر. قال الذئب: أنا لست كذلك. فليأكلني الملك عن طيب نفس مني وإخلاص طوية. فأعترضه الغراب وابن آوى وقالا: قد قالت الأطباء: من أراد قتل نفسه. فليأكل لحم ذئب. فظن الجمل أنه إذا عرض نفسه على الأكل التمسوا له عذرا كما التمس بعضهم لبعض فيسلم ويرضى عنه الأسد. فقال: لكن أنا في للملك شبع وري. ولحمي طيب هني وبطني نظيف. فليأكلني الملك ويطعم أصحابه وحشمه. فقد سمحت بذلك طوعا ورضا. فقال الذئب والغراب وابن آوى: لقد صدق الجمل وتكرّم وقال ما درى. ثم إنهم وثبوا عليه ومزّقوه

(كليله ودمنه)

الجدي السالم والذئب النادم

٨٦ حكي أنه كان في بعض الغياض لذئب وجار. وأهل وجار. فخرج يوما لطلب صيد. ونصب لذلك شباك الكيد. وصار يجول ويصول. ولا يقع على محصول. فأثر فيه الجوع واللغوب. وأذنت الشمس للغروب. فصادف بعض الرعيان. يسوق قطيعا من الضان. وفيها بعض جديان. فهم عليها لشدة الجوع بالهجوم. ثم أدركه من خوف الراعي الوجوم. لأنه كان متيقظا. ومن الذئب على ماشيته متحفظا. فجعل يراقبه من بعيد. والحرص والشره يزيد. والراعي سائق. وللذئب عائق. فتخلف جدي غبي. غفل عنه الراعي الذكي. فأدركه الذئب النشيط. وأقطعه بأمل بسيط. وبشر نفسه بالظفر. وطار بالفرح واستبشر. فلما رأى الجدي الذيب. علم أنه أصيب بيوم عصيب. وظفر قصاب البلاء من قصبه بأوفر نصيب. فتدارك نفسه بنفسه. واستحضر حيلة جاشه وحدسه. وعلم أنه لا ينجيه من تلك الورطة الوبيلة. إلا مغيث الخداع والحيلة. وأذكره مذكر الخاطر. ما قال الشاعر:

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا ... به الخطب إلا وهو للقصد مبصر

فتقدم بجاش صليب. وقبل الأرض بين يدي الذيب. وقال له محبك الراعي. لجنابك داعي. يسلم عليك. وقد أرسلني إليك. يشكر صداقتك وشفقتك. وحشمتك ومرافقتك. ويقول قد تركت بحسن

إبائك. عادة أجدادك وآبائك. فلم تتعرّض لمواشيه. وحفظت بنظرك ضعاف حواشيه. وقد حصل لضعافها الشبع. وأمنت بجوارك الجوع والفزع. وحصل الأمن من الجزع. فسيجعل جوارك وغياضك أحسن مستنجع. لأنّ ضعاف ماشيته شبعت وريت. وانتعشت وقويت. فأراد مكافأتك. وطلب مصادقتك ومصافاتك. فأرسلني إليك لتأكلني. وأوصاني أن أطربك بما أغنّي. فإني حسن الصوت في الغناء. وصوتي يزيد شهوة الغذاء. فإن اقتضى رأيك الأسعد. غنّيتك غناءً ينسي أبا إسحاق ومعبد. وهو شيء لم يظفر به آباؤك وأجدادك. وما ينالهُ أعقابك وأولادك. يقوّي كزمك. وشهوتك وقرمك. ويطيّب مأكلك. ويسني مأملك. وإن صوتي اللذيذ. ألذّ للجائع من جدي حنيذ. وخبز سميذ. وللعطشان من قدح نبيذ. فرأيك أعلى. وامتثالك أولى. فقال الذئب: لا بأس والك. فغنّ ما بدا لك. فرفع الجدي عقيرته. ورأى في الصراخ خيرته. وأنشد:

وعصفور الحشا يهوى جراده ... كما عشق الخروف أبو جعاده

فاهتزّ الذئب طربًا. وتمايل عجبًا وعجبًا. وقال: أحسنت يازين الغنم. ولكن هذا الصوت في البم. فارفع صوتك في الزير. فقد أخجلت البلابل والزرازير. وزدني يا مغنّي. وغنّ لي. ما يلي قولي:

أقرّ هذا الزمان عيني ... بالجمع بين المنى وبيني

وليكن هذا يا سيّد الجداء في أوج الحسيني. فاغتنم الجدي الفرصة وأزاح بعياطه الغصّة. وصرخ صرخة أخرى. أذكر الطامّة الكبرى. ورفع الصوت. كمن عاين الموت. وخرج من دائرة الحجاز إلى العراق. وكاد يحصل له من ذلك الإنفتاق. وقال:

قوا ثمّ انظروا حالي ... أبو مذقة أكّالي

فسمعه الراعي يشدو. فأقبل بالمطرق يعدو. فلم يشعر الذئب الذاهل. وهو بحسن السماع غافل. إلّا والراعي بالعصا على قفاه نازل. فرأى الذئب الغنيمة في النجاة. وأخذ في طريق الحياة. وترك الجدي وأفلت. ونجا من سيف الموت المصلت. وصعد إلى تلّ يتلفّت. إذ تفلّت. وأقعى يعضّ يديه ندامة. ويخاطب نفسه بالملامة. ويقول: أيّها الغافل الذاهل. الأحمق الجاهل. متى كان على سماط السرحان. ألقبز والأوزان. وأيّ جدّ لك فان. أو أب مفسد جان. كان لا يأكل إلّا بالمغاني. وعلى صوت المثالث والمثاني. فلولا أنّك عدلت عن طريقة آبائك. ما فاتك لذيذ عشائك. ولا أمسيت جائعًا تتلوّى. وبجمرة فوات الفرصة تتكوّى. ثمّ بات يحرق ضرسه وناباه. ويخاطب نفسه لما ناباه:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته ... حتّى إذا فات أمر عاتب القدرا

فارة وهرّ

٨٧ كان رجل فقير عنده هرّ ربّاه. وأحسن مأواه. وكان القطّ قد

عَرَفَ مِنْهُ ٱلشَّفَقَةَ . وَأَلِفَ مِنْهُ ٱلْمَوَدَّةَ وَٱلْمِقَةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ مَبِيتِهِ . وَلَا يَسْعَى لِطَلَبِ قُوتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ ٱلْهُزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ أَمْرٍ وَحَالَ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغَذِّيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى ٱلِاصْطِبَارِ تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ ٱلصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْخَرُ بِهِ مِنْ أَرَاذِلِ ٱلْفَارِ عَمْرٌو وَزَيْدٌ . وَكَانَ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ . مَأْوَى لِرَئِيسِ ٱلْجُرْذَانِ . وَبِجِوَارِهِ مَخْزَنُ سَمَّانٍ . فَٱجْتَرَأَ ٱلْجُرَذُ لِضُعْفِ أَبِي غَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ نَقْلِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى ٱلْقِطِّ آمِنًا وَيَضْحَكُ عَلَيْهِ . إِلَى أَنِ ٱمْتَلَأَ وَكْرُهُ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلْمَطَاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ ٱلْفَرَاغُ مِنَ ٱلْمَخَاوِفِ وَٱلْمَزَاحِمِ . فَٱسْتَطَالَ عَلَى ٱلْجِيرَانِ . وَٱسْتَعَانَ بِطَوَائِفِ ٱلْفَارِ عَلَى ٱلْعُدْوَانِ . وَٱفْتَكَرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فِكْرًا أَدَّاهُ إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هٰذَا ٱلْقِطَّ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُهْلِكًا عَظِيمًا . وَلٰكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي ٱلِٱسْتِحَالِ . وَضَعُفَ عَنِ ٱلصَّيْدِ وَٱلِٱغْتِيَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ لِسَبَبِ ضُعْفِهِ . وَهٰذَا ٱلْفَتْحُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلٌ بِحَتْفِهِ . وَلٰكِنَّ ٱلدَّهْرَ ٱلْغَدَّارَ . لَيْسَ لَهُ عَلَى حَالَةٍ ٱسْتِمْرَارٌ . فَرُبَّمَا يَعُودُ ٱلدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ عَلَيْهِ . فَإِنَّ ٱلزَّمَانَ ٱلدَّوَّارَ يَنْهَبُ وَيَهَبُ . وَيُعْطِي مَا سَلَبَ . وَيَرْجِعُ فِيمَا وَهَبَ . كُلُّ ذٰلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ ٱلْقِطُّ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيَثُورُ قَلْقُهُ . وَيَفُورُ حَنَقُهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلِٱنْتِقَامِ مِنِّي أَرَقُهُ . فَلَا يَقَرُّ لِي مَعَهُ قَرَارٌ . فَأُضْطَرُّ إِلَى ٱلتَّحَوُّلِ عَنْ هٰذِهِ ٱلدَّارِ . وَٱلْخُرُوجِ عَنِ ٱلْوَطَنِ ٱلْمَأْلُوفِ . وَمُفَارَقَةِ

ٱلسَّكَنِ ٱلْمَعْرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنَ ٱلِٱهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هٰذَا ٱلْغَرَامِ . وَٱلْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ ٱلْخَلَاصِ . قَبْلَ ٱلْوُقُوعِ فِي شَرَكِ ٱلِٱقْتِنَاصِ ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ . فِي كَيْفِيَّةِ ٱلْخَلَاصِ مِنْ هٰذَا ٱلْبَاسِ . فَأَدَّاهُ ٱلْفِكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ ٱلْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ هٰذَا ٱلنَّشَاطُ . وَيَسْتَمِرَّ بِوَاسِطَةِ ٱلصُّلْحِ بِسَاطُ ٱلِٱنْبِسَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ ٱلْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ ٱلْفَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي ٱلْوَثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا ٱلْعُهُودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ ٱلِٱتِّفَاقُ مِنَ ٱلْعُقُودِ . وَهُوَ أَنْ يَلْتَزِمَ كَبِيرُ ٱلْجُرْذَانِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ ٱلْغِذَاءِ صَبَاحُهُ وَمَسَاؤُهُ . لِأَنَّ ٱلشَّيْخَ قَالَ فِي ٱلدَّرْسِ : خَيْرُ ٱلْمَالِ مَا وَقَيْتَ بِهِ ٱلنَّفْسَ . إِلَى أَنْ يَصِحَّ جَسَدُهُ . وَيَرُدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْشِهِ رَغَدُهُ . وَيَكُونَ ذٰلِكَ سَبَبًا لِعُقُودِ ٱلصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْقَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ مِنَ ٱلْخُبْزِ وَٱلْجُبْنِ وَٱللَّحْمِ ٱلْقَدِيدِ . مَا قَدَرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ بِنَقْلِهِ . وَقَدِمَ مُقَامَ ٱلْمِرِّ . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَامَ مُكْرِمٍ مُبِرٍّ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ إِلَيْهِ . وَتَرَامَى بِكَثْرَةِ ٱلِٱشْتِيَاقِ وَٱلتَّوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَعِزُّ عَلَيَّ . وَيَعْظُمُ لَدَيَّ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هٰذَا ٱلِٱضْطِرَارِ . وَسَيَكْفِيكَ ٱللّٰهُ هٰذَا ٱلْجَهْدَ وَٱلضَّيْرَ . وَلٰكِنِ ٱلْعَاقِبَةُ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَنَاوَلَ ٱلْقِطُّ مِنْ تِلْكَ ٱلسَّرِقَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ ٱلصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّ لِي عَلَيْكَ مِنَ ٱلْحُقُوقِ . مِثْلَ مَا لِلْجَارِ ٱلصَّدُوقِ . عَلَى ٱلْجَارِ ٱلشَّفُوقِ .

وَأَرَدتُّ أَنْ يَتَأَكَّدَ الْجِوارُ بِالْمُصادَقَةِ . وَتَثْبُتَ الْمَحَبَّةُ بِالْمُواثَقَةِ . وَإِنْ كانَتْ بَيْنَنا عَداوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَنَتْرُكُ مِنَ الْجانِبَيْنِ تِلْكَ الْخَصْلَةَ الذَّمِيمَةَ . وَنَسْتَأْنِفُ الْعُهُودَ . عَلَى خِلافِ الْخُلُقِ الْمَعْهُودِ . وَهَا أَنا أَذْكُرُ لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ الْقَدِيمِ . وَيُرْشِدُكَ فِي طَرِيقِ الْإِخاءِ إِلَى الصِّراطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْلِي مَثَلًا . مَا يُغَذِّي مِنْكَ بَدَنًا . فَضْلًا عَنْ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسِمَنًا . فَإِنْ أَمَّنْتَنِي مَكْرَكَ وَرَغِبْتَ فِي صُحْبَتِي . وَعاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَأَكَّدْتَ ذَلِكَ لِي بِمُغَلَّظاتِ الْأَيْمانِ حَتَّى أَسْتَوْثِقَ بِاسْتِصْحابِكَ . وَأَبِيتَ آمِنًا فِي مَجِيئِكَ وَذَهابِكَ . وَلَوْ كُنْتُ بَيْنَ مَخالِيبِكَ وَأَنْيابِكَ . فَإِنِّي أَلْتَزِمُ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ . عِنْدَما تَسْتَيْقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِما يَسُدُّ خَلَّتَكَ . وَيُبْقِي مُهْجَتَكَ . صَباحًا وَمَساءً وَغَداءً وَعَشاءً . فَلَمَّا رَأَى الْهِرُّ . هٰذَا الْبِرَّ . أَعْجَبَتْهُ هٰذِهِ النِّعَمُ . وَأَطْرَبَهُ هٰذَا الْغَنَمُ . وَأَقْسَمَ طائِعًا مُخْتارًا . لَا إِكْراهًا وَلَا إِجْبارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ الْجِرْذانِ . إِلَّا طَرِيقَ الْأَمانِ وَالْإِحْسانِ . فَرَجَعَ الْجِرْذُ وَهُوَ بِهٰذِهِ الْحَرَكَةِ جَذْلانُ . وَصارَ يَأْتِي الْقِطَّ كُلَّ يَوْمٍ بِما الْتَزَمَ بِهِ مِنَ الْغَداءِ وَالْعَشاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ الْقِطُّ وَاسْتَوَى . وَسَلِمَتْ خَلَواتُ بَدَنِهِ مِنَ الْخَواءِ . وَقَدْ كانَ لِهٰذَا الْقِطِّ دِيكٌ صاحِبٌ قَدِيمٌ . وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلٌّ مِنْهُما يَأْنَسُ بِصاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خاطِرَهُ بِمُراعاةِ جانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدِّيكِ تَعْوِيقٌ عَنْ زِيارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُما لِقاءٌ . إِلَّا بَعْدَ أَنْ زالَ عَنِ الْقِطِّ ذٰلِكَ الشَّقاءُ . وَحازَ تَمامَ الشِّفاءِ . فَسَأَلَهُ

الدِّيكُ : بِماذا زالَ ذٰلِكَ الْهُزالُ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِ الْجِرْذِ وَأَنَّهُ صارَ عِنْدَهُ مِنْ أَعَزِّ الْأَصْدِقاءِ الْخَيِّرِينَ الْأُمَناءِ . فَضَحِكَ الدِّيكُ مُسْتَغْرِبًا . وَطَفِقَ يُصَفِّقُ بِجَناحَيْهِ مُتَعَجِّبًا . فَقالَ لَهُ : مِمَّ تَضْحَكُ . قالَ : مِنْ سَلامَةِ باطِنِكَ . وَانْقِيادِكَ لِمُداهِنِكَ . وَحُسْنِ صَنائِعِكَ . إِلَى غاشِّكَ وَمُخادِعِكَ . وَمَنْ يَأْمَنُ لِهٰذَا الْبَرِمِ . الْواجِبِ قَتْلُهُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ . الْمُفْسِدِ الْفاسِقِ . الْمُؤْذِي الْمُنافِقِ . الَّذِي خَدَعَكَ حَتَّى أَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ . وَأَوْقَعَكَ فِي حَبائِلِ كَيْدِهِ وَنَحْسِهِ . مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ عِنْدَهُ بِمَشْكُورٍ . وَلَا بِالْخَيْرِ مَذْكُورٍ . وَإِنَّما الَّذِي شاعَ . وَمَلَأَ الْأَسْماعَ . أَنَّكَ تَحُلُّ عُقْدَهُ . وَتَنْقُضُ عَهْدَهُ . وَتَنْكُثُ الْأَيْمانَ . وَتُجازِي بِالسَّيِّئَةِ الْإِحْسانَ . فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ يَرَ مِنْكَ ما يَسُرُّهُ . أَصْبَحَ مُتَوَقِّعًا ما يَضُرُّهُ . وَأَعْظَمُ مِنْ هٰذَا أَنَّهُ حَشَرَ وَنادَى . وَجاهَرَكَ بِالشَّرِّ وَعادَى وَقالَ : إِنَّهُ أَحْياكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . وَرَدَّكَ بَعْدَ الْفَوْتِ . وَإِنَّهُ لَوْلَا فَضْلُهُ عَلَيْكَ . وَبِرُّهُ الْواصِلُ إِلَيْكَ . لَمُتَّ هُزالًا وَجُوعًا . وَلَما عِشْتَ أُسْبُوعًا . وَإِنَّهُ شَفاكَ وَعافاكَ . وَصَفَا لَكَ وَصافاكَ . وَهَلْ سَمِعْتَ أَنَّ جِرْذًا صادَقَ هِرَّةً . أَوِ اتَّفَقَ بَيْنَهُما مُرافَقَةٌ . فَمَتَى صَحَّتْ الْقِطِّ وَالْفارِ . كَمُصادَقَةِ الْماءِ وَالنَّارِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقِطُّ هٰذَا الْكَلامَ . تَأَلَّمَ خاطِرُهُ بَعْضَ إِيلامٍ وَقالَ لِلدِّيكِ : جَزاكَ اللّٰهُ عَنِّي خَيْرًا . وَلٰكِنْ مَنْ أَخْبَرَكَ بِهٰذَا الْخَبَرِ . وَصَدَّقَكَ ما أَثَرَ . فَقالَ : لَقَدْ غَرَّكَ الْجِرْذُ بِلُقَيْماتٍ مِنَ الْحَرامِ . وَالسُّحْتِ الْمُنْغَمِسِ فِي الْآثامِ . وَجَعَلَها لَكَ بِمَنْزِلَةِ حَبَّةِ الْفَخِّ . فَلا تَشْعُرُ بِها إِلَّا وَأَنْتَ فِي الْمَسْلَخِ . حَيْثُ لَا رَفِيقَ يَتَشَفَّعُ فِيكَ

وَلَا أَخٍ . وَهُنَاكَ يُعْرَفُ تَحْقِيقُ هٰذَا الْكَلَامِ . وَمَا أَطْلَعَتْكَ عَلَى مَا قُلْتُ إِلَّا مِنْ فَرْطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ . فَتَرَجَّحَ جَانِبُ صِدْقِ الدِّيكِ عِنْدَ الْقِطِّ فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قِدْحَ ضَمَائِرِهِ : إِنَّ هٰذَا الدِّيكَ مِنْ حِينِ انْفَلَقَتْ عَنْهُ الْبَيْضَةُ . وَسَرَحَتْ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ . مَا وَقَفَتْ لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعْتُ أَنَّهُ لِشَيْءٍ مِنَ الزُّورِ مُرْتَكِبٌ . فَهُوَ أَبْعَدُ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ . وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَغُشَّ وَيَتَصَنَّعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ صِدْقَ هٰذَا الْخَبَرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوِيَّتِهِ دَلَالَةٌ تُنْتَظَرُ . قَالَ : نَعَمْ . وَرَبِّ الْحَرَمِ عَلَامَةُ ذٰلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ مُنْخَفِضَ الرَّأْسِ . مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِبَةٍ . أَوْ نُزُولَ مُصِيبَةٍ صَائِبَةٍ . مُتَلَفِّتًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا يَتَقَبَّ . خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَالْخَائِنُ خَائِفٌ وَهٰذَا أَمْرٌ بَائِنٌ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْمُحَاوَرَةِ . وَالْمُنَاظَرَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ . دَخَلَ أَبُو جَوَّالٍ . وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هٰذِهِ الْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَقْظَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا غَرْوَانَ . فَخَنَسَ وَقَهْقَرَ . وَتَوَقَّفَ وَتَفَكَّرَ . وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللّٰهُ وَقَدَّرَ . فَأَشْمَأَزَّ لِرُؤْيَتِهِ الدِّيكُ وَاشْمَعَلَّ . وَانْتَفَضَ وَارْبَأَلَّ . فَارْتَعَدَ الْجُرَذُ مِنْ شَيْخِ الدِّيكَةِ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هٰذِهِ الْحَرَكَةَ . وَانْتَفَشَ وَازْوَى . وَتَقَبَّضَ وَذَوَى . وَالْتَفَتَ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَالطَّالِبِ لِلْفِرَارِ مَجَالًا . وَالْقِطُّ يُرَاقِبُ أَحْوَالَهُ . وَيُمَيِّزُ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ . فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُنْتَقِمِ . وَهَمَّ وَاكْفَهَرَّ . وَرَقَصَتْ شَوَارِبُهُ وَازْبَأَرَّ .

وَنَسِيَ الْعُهُودَ وَالْأَيْمَانَ . وَنَبَضَ فِيهِ عِرْقُ الْعَدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْعُدْوَانِ . فَوَثَبَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ فِي خَبَرِ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ

الهدهد الغير المتروي

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللّٰهَ مُجْرِيَ الْخَيْرِ . عَلَّمَ بَعْضَ عَبِيدِهِ الصُّلَحَاءِ مَنْطِقَ الطَّيْرِ . فَصَاحَبَ مِنْهَا هُدْهُدًا . وَازْدَادَ مَا بَيْنَهُمَا تَوَدُّدًا . فَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . مَرَّ بِالْهُدْهُدِ ذٰلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُلْتَفِتٌ إِلَى نَاحِيَةِ الشِّمَالِ . وَهُوَ مَشْغُولٌ بِالتَّسْبِيحِ يُسَبِّحُ اللّٰهَ بِلِسَانِهِ الْفَصِيحِ فَنَادَاهُ : يَا صَاحِبَ التَّاجِ وَالْقَبَاءِ وَالدِّيبَاجِ لَا تَقْعُدْ فِي هٰذَا الْمَكَانِ فَإِنَّهُ طَرِيقُ كُلِّ فَتَّانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدٍ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ الْبَنَادِقِ وَمَرْصَدُ أَصْحَابِ الْجُلَاهِقِ . فَقَالَ الْهُدْهُدُ : إِنِّي عَرَفْتُ ذٰلِكَ وَأَنَّهُ مَسْلَكُ الْمَهَالِكِ قَالَ : فَلِأَيِّ شَيْءٍ عَزَمْتَ عَلَى الْقُعُودِ فِيهِ . مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صِبْيَانًا وَأَظُنُّهُ غُوَيًّا نَصَبَ لِي فَخًّا . يَرُومُ لِي فِيهِ زَخًّا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَايِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَايِدِهِ . وَعَرَفْتُ مُكَيْدَتَهُ أَيْنَ هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ . وَأَتَقَدَّمُ لِلضَّحِكِ إِلَيْهِ . وَأَتَعَجَّبُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ . فِيمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى الصَّفْعِ . وَأَسْخَرُ مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأُنَبِّهُ مَنْ يَمُرُّ عَلَى خُزَعْبِلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ وَذَهَبَ . وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَانْقَلَبَ . فَرَأَى الْهُدْهُدَ فِي يَدِ الصَّبِيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ . يَلْهَجُ بِمَقَالِهِ :

كَعُصْفُورَةٍ فِي يَدِ طِفْلٍ يُهِينُهَا تُقَاسِي عَذَابَ الْمَوْتِ وَالطِّفْلُ يَلْعَبُ
فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُّ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مُنْفَكُّ الْجَنَاحِ فَيَهْرُبُ

فَنَادَاهُ وَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرَكِ الصَّيَّادِ وَقُلْتَ لِي إِنَّكَ وَعَيْتَ. وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ. فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْهُدْهُدَ إِذَا نَقَرَ الْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ. وَلَا يُبْصِرُ ثَغْرَةَ الْفَخِّ وَلَا مَا وَرَاءَهُ. وَنَاهِيكَ قَضِيَّةُ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ. كَيْفَ خُذِلَ لَمَّا غَوَى وَاغْتَرَّ وَبَطِرَ. وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِمَّنِ اشْتَهَرَ أَمْرُهُمْ وَانْتَشَرَ. وَأَنَا لَمَّا اغْتَرَرْتُ بِحِدَّةِ بَصَرِي. ذَهَلْتُ عَمَّا يَجُولُ فِي فِكْرِي. فَتَغَطَّتْ حِدَّةُ اسْتِبْصَارِي فَوَقَعْتُ فِي فَخِّ اغْتِرَارِي

مالك الخزين والسمكة

٨٩ كَانَ فِي مَكَانٍ مَكِينٍ. مَأْوًى لِمَالِكِ الْخَزِينِ. وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ غِيَاضٌ وَغُدْرَانٌ. تُضَاهِي رِيَاضَ الْجِنَانِ. وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ السَّمَكِ. مَا يَفُوقُ سَابِحَاتِ السَّمَكِ. فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ. فِي دَعَةٍ وَخَيْرٍ. يُزَجِّي الْأَوْقَاتَ. بِطَيِّبِ الْأَقْوَاتِ. وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ. كَانَ فِيهَا بَرَكَةٌ. حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ الْبِحَارِ وَالْغُدْرَانِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا وَفِي مِنْقَارِهِ سَمَكَةٌ. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْآنَاءِ. تَعَسَّرَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْغِذَاءِ. وَأَرْتَجَ لِفَوْتِ قُوتِهِ أَبْوَابُ الْعَشَاءِ. فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ. يَطْلُبُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الْقُوتِ. فَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ أَعْلَى السَّمَاكِ إِلَى أَسْفَلِ الْحُوتِ. وَامْتَدَّ هَذَا الْحَالُ. عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلَيَالٍ. فَخَاضَ يَوْمًا فِي الرَّقْرَاقِ. يَطْلُبُ شَيْئًا مِنَ الْأَرْزَاقِ. فَصَادَفَ سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَاخْتَطَفَهَا. وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ الْتَقَفَهَا. ثُمَّ بَعْدَ اقْتِلَاعِهَا. قَصَدَ إِلَى ابْتِلَاعِهَا. فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا. قَبْلَ اسْتِقْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا. فَنَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ: مَا الْبُرْغُوثُ وَدَمُهُ. وَالْعُصْفُورُ وَدَسَمُهُ. اسْمَعْ يَا جَارَ الرِّضَا. وَمَنْ عُمْرُنَا فِي صَوْنِهِ انْقَضَى. لَا تَعْجَلْ فِي ابْتِلَاعِي. وَلَا تُسْرِعْ فِي ضَيَاعِي. فَفِي بَقَائِي فَوَائِدُ وَعَوَائِدُ. عَلَيْكَ عَوَائِدُ. وَهُوَ أَنَّ أَبِي قَدْ مَلَكَ هَذَا السَّمَكَ فَالْكُلُّ عَبِيدُهُ وَرَعِيَّتُهُ. وَوَاجِبٌ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ. ثُمَّ إِنِّي وَاحِدُ أَبَوَيَّ. وَأُرِيدُ مِنْكَ الْإِبْقَاءَ عَلَيَّ. فَإِنَّ أَبِي نَذَرَ النُّذُورَ. حَتَّى حَصَلَ لَهُ بِوُجُودِي السُّرُورُ. فَمَا فِي ابْتِلَاعِي كَبِيرُ فَائِدَةٍ. وَلَا أَسُدُّ لَكَ رَمَقًا. وَلَا أَشْغَلُ لَكَ مَعِدَةً فَتَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ: فَأَفْقَرَنِي فَيَمَنْ أُحِبُّ وَلَا اسْتَغْنَى فَالْأَوْلَى أَنْ أُقِرَّ عَيْنَكَ. وَأُعَرِّفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنَكَ. فَأَكُونَ سَبَبًا لِعُقُودِ الْمُصَادَقَةِ. وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ الْمَحَبَّةِ وَالْمُرَافَقَةِ. وَيَتَحَمَّلُ لَكَ الْجَمِيلَةَ. وَالْمِنَّةَ التَّامَّةَ وَالْفَضِيلَةَ. وَأَمَّا أَنَا فَأُعَاهِدُكَ إِنْ أَعْتَقْتَنِي. وَمَنَنْتَ عَلَيَّ وَأَطْلَقْتَنِي. أَنْ أَتَكَفَّلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ سَمَكَاتٍ بِيضِ سِمَانٍ وَدِكَاتٍ. تَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً. غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ. وَلَا كَدٍّ تَتَحَمَّلُهُ وَلَا تَعَبٍ. فَلَمَّا سَمِعَ الْبَلْشُونُ. هَذَا الْمَجُونَ. أَغْرَاهُ الطَّمَعُ. فَمَا ابْتَلَعَ. بَلْ سَهَا وَلَهَا. ثُمَّ قَالَ لَهَا: أَعِيدِي هَذِهِ الرَّمْزَةَ.

فبمجرّد ما فتح فاه بالهمزة . انملصت السمكة منه بجمزة . وغاصت في الماء . وتخلصت من بين فكي البلاء . ولم يحصل ذلك الطماع . إلا قطع الأطماع . وإنما أوردت يا ذا الدراية . هذه الحكاية . لتتأمل عقبى أمرك قبل الشروع فيه . وتتدبر منتهى أواخره في مباديه . فقد قيل : أول الفكر . آخر العمل

الديك والثعلب

٩٠ كان في بعض القرى للرئيس ديك . حسن الخلق وديك . مرّت به التجارب . وقرأ تواريخ المشارق والمغارب . ومضى عليه من العمر سنون . واطلع من حوادث الزمان على فنون . وقاسى حلوه ومرّه . وعانى حرّه وقرّه . وقطع لثعالب شباك مصايد . وتخلص لابن آوى من ورطات مكايد . ورأى من الزمان وبنيه نوائب وشدائد . وحفظ وقائع لبنات آوى وثعالب . وطالع من كتب حيلها طلائع كتائب . وأحكم من طرائقها عجائب غرائب . فاتفق له في بعض الأحيان . أنه وقف على بعض الجدران . فنظر في عطفيه . وتأمل في نقش بردية . فرأى خيال تاجه العقيق . ونظر إلى خدّه الشقيق . ونفض برائله المنفش . وسراويله المنقش . والثوب الذي رقمه نقاش القدرة من المقطع المبرقش . فأعجبته نفسه . وأذن فأطربه حسه .... فصار يديه ويتبختر . ويتقصف ويتخطر . فاستهواه التمشي سويعة . حتى أبعد عن الضيعة . فصعد

إلى جدار . وكان قد انتصف النهار . فرفع صوته بالأذان . فأنسى صوته الكناني والدهان . فسمعه ثعلب . فقال : مطلب . وسارع من وكره . وحمل شبكة مكره . وتوجه إليه . فرآه فسلم عليه . فلما حسّ به أبو اليقظان . طفر إلى أعلى الجدران . ثم حياد تحية الخلان . وترامى لديه ترامي الإخوان . وقال : أنعش الله بدنك وروحك . وروّى من كاسات الحياة غبوقك وصبوحك . فإنك أحييت الأرواح والأبدان . بطيب النغم والصياح في الآذان . فإن لي زمانا لم أسمع بمثل هذا الصوت . وقاه الله نوائب الفوت . ومصائب الموت . وقد جئت لأسلم عليك . وأذكرك ما أسدي من النعم إليك . وأبشرك ببشارة . وهي أربح تجارة . وأنجح من الولاية والإمارة . ولم يتفق مثلها في سالف الدهر . ولا يتسع نظيرها إلى آخر العصر . وهي أن السلطان أيد الله بدولته أركان الإيمان . أمر مناديا فنادى بالأمان والاطمئنان . وإجراء مياه العدل والإحسان . من حدائق الصحبة والصداقة في كل بستان . وأن تشمل الصداقة كل حيوان . من الطير والوحش والحيتان . ولا يقتصر فيها على جنس الإنسان . فيتشارك فيها الوحوش والسباع . والبهائم والضباع . والأروى والنعام . والصقر والحمام . والضب والنون . والذباب وأبو قلمون . ويتعاملون بالعدل والإنصاف . والإسعاف دون الإعساف . ولا يجري بينهم إلا المصادقة . وحسن

الْمُعَاشَرَةِ وَالْمُرَافَقَةِ . فَتُمْحَى مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُقُوشُ الْعَدَاوَةِ وَالْمُنَافَقَةِ . فَيَطِيرُ الْقَطَا مَعَ الْعُقَابِ . وَيَبِيتُ الْعُصْفُورُ مَعَ الْغُرَابِ . وَيَرْعَى الذِّئْبُ مَعَ الْأَرْنَبِ . وَيَتَآخَى الدِّيكُ وَالثَّعْلَبُ . وَفِي الْجُمْلَةِ لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنُ الْفَأْرَةُ مِنَ الْهِرَّةِ . وَالْخَرُوفُ مِنَ الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدِ ارْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا بُدَّ أَنْ يُمْتَثَلَ هٰذَا الْمَرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْخُلُقِ الْمَذْمُومِ . وَيَجْرِيَ بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمُصَادَقَةُ . وَتَتَفَتَّحَ أَبْوَابُ الْمَحَبَّةِ وَالْمُرَافَقَةِ . وَلَا يَنْفُرَ أَحَدٌ مِنَّا مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يُرَاعِي مَوَدَّتَهُ وَيُبَالِغُ فِي حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ الثَّعْلَبُ يُقَرِّرُ هٰذَا الْمَقَالَ . وَالدِّيكُ يَتَلَفَّتُ إِلَى هٰذَا الْهِذْيَانِ وَالْخَبَالِ . فَقَالَ الثَّعْلَبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ كَلَامِي مُرْتَخِي . أَنَا أُبَشِّرُكَ بِبَشَائِرَ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّفِقْ فِي الْأَعْصُرِ الْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزَتْ بِهَا مَرَاسِيمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْجَسِيمَةُ . وَأَرَاكَ لَا تَلْتَفِتُ إِلَى هٰذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسَرُّ بِهٰذَا اللُّطْفِ الْعَامِّ . وَلَا تَلْتَفِتُ إِلَيَّ . وَلَا تُعَوِّلُ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفُ عَلَى بُعْدٍ لِشَيْءٍ . فَهَلَّا أَخْبَرْتَنِي بِمَا أَضْمَرْتَ وَنَوَيْتَ . وَتُطْلِعُنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَى مَا رَأَيْتَ . حَتَّى أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ . فَقَالَ : أَرَى عَجَاجًا ثَائِرًا . وَنَقْعًا إِلَى الْعَنَانِ فَائِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ الْبَرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلٰكِنَّهُ أَجْرَى مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ أَبُو الْحُصَيْنِ : وَقَدْ نَسِيَ الْمَكْرَ وَالْمَيْنَ . بِاللهِ يَا أَبَا نَبْهَانَ . حَقِّقْ لِي

هٰذَا الْحَيَوَانَ . فَقَالَ : حَيَوَانٌ رَشِيقٌ . لَهُ آذَانٌ طِوَالٌ وَخَصْرٌ دَقِيقٌ . لَا الْخَيْلُ تَلْحَقُهُ . وَلَا الرِّيحُ تَسْبِقُهُ . فَرَجَفَتْ قَوَائِمُ الثَّعْلَبِ . وَطَلَبَ الْمَهْرَبَ . فَقَالَ أَبُو الْمُنْذِرِ : تَلَبَّثْ يَا أَبَا الْحُصَيْنِ وَاصْبِرْ حَتَّى أُحَقِّقَ رُؤْيَتَهُ . وَأَتَبَيَّنَ مَاهِيَّتَهُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحُصَيْنِ . يَسْبِقُ طَرْفَ الْعَيْنِ . وَيَكَادُ يَا أَبَا النَّجْمِ . يُخَلِّفُ النَّجْمَ فِي الرَّجْمِ . فَقَالَ : أَخَذَنِي فُؤَادِي . وَمَا هٰذَا وَقْتُ التَّمَادِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَصْدَحُ بِقَوْلِهِ :

لَابِسَ التَّاجِ الْعَقِيقِ لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا الْوَصْفُ حَقًّا فَهُوَ وَاللهِ السَّلُوقِي

فَقَالَ الدِّيكُ : وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُلْتَ إِنَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالصُّلْحِ بَيْنَ سَائِرِ الْحَيَوَانِ . فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثْ حَتَّى يَجِيءَ وَيُقَبِّلَ يَدَيْكَ . وَنَعْقِدَ بَيْنَنَا عُقُودَ الْمُصَادَقَةِ . وَيَصِيرَ رَفِيقَنَا وَنَصِيرَ رِفَاقَهُ . فَقَالَ : مَا لِي بِرُؤْيَتِهِ حَاجَةٌ . فَدَعْ عَنْكَ الْمُحَاجَّةَ وَاللَّجَاجَةَ . فَقَالَ : أَوَمَا زَعَمْتَ يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا طَرَائِقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ هٰذَا الْكَلْبُ . لَمَا قَابَلَهُ الْمَلِكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ . قَالَ : لَعَلَّ هٰذَا الْمَشْؤُومَ . لَمْ يَبْلُغْهُ الْمَرْسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخَلَاصِ جَانِبًا

الجمل والملح

٩١ كَانَ جَمَّالٌ فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعَيَّشُ عَلَيْهِ . وَيَقُوتُ هُوَ وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صَلَاحَهُ فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ الْمَلَّاحَةِ .

فَجِدَّ فِي تَثْقِيلِ الْأَحْمَالِ . وَمُلَازَمَتِهِ بِأَثْقَالِ الْأَثْقَالِ . إِلَى أَنْ آلَ حَالُ الْجَمَلِ إِلَى الْهُزَالِ . وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالَ . وَالْجَمَّالُ لَا يَرِقُّ لَهُ بَحَالٍ . وَيَجِدُّ فِي كَدِّهِ بِالِاشْتِغَالِ . فَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَّامِ . فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَرْعَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمَسْعَى . وَكَانَ لَهُ أَرْنَبٌ صَدِيقٌ . فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ . وَدَعَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ عَظِيمَ اشْتِيَاقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُزَّ هُزَالَهُ . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَأَلَهُ أَحْوَالَهُ . فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ عَذَابِهِ وَنَكَالِهِ . وَأَنَّ الْمِلْحَ قَدْ قَرَحَهُ . وَجَبَّ سَنَامَهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَتْهُ الْحِيلَةُ . وَأَضَلَّ إِلَى الْخَلَاصِ سَبِيلَهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْنَبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ عَصْرِ هَذَا الدُّمَّلِ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . لَقَدْ فُزْتَ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ظَهَرَ وَجْهُ الْخَلَاصِ . مِنْ شَرَكِ هَذَا الِاقْتِنَاصِ . وَالنَّجَاةُ مِنَ الِارْتِهَاصِ وَالِارْتِصَاصِ . تَحْتَ حِمْلٍ كَالرَّصَاصِ . فَهَلْ يَعْتَرِضُكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ الْمَلَّاحَةِ مَخَاضَةٌ . فَقَالَ : كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَغَدِيرٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَرْتَ فِي خَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَابْرُكْ فِيهِ وَتَمَرَّغْ . وَتَنَصَّلْ مِنْ حِمْلِكَ وَتَفَرَّغْ . وَاسْتَمِرَّ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ الْمِلْحَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ . وَكَرِّرْ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكَةَ . فَإِمَّا أَنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ حِمْلَكَ أَوْ يُخَفِّفُوهُ . أَوْ تَسْتَرِيحَ بِذَوْبِهِ مِنَ الَّذِي أَضْعَفُوهُ . فَتَحَمَّلَ الْجَمَلُ لِلْأَرْنَبِ الْمِنَّةَ . وَشَنَّفَ بِدُرِّ هَذِهِ الْفَائِدَةِ أُذُنَهُ . فَلَمَّا حَمَّلَهُ صَاحِبُهُ الْحِمْلَ الْمَعْهُودَ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَوْرُودِ . وَوَصَلَ الْمَخَاضَةَ

بَرَكَ . فَضَرَبُوهُ وَمَا احْتَرَكَ . وَتَحَمَّلَ ضَرْبَهُ وَعَسْفَهُ . حَتَّى أَذَابَ مِنَ الْحِمْلِ نِصْفَهُ . ثُمَّ نَهَضَ انْتِهَاضَةً . وَخَرَجَ مِنَ الْمَخَاضَةِ . وَلَازَمَ هَذِهِ الْعَادَةَ . إِلَى أَنْ أَفْقَرَ صَاحِبَهُ وَأَبَادَهُ . فَأَدْرَكَ الْجَمَّالُ هَذِهِ الْحِيلَةَ . فَافْتَكَرَ لَهُ فِي دَاهِيَةٍ وَبِيلَةٍ . وَعَمَدَ إِلَى عِهْنٍ مَنْفُوشٍ . وَغَيَّرَ فِي مُقَامَرَتِهِ شَكْلَ النُّقُوشِ . وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ حِمْلًا . وَبَالَغَ فِيهِ تَعْبِيَةً وَثِقْلًا . وَسَلَّطَ عَلَيْهِ الظِّمَاءَ . ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَكَ . وَتَغَافَلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ . فَتَشَرَّبَ الصُّوفُ مِنَ الْمَاءِ مَا يَمْلَأُ الْبَرَكَ . ثُمَّ أَرَادَ النُّهُوضَ . فَنَاءَ بِهِ الرُّبُوضُ . فَقَاسَى مِنَ الْمَشَاقِّ . مَا لَا يُطَاقُ . وَرَجَعَ هَذَا الْفِكْرُ الْوَبِيلُ . عَلَى الْجَمَلِ الْمِسْكِينِ بِأَضْعَافِ التَّثْقِيلِ . فَسَاءَ مَصِيرُهُ . وَكَانَ فِي تَدْبِيرِهِ تَدْمِيرُهُ . وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ . وَأَمْثَالَ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْوَصَبِ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ هَذَا الْمَثَلَ عَنِ الْجَمَلِ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْحُضَّارُ . أَنَّ الْعَدُوَّ الْغَدَّارَ . وَالْحَسُودَ الْمَكَّارَ . يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي . وَيُفْرِغُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا كَمَا هِيَ . وَيَبْذُلُ فِي ذَلِكَ جِدَّهُ وَجَهْدَهُ . وَلَا يُقَصِّرُ فِيمَا تَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ . فَتَارَةً تُدْرَكُ مَكَايِدُهُ . وَتُعْرَفُ مَصَايِدُهُ . وَتَارَةً يُغْفَلُ عَنْ دَوَاهِيهَا . فَلَا يَشْعُرُ الْخَصْمُ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . لَا بُدَّ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الِاحْتِيَالِ

البستاني والاربعة العابثون بجنته

٩٢ كَانَ مِنْ تَكْرِيتَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ . يَنْظُرُ الْبَسَاتِينَ . فَهِيَ

بَعْضِ السِّنِينَ. قَدِمَ قَرْيَةَ مَنِينَ. وَسَكَنَ فِي بُسْتَانٍ. كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ الْجِنَانِ. فِيهِ فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ. فَفِي بَعْضِ الْأَعْوَامِ. أَقْبَلَتِ الْفَوَاكِهُ بِالْإِنْعَامِ. وَنَثَرَتِ الثِّمَارُ مَلَابِسَ الْأَشْجَارِ مِنَ الْأَذْيَالِ وَالْأَكْمَامِ. فَأَلْجَأَتِ الضَّرُورَةُ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ. أَنْ خَرَجَ مِنَ الْبُسْتَانِ. ثُمَّ رَجَعَ فِي الْحَالِ فَرَأَى فِيهِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ. أَحَدُهُمْ جُنْدِيٌّ وَالْآخَرُ شَرِيفٌ. وَالثَّالِثُ فَقِيهٌ وَالرَّابِعُ تَاجِرٌ ظَرِيفٌ. قَدْ أَكَلُوا وَسَقَوْا. وَنَامُوا وَغَفَقُوا. وَتَصَرَّفُوا فِي ذَلِكَ تَصَرُّفَ الْمُلَّاكِ. وَأَفْسَدُوا فَسَادًا فَاحِشًا خَادِشًا. وَمَارِشًا وَنَاوِشًا وَنَاكِشًا. فَأَضَرَّ ذَلِكَ بِحَالِهِ. وَرَأَى الْعَجْزَ فِي أَفْعَالِهِ. إِذْ هُوَ وَحِيدٌ. وَهُمْ أَرْبَعَةٌ وَكُلٌّ عَنِيدٌ. فَسَارَعَ إِلَى التَّأْخِيذِ. وَعَزَمَ عَلَى التَّفْخِيذِ. فَابْتَدَأَ بِالتَّرْحِيبِ وَالْبَشَاشَةِ. وَالْإِكْرَامِ وَالْهَشَاشَةِ. وَأَحْضَرَ لَهُمْ مِنْ أَطَايِبِ الْفَاكِهَةِ. وَطَايَبَهُمْ بِالْمُفَاكَهَةِ. وَسَامَحَ بِالْمُمَازَحَةِ. وَمَازَحَ بِالْمُسَامَحَةِ. إِلَى أَنِ اطْمَأَنُّوا وَاسْتَكَانُوا وَاسْتَكَنُّوا. وَدَخَلُوا فِي اللَّعِبِ. وَلَاعَبُوهُ بِمَا يَجِبُ. فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ: أَيُّهَا السَّادَةُ الْكِرَامُ لَقَدْ حُزْتُمْ أَطْرَافَ الْمَعَارِفِ وَالطُّرَفِ. فَأَيُّ شَيْءٍ تُعَانُونَ مِنَ الْحِرَفِ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا جُنْدِيٌّ. وَقَالَ الْآخَرُ: أَنَا شَيْخُ الْقُضَاةِ جَدِّي. وَقَالَ الثَّالِثُ: أَنَا فَقِيهٌ. وَقَالَ الرَّابِعُ: أَنَا تَاجِرٌ نَبِيهٌ. فَقَالَ: وَاللهِ لَسْتَ بِنَبِيهٍ. وَلَكِنْ تَاجِرٌ سَفِيهٌ. وَقَبِيحُ الشَّكْلِ كَرِيهٌ. أَمَّا الْجُنْدِيُّ فَإِنَّهُ مَالِكُ رِقَابِنَا. وَحَارِسُ حِجَابِنَا. يَحْفَظُنَا بِصَوْلَتِهِ. وَيَصُونُ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا بِسَيْفِ دَوْلَتِهِ. وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ لَنَا

وِقَايَةً. وَيَنْكِي فِي أَعْدَائِنَا أَشَدَّ نِكَايَةٍ. فَلَوْ مَدَّ يَدَهُ إِلَى كُلٍّ مِنَّا وَرِزْقِهِ. فَهُوَ بَعْضُ اسْتِحْقَافِهِ وَدُونَ حَقِّهِ. وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَقَدْ تَشَرَّفَ بِهِ الْيَوْمَ مَكَانِي. وَحَلَّتْ بِهِ الْبَرَكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي. وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالِمُ فَهُوَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ. وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا. الْهَادِي إِلَى يَقِينِنَا. فَإِذَا شَرَّفُونَا بِإِقْدَامِهِمْ. وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خُدَّامِهِمْ. فَلَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا. وَالْمِنَّةُ الْوَاصِلَةُ إِلَيْنَا. وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَابِعَهُمْ. وَشَرَّ جَانٍ تَابِعَهُمْ. فَبِأَيِّ طَرِيقٍ تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي. وَتَتَنَاوَلُ سَفَرْجَلِي وَرُمَّانِي. هَلْ بَايَعْتَنِي بِمُسَامَحَةٍ. وَتَرَكْتَ لِي الْمُرَابَحَةَ. أَوْ لَكَ عَلَيَّ دَيْنٌ. أَوْ عَامَلْتَنِي نَسِيئَةً دُونَ عَيْنٍ. أَلَكَ عَلَيَّ جَمِيلَةٌ. وَهَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَسِيلَةٌ. تَقْتَضِي تَنَاوُلَ مَالِي. وَالْهُجُومَ عَلَى مِلْكِي وَمَنَالِي. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ. فَلَمْ يَعْتَرِضْ مِنْ رُفَقَائِهِ أَحَدٌ عَلَيْهِ. لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلَامِ. وَاعْتَذَرَ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ مَلَامٍ. فَأَوْثَقَهُ وِثَاقًا مُحْكَمًا. وَتَرَكَهُ مُغْرَمًا. ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً. وَهُوَ عَلَى الْخَلَاعَةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ. وَغَامَزَ الْجُنْدِيَّ وَالشَّرِيفَ عَلَى الْفَقِيهِ الظَّرِيفِ. فَقَالَ: أَيُّهَا الْعَالِمُ الْفَقِيهُ. وَالْفَاضِلُ النَّبِيهُ. أَنْتَ مُفْتِي الْمُسْلِمِينَ. وَعَالِمٌ بِمِنْهَاجِ الدِّينِ. عَلَى فَتْوَاكَ مَدَارُ الْإِسْلَامِ. وَكَلِمَتُكَ الْفَارِقَةُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. بِفَتْوَاكَ تُسْتَبَاحُ الدِّمَاءُ. فَمَنْ أَفْتَاكَ بِالدُّخُولِ فِي هٰذَا. أَفْتِنِي يَا عَالِمَ الزَّمَانِ. مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْتَاكَ بِهٰذَا أَمِ النُّعْمَانُ. أَمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمْ مَالِكٌ. فَبُحْ لَنَا بِذٰلِكَ. وَإِلَّا فَمَا بَالُكَ تَعُوثُ وَتَعْبَثُ بِمَا لَيْسَ لَكَ. وَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَجْنَادِ وَالْأَشْرَافِ. وَلَا عَلَى

إِنْ أَلَمَّتْ مُلِمَّةٌ بِي فَإِنِّي فِي ٱلْمُلِمَّاتِ صَخْرَةٌ صَمَّاءُ
حَائِزٌ فِي ٱلْبَلَاءِ عِلْمًا بِأَنْ لَيْسَ يَدُومُ ٱلنَّعِيمُ وَٱلْبَلْوَاءُ

وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَإِنِّي لَأُغْضِي مُقْلَتِي عَلَى ٱلْقَذَى وَأَلْبَسُ ثَوْبَ ٱلصَّبْرِ أَبْيَضَ أَلْجَا
وَإِنِّي لَأَدْعُو ٱللهَ وَٱلْأَمْرُ ضَيِّقٌ عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكُّ أَنْ يَتَفَرَّجَا
وَكَمْ مِنْ فَتًى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ ٱللهِ مَخْرَجَا

٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبْدِ ٱلتَّضَعْضُعَ لِلْعِدَى وَلَوْ قَطَّعَتْ فِي ٱلْجِسْمِ مِنْكَ ٱلْبَوَاتِرُ
سُرُورُ ٱلْأَعَادِي أَنْ تَرَاكَ بِذِلَّةٍ وَلٰكِنَّهَا تَعْتَمُّ إِذْ أَنْتَ صَابِرُ
إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ ٱلْقَوْلِ أَصْدَقُهُ لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ ٱلْأَثَرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ فَٱسْتَصْحَبَ ٱلصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِٱلظَّفَرِ

قَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِٱلصَّبْرِ فِيمَا قَدْ مُنِيتَ بِهِ فَٱلصَّبْرُ يُذْهِبُ مَا فِي ٱلصَّدْرِ مِنْ حَرَجِ
كَمْ لَيْلَةٍ مِنْ هُمُومِ ٱلدَّهْرِ مُظْلِمَةٍ قَدْ ضَاءَ مِنْ بَعْدِهَا صُبْحٌ مِنَ ٱلْفَرَجِ

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ٱلشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱلْبُورِينِيُّ :

صَبْرًا عَلَى نُوَبِ ٱلزَّمَانِ فَإِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِنِكَايَةِ ٱلْأَحْرَارِ
لَا يُكْسَفُ ٱلنَّجْمُ ٱلضَّعِيفُ وَإِنَّمَا يَسْرِي ٱلْكُسُوفُ لِرِفْعَةِ ٱلْأَقْمَارِ

٩٧ قَالَ إِبْرٰهِيمُ ٱلْعِمَادِيُّ :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ وَثِقْ بِفَضْلِ ٱلْإِلٰهِ وَٱبْتَهِجِ

وَٱرْجُ إِذَا ٱشْتَدَّ هَمُّ نَازِلَةٍ فَآخِرُ ٱلْهَمِّ أَوَّلُ ٱلْفَرَجِ

وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرْ فَفِي ٱللَّأْوَاءِ قَدْ يُحْمَدُ ٱلصَّبْرُ وَلَوْلَا صُرُوفُ ٱلدَّهْرِ لَمْ يُعْرَفِ ٱلْحُرُّ
وَإِنَّ ٱلَّذِي أَبْلَى هُوَ ٱلْعَوْنُ فَٱنْتَدِبْ جَمِيلَ ٱلرِّضَا يَبْقَى لَكَ ٱلذِّكْرُ وَٱلْأَجْرُ
وَثِقْ بِٱلَّذِي أَعْطَى وَلَا تَكُ جَازِعًا فَلَيْسَ بِحَزْمٍ أَنْ يُرَوِّعَكَ ٱلضُّرُّ
فَلَا نِعَمٌ تَبْقَى وَلَا نِقَمٌ وَلَا يَدُومُ كِلَا ٱلْحَالَيْنِ عُسْرٌ وَلَا يُسْرُ
تَقَلُّبُ هٰذَا ٱلْأَمْرِ لَيْسَ بِدَائِمٍ لَدَيْهِ مَعَ ٱلْأَيَّامِ حُلْوٌ وَلَا مُرُّ

قَالَ آخَرُ :

إِنَّ ٱلْأُمُورَ إِذَا ٱشْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَٱلصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا رُتِجَا
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا ٱسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

وَقَالَ آخَرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ ٱلْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ وَيُعْرَفُ عِنْدَ ٱلصَّبْرِ فَضْلُ نُهَاهُ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتَّقِيهِ ٱصْطِبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِي مَا يَرْتَجِيهِ مُنَاهُ

قَالَ ٱلْمُرَّارُ بْنُ سَعِيدٍ :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً فَبِٱلْحِلْمِ سُدْ لَا بِٱلتَّسَرُّعِ وَٱلشَّتْمِ
وَلِلْحِلْمِ خَيْرٌ فَٱعْلَمَنَّ مَغَبَّةً مِنَ ٱلْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

القناعة

٩٨ إِعْلَمْ أَنَّ مِمَّا يَتَحَقَّقُهُ ٱلْعَاقِلُ وَلَا يَذْهَلُ عَنْهُ إِلَّا ٱلْأَبْلَهُ أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ ٱلْأَكْدَارِ وَمَحَلُّ ٱلْهُمُومِ وَٱلْغُمُومِ وَٱلْحَسَرَاتِ . وَأَنَّ أَخَفَّ ٱلْخَلْقِ

بَلاءً وَأَلَمًا ٱلْفُقَرَاءُ . وَأَعْظَمَ ٱلنَّاسِ تَعَبًا وَهَمًّا وَغَمًّا هُمُ ٱلْمُلُوكُ وَٱلْأُمَرَاءُ وَٱلْكُبَرَاءُ . وَيُقَالُ : لِكُلِّ شِبْرٍ قَامَةٌ مِنَ ٱلْهَمِّ . وَقِيلَ :

لَقَدْ قَنِعَتْ هِمَّتِي بِٱلْخُمُولِ ... وَصَدَّتْ عَنِ ٱلرُّتَبِ ٱلْعَالِيَهْ
وَمَا جَهِلَتْ طِيبَ طَعْمِ ٱلْعُلَى ... وَلٰكِنَّهَا تُؤْثِرُ ٱلْعَافِيَهْ
وَطَالَمَا رَضِيَتِ ٱلْمُلُوكُ وَٱلسَّلَاطِينُ بِحَالِ ٱلْفُقَرَاءِ وَٱلضُّعَفَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ

فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ ... وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقَلُّهَا

فَٱرْضَ بِحَالِ فَقْرِكَ . وَٱشْكُرِ ٱللهَ تَعَالَى عَلَى خِفَّةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَعَدَّ طَوْرَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَجِدْ ذٰلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقَهَا ٱللهُ تَعَالَى إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَفَاضَهَا ٱللهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ . فَٱعْتَبِرْ بِهٰذِهِ ٱلْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ هٰذِهِ ٱلْعِظَاتِ . وَمِنْ ذٰلِكَ أَنَّ هَارُونَ ٱلرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَٱتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنَ بِحَيْثُ كَانَ يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ : أَمْطِرِي حَيْثُ شِئْتِ فَإِنَّ خَرَاجَ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي تَمْطُرِينَ فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذٰلِكَ كَانَ أَتْعَبَهُمْ خَاطِرًا وَأَشَتَّهُمْ فِكْرًا وَأَشْغَلَهُمْ قَلْبًا (الاعلام لقطب الدين النهروالي)

٩٩ وَللهِ مَنْ قَالَ :

أَرَى ٱلدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ ... عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
إِذَا ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعْهُ ... وَخُذْ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ

قَالَ آخَرُ :

أَفَادَتْنِي ٱلْقَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ ... وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ ٱلْقَنَاعَهْ
فَٱجْعَلْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ ... وَٱشْتَرِ بَعْدَهَا ٱلتَّقْوَى بِضَاعَهْ

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

غِنَى ٱلنَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ فَاقَةٍ ... فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ ٱلْغِنَى فَقْرَا

قَالَ غَيْرُهُ :

يَا أَحْمَدُ ٱقْنَعْ بِٱلَّذِي أُوتِيتَهُ ... إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذُلَّهَا
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱللهَ جَلَّ جَلَالُهُ ... لَمْ يَخْلُقِ ٱلدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلَّهَا

العدل

١٠٠ يُحْكَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ ٱلسَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سِيَرِ ٱلْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا ٱحْتَلَّ مَدِينَةً يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ ٱلْحِجَابَ . وَيُبْعِدُ ٱلْحُجَّابَ . وَيُرِيحُ ٱلْبَوَّابَ . لِيَجِيءَ كُلُّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَقِفَ عَلَى جَانِبِ ٱلْبِسَاطِ وَيُخَاطِبَهُ وَيَعُودَ مَقْضِيَّ ٱلْحَاجَةِ . وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ ٱلْخُصُومِ مِثْلَ ٱلْحُكَّامِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ ٱلدَّعَاوِيَ . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى مَحَاسِنِهِ بِيَدِهِ . وَيُوَجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلٰهِي هٰذَا جُهْدِي وَطَاقَتِي قَدْ بَذَلْتُهُ وَأَنْتَ عَالِمُ ٱلْأَسْرَارِ وَتَعْلَمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ عَلَى أَيِّ عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِيَ أَجْنَفْتُ أَوْ لِأَيِّ عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ أَنَا أَوْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي . فَٱغْفِرْ لِي مِنْ ذٰلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ تَقِيَّ ٱلنِّيَّةِ جَمِيلَ ٱلطَّوِيَّةِ لَا جَرَمَ عَلَا أَمْرُهُ وَٱرْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلْفَ فَارِسٍ مُعْتَدِّينَ بِالسِّلَاحِ مُقَنَّعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِبَرَكَةِ ذٰلِكَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ظَفَّرَهُ اللهُ بِأَعْدَائِهِ (للغزالي)

قَالَ شَاعِرٌ:

أَلْعَدْلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الْبِلَادُ كَمَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجَوْرِ يَحْتَتِمُ
أَلْجَوْرُ شَيْنٌ بِهِ التَّعْسِيرُ مُمْتَنِعٌ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّيْسِيرُ يَنْتَظِمُ

١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَعْدِلَ. اسْتَغَاثَتِ النَّاسُ مِنْ ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَاشْتَكَوْهُ إِلَيْهَا. فَقَالَتْ لَهُمْ: مَتَى يَرْكَبُ. فَقَالُوا: فِي غَدٍ فَكَتَبَتْ رُقْعَةً وَوَقَفَتْ فِي طَرِيقِهِ. وَقَالَتْ: يَا أَحْمَدُ بْنَ طُولُونَ. فَلَمَّا رَآهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا مِنْهَا وَقَرَأَهَا. فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلَكْتُمْ فَقَسَرْتُمْ. وَقَدَرْتُمْ فَقَهَرْتُمْ. وَخُوِّلْتُمْ فَعَسَفْتُمْ. وَدَرَّتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْزَاقُ فَقَطَعْتُمْ. هٰذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سِهَامَ الْأَسْحَارِ نَافِذَةٌ لَا سِيَّمَا مِنْ قُلُوبٍ أَجَعْتُمُوهَا. وَأَجْسَادٍ أَعْرَيْتُمُوهَا. اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ. وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللهِ مُسْتَجِيرُونَ. وَاظْلِمُوا فَإِنَّا مِنْكُمْ مُتَظَلِّمُونَ. وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ. فَعَدَلَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ (لبهاء الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ الثَّعَالِبِيُّ قَالَ: اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفُرَاتِ أَيَّامَ وِزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى صَاحِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ. فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ: لَا تَلُمْنِي عَلَى نُكُوصِي عَنْ نُصْرَتِكَ فِي شَهَادَةِ زُورٍ. فَإِنَّهُ لَا إِنْفَاقَ عَلَى نِفَاقٍ. وَلَا وَفَاءَ لِذِي مَيْنٍ وَاخْتِلَاقٍ. وَأَحْرِ بِمَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ فِي

مَسَرَّتِكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَّى الْبَاطِلَ فِي مَسَاءَتِكَ إِذَا غَضِبَ. وَكَأَنَّ الْمُتَنَبِّيَ أَشَارَ إِلَى هٰذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ:

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ

الكرم

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ يَقُولُ: تَنَافَسُوا فِي الْمَغَانِمِ وَسَارِعُوا إِلَى الْمَكَارِمِ. وَاكْتَسِبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا. وَلَا تَعِدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تُعَجِّلُوهُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَيْكُمْ فَلَا تَمَلُّوهَا فَتَعُودَ نِقَمًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

مَاتَ الْكِرَامُ وَوَلَّوْا وَانْقَضَوْا وَمَضَوْا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تِلْكَ الْكَرَامَاتُ
وَخَلَّفُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ لَوْ عَايَنُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي الْكَرَى مَاتُوا

١٠٤ قَالَ آخَرُ:

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَنَلْ مَالِي مَدَى خُلُقِي فَيَاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَّايَ مِنْ مَالِ
لَا أَحْبِسُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أُتْلِفُهُ وَلَا تُعَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالِ

وَقَالَ سَوَادَةُ الْيَرْبُوعِيُّ:

أَلَا بَكَرَتْ مَيٌّ عَلَيَّ تَلُومُنِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهْ
ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ لَا يُخْلِدُ الْفَتَى وَلَا يُهْلِكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ فَاعِلُهْ

قَالَ آخَرُ:

يُفْنِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ مَا يَدَعُ
كَدُودَةِ الْقَزِّ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِمُهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ طُولَ حَيَاتِهِ ... مُعَنًّى بِأَمْرٍ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهْ
كَذَلِكَ دُودُ الْقَزِّ يَنْسِجُ دَائِمًا ... وَيَهْلِكُ غَمًّا بِالَّذِي هُوَ نَاسِجُهْ

الوفاء

١٠٥ يُعْجِبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَ فَلْيَكُنْ ثَمَرُهَا سَالِمًا مِنْ جَوَائِحِ الْمَطْلِ وَالسَّلَامُ (للحموي)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ ... فَإِنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبُ
وَإِلَّا فَقُلْ لَا تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا ... لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ

وَقَالَ آخَرُ :

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ ... لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامِ
أَنْعِمْ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكَرُّمًا ... فَالْمَطْلُ يُذْهِبُ بَهْجَةَ الْإِنْعَامِ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَئِنْ جُمِعَ الْآفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا ... وَشَرٌّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا ... وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلُ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالِاسْتِخَارَةِ وَثَنَّى بِالِاسْتِشَارَةِ فَحَقِيقٌ أَنْ لَا يُخَيِّبَ رَأْيُهُ . وَقِيلَ : الرَّأْيُ السَّدِيدُ أَحْمَى مِنَ الْبَطَلِ الشَّدِيدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَذَلَ

نُصْحَهُ وَاجْتِهَادَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ بَذَرَ فِي السِّبَاخِ . قَالَ الشَّاعِرُ يَمْدَحُ مَنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا ... يُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهْ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فَطِيرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للابشيهي)

وَمَا يُعْرَفُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي ذَلِكَ :

نَارُ الرَّوِيَّةِ نَارُ جِدٍّ مُنْضِجَةٍ ... وَلِلْبَدِيهَةِ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحِ
وَقَدْ يُفَضِّلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا ... لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

أَلرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ ... هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ ... بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ ... بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ ... أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسَ فِي الْأَمْرِ إِذْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ مَشُورَةِ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْقَوَادِمَ مِنْ رِيشِ الْجَنَاحِ تَسْتَعِينُ بِالْخَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارٌ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ ... بِحَزْمِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمِ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً ... فَرِيشُ الْخَوَافِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلُّ أُخْتَهَا ... وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ

قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ : قُلْتُ لِبَشَّارٍ : رَأَيْتُ رِجَالَ ٱلرَّأْيِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ أَبْيَاتِكَ فِي ٱلْمَشُورَةِ . فَقَالَ : أَوَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ٱلْمُشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ . صَوَابٍ يَفُوزُ بِثَمَرَتِهِ . أَوْ خَطَإٍ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَقَالَ ٱلْجَاحِظُ : ٱلْمَشُورَةُ لِقَاحُ ٱلْعُقُولِ وَرَائِدُ ٱلصَّوَابِ وَٱلْمُسْتَشِيرُ عَلَى طَرَفِ ٱلنَّجَاحِ . وَٱسْتِشَارَةُ ٱلْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ وَحَزْمِ ٱلتَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لَأَنْ أُخْطِئَ وَقَدِ ٱسْتَشَرْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدِ ٱسْتَبْدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ

(لابي نصر المقدسي)

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

لَا تَحْقِرَنَّ ٱلرَّأْيَ وَهْوَ مُوَافِقٌ ... حُكْمَ ٱلصَّوَابِ إِذَا أَتَى مِنْ نَاقِصِ
فَٱلدُّرُّ وَهْوَ أَجَلُّ شَيْءٍ يُقْتَنَى ... مَا حَطَّ قِيمَتَهُ هَوَانُ ٱلْغَائِصِ

قَالَ ٱلْأَرَّجَانِيُّ وَأَجَادَ :

شَاوِرْ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ ... يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَشُورَاتِ
فَٱلْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَأَى ... وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرْآةِ

وَقَالَ أَيْضًا :

خَصَائِصُ مَنْ تُشَاوِرُهُ ثَلَاثُ ... فَخُذْ مِنْهَا جَمِيعًا بِٱلْوَثِيقَهْ
وَدَادٌ خَالِصٌ وَوُفُورُ عَقْلٍ ... وَمَعْرِفَةٌ بِحَالِكَ وَٱلْحَقِيقَهْ
فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هٰذِي ٱلْمَعَانِي ... فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَٱلْزَمْ طَرِيقَهْ

وَلِأَبِي ٱلْأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيِّ :

فَمَا كُلُّ ذِي نُصْحٍ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ ... وَلَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَبِيبِ
وَلٰكِنْ إِذَا مَا ٱسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ ... فَحُقَّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبِ

الحسد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : مَا أَمْحَقَ لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتَكَ لِلسِّتْرِ مِنَ ٱلْحَسَدِ . وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلْحَاسِدَ مُفَنِّدٌ لِحُكْمِ ٱللهِ . بَاغٍ عَلَى عِبَادِهِ . عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَعُدُّ نِعَمَ ٱللهِ نِقَمًا وَمَزِيدَهُ غِيَرًا . وَعَدْلَ قَضَائِهِ حَيْفًا لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدَأُ لَيْلُهُ . وَلَا يَنَامُ جَشْعُهُ . وَلَا يَنْفَعُهُ عَيْشُهُ . مُحْتَقِرٌ لِنِعَمِ ٱللهِ عَلَيْهِ . مُتَسَخِّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ غَلِيلُهُ . وَلَا تُؤْمَنُ غَوَائِلُهُ . إِنْ سَالَمْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَاصَلْتَهُ قَطَعَكَ . وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَقَكَ . ذُكِرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ فَقَالَ : يَا عَجَبًا لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ ٱلشَّيْطَانُ مَهَاوِيَ ٱلضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ فُحْمَ ٱلْهَلَكَةِ . فَصَارَ لِنِعَمِ ٱللهِ تَعَالَى بِٱلْمِرْصَادِ إِنْ أَنَالَهَا مَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ . أُشْعِرَ قَلْبُهُ ٱلْأَسَفَ عَلَى مَا لَمْ يُقْدَرْ لَهُ . وَأَغَارَهُ ٱلْكَفُّ بِمَا لَمْ يَكُنْ لِيَنَالَهُ . قَالَ سُلَيْمَانُ ٱلتَّيْمِيُّ : ٱلْحَسَدُ يُضْعِفُ ٱلْيَقِينَ وَيُسْهِرُ ٱلْعَيْنَ وَيُكْثِرُ ٱلْهَمَّ . وَلِأَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ :

أَيَا رَبِّ إِنَّ ٱلنَّاسَ لَا يُنْصِفُونَنِي ... وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتُهُمْ ظَلَمُونِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّوْا لِأَخْذِهِ ... وَإِنْ جِئْتُ أَبْغِي مِنْهُمُ مَنَعُونِي
وَإِنْ نِلْتُهُمْ بِذْلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ ... وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذِلْ لَهُمْ شَتَمُونِي

وَإِنْ طَرَقَتْنِي نِقْمَةٌ فَرِحُوا بِهَا ... وَإِنْ صَحِبَتْنِي نِعْمَةٌ حَسَدُونِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِمُ ... وَأَحْجُبُ عَنْهُمْ نَاظِرِي وَجُفُونِي

كَتَبَ ٱبْنُ بِشْرٍ ٱلْمَرْوَزِيُّ إِلَى ٱبْنِ ٱلْمُبَارَكِ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ:

كُلُّ ٱلْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا ... إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ
فَإِنَّ فِي ٱلْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةً عُقِدَتْ ... وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى ٱلْأَبَدِ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

يَا طَالِبَ ٱلْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَةٍ ... رَغْدًا بِلَا قُتَرٍ صَفْوًا بِلَا رَنَقِ
خَلِّصْ فُؤَادَكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ ... فَٱلْغِلُّ فِي ٱلْقَلْبِ مِثْلُ ٱلْغُلِّ فِي ٱلْعُنُقِ

(لابن عبد ربّه)

وَقَالَ آخَرُ:

إِيَّاكَ وَٱلْحَسَدَ ٱلَّذِي هُوَ آفَةٌ ... فَتَوَقَّهُ وَتَوَقَّ غِرَّةَ مَنْ حَسَدْ
إِنَّ ٱلْحَسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوَدَّةً ... بِٱلْقَوْلِ فَهْوَ لَكَ ٱلْعَدُوُّ ٱلْمُجْتَهِدْ

وَلِبَعْضِ ٱلْأُدَبَاءِ يَنْصَحُ ٱلْحَسُودَ:

لَا يُحْزِنَنَّكَ فَقْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا ... تَتْبَعْ أَخَا لَكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدَا
فَإِنَّهُ فِي رَخَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ ... وَأَنْتَ تَلْقَى بِذَاكَ ٱلْهَمَّ وَٱلنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ إِعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ ٱلْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ ٱلْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَظْهَرُ ٱلْمَصْلَحَةُ فِيهِ. وَمَتَى ٱسْتَوَى ٱلْكَلَامُ وَتَرْكُهُ فِي ٱلْمَصْلَحَةِ فَٱلسُّنَّةُ ٱلْإِمْسَاكُ عَنْهُ. لِأَنَّهُ قَدْ يَجُرُّ ٱلْكَلَامُ ٱلْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ. بَلْ هٰذَا كَثِيرٌ وَغَالِبٌ فِي ٱلْعَادَةِ. وَٱلسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ. قَالَ وُهَيْبُ بْنُ ٱلْوَرْدِ: بَلَغَنَا أَنَّ ٱلْحِكْمَةَ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي ٱلصَّمْتِ وَٱلْعَاشِرَةُ فِي عُزْلَةِ ٱلنَّاسِ. وَمِنْ كَلَامِ ٱلْحُكَمَاءِ: مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَغَا. وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ ٱعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا. وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا. وَقِيلَ: لَوْ قَرَأْتَ صَحِيفَتَكَ. لَأَغْمَدْتَ صَفِيحَتَكَ. وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ. لَخَتَمْتَ عَنْ لِسَانِكَ. وَقِيلَ: ٱلْكَلِمَةُ أَسِيرَةٌ فِي وِثَاقِ ٱلرَّجُلِ. فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وِثَاقِهَا. يَقُولُ ٱللِّسَانُ كُلَّ صَبَاحٍ وَكُلَّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ: كَيْفَ أَنْتُنَّ. فَيَقُلْنَ بِخَيْرٍ إِنْ تَرَكْتَنَا (للابشيهي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

إِنَّ ٱلْقَلِيلَ مِنَ ٱلْكَلَامِ بِأَهْلِهِ ... حَسَنٌ وَإِنَّ كَثِيرَهُ مَمْقُوتُ
مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مُكْثِرٍ ... إِلَّا يَزِلُّ وَمَا يُعَابُ صَمُوتُ
إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ ... فَٱلصَّمْتُ دُرٌّ زَانَهُ يَاقُوتُ

١١٠ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ. فَإِذَا بَلَغْتَ حَاجَتَكَ فَلَا تَتَكَلَّفْ. وَقَالَ أَيْضًا: أَنْتَ سَالِمٌ مَا سَكَتَّ. فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَكَ أَوْ عَلَيْكَ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ: ٱلْكَلَامُ كَٱلدَّوَاءِ إِنْ أَقْلَلْتَ مِنْهُ نَفَعَ. وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنْهُ صَدَعَ. وَقَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ ٱلْحَجَرِ. وَأَنْفَذُ مِنْ وَخْزِ ٱلْإِبَرِ. وَأَمَرُّ مِنَ ٱلصَّبِرِ. وَأَحَرُّ مِنَ ٱلْجَمْرِ. وَإِنَّ ٱلْقُلُوبَ مَزَارِعُ فَٱزْرَعْ فِيهَا طَيِّبَ

الكلام . فإن لم ينبت فيها كلُّه نبت بعضه . وقال علي : ما حبس الله جارحة في حصن أوثق من اللسان . الأسنان أمامه والشفتان من وراء ذلك . واللهاة مطبقة عليه والقلب من وراء ذلك . فاتق الله ولا تطلق هذا المحبوس من حبسه إلا إذا أمنت شره . وقال بعض الأدباء : احبس لسانك قبل أن يطيل حبسك (للشبراوي)

قال الشاعر :

واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة في كل نادٍ تخطب

قال أبو بكر بن سعدون :

سجن اللسان هو السلامة للفتى ... من كل نازلة لها استئصال
إن اللسان إذا حللت عقاله ... ألقاك في شنعاء ليس تقال

قال أبو عثمان بن لبون التجيبي :

نزه لسانك عن قول تعاب به ... وارغب بسمعك عن قيل وعن قال
لا تبغ غير الذي يغنيك واطرح الـ ... ـفضول تحي قرير العين والبال

كتمان السر

١١١ قال حكيم : كما إنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها . كذلك لا خير في صدر لا يكتم سره . قال آخر : من كتم سره سره . ومن الناس شره . ومن حكم لسانه شانه . وأفسد شانه . وقال بعضهم : من زعم أنه يجد راحة في إفشاء سره إلى غيره فقد اتهم عقله .

لأن مشقة الاستبداد بالسر أقل من مشقة إفشائه بسبب المشاركة (للشبراوي)

قال القاضي الأسعد أبو المكارم المصري الكاتب :

وأكتم السر حتى عن إعادته ... إلى المسر به من غير نسيان
وذاك أن لساني ليس يعلمه ... سمعي بسر الذي قد كان ناجاني

١١٢ (في التاج) أن بعض ملوك العجم استشار وزيريه . فقال أحدهما : لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحدا إلا اخاليا . فإنه أموت للسر وأحزم للرأي وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض . فإن إفشاء السر لرجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين . وإفشاءه إلى ثلاثة كإفشائه إلى جماعة . فإذا كان السر عند واحد كان أحرى أن لا يظهر رغبة ورهبة . وإن كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاريض فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد . وإن اتهمهما اتهم بريئا بخيانة مجرم . وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه

الغيبة

١١٣ عاب رجل رجلا عند بعض الأشراف فقال له : قد استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس . لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها . أما سمعت قول الشاعر :

لا تهتكن من مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترا من مساويكا

وَاذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَا

(لابن عبد ربّه)

قَالَ ٱبْنُ ٱلْحَاجِّ ٱلدَّلَفِيُّ:

إِنَّ ٱلْكَرِيمَ ٱلَّذِي تَبْقَى مَوَدَّتُهُ وَيَحْفَظُ ٱلسِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ ٱلْكَرِيمُ ٱلَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ ٱلَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلَمَا

وَقَالَ أَيْضًا:

إِذَا مَا كَتَمْتُ ٱلسِّرَّ عَمَّنْ أَوَدُّهُ تَوَهَّمَ أَنَّ ٱلْوُدَّ غَيْرُ حَقِيقِ
وَلَمْ أُخْفِ عَنْهُ ٱلسِّرَّ مِنْ ضِنَّةٍ بِهِ وَلٰكِنَّنِي أَخْشَى صَدِيقَ صَدِيقِي

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: لَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ غَيَّابٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ. وَحَسْبُكَ بِٱلنَّمَّامِ خِسَّةً وَرَذِيلَةً سُقُوطُهُ وَضَعَتُهُ (وَٱلْهَمَّازُ ٱلْمُغْتَابُ ٱلَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ ٱلنَّاسِ ٱلطَّاعِنُ فِيهِمْ). قَالَ حَكِيمٌ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ. قَالُوا: بَلَى. قَالَ: شِرَارُكُمُ ٱلْمَشَّاؤُونَ بِٱلنَّمِيمَاتِ ٱلْمُفْسِدُونَ بَيْنَ ٱلْأَحِبَّةِ ٱلْبَاغُونَ ٱلْعُيُوبَ. وَقِيلَ مَلْعُونٌ ذُو ٱلْوَجْهَيْنِ. مَلْعُونٌ ذُو ٱللِّسَانَيْنِ. مَلْعُونٌ كُلُّ شَغَّازٍ. مَلْعُونٌ كُلُّ قَتَّاتٍ. مَلْعُونٌ كُلُّ نَمَّامٍ. مَلْعُونٌ كُلُّ مَنَّانٍ (وَٱلشَّغَّازُ ٱلْمُحَرِّشُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ يُلْقِي بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ. وَٱلْقَتَّاتُ ٱلنَّمَّامُ. وَٱلْمَنَّانُ ٱلَّذِي يَعْمَلُ ٱلْخَيْرَ وَيَمُنُّ بِهِ). قَالَ آخَرُ: ٱحْذَرُوا أَعْدَاءَ ٱلْعُقُولِ وَلُصُوصَ ٱلْمَوَدَّاتِ. وَهُمُ ٱلسُّعَاةُ وَٱلنَّمَّامُونَ. إِذَا سَرَقَ ٱللُّصُوصُ ٱلْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمُ ٱلْمَوَدَّاتِ. وَفِي ٱلْمَثَلِ ٱلسَّائِرِ: مَنْ أَطَاعَ ٱلْوَاشِيَ ضَيَّعَ ٱلصَّدِيقَ وَقَدْ تُقْطَعُ ٱلشَّجَرَةُ فَتَنْبُتُ

وَيَقْطَعُ ٱللَّحْمَ ٱلسَّيْفُ فَيَنْدَمِلُ. وَٱللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ. قَالَ صَالِحُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْقُدُّوسِ:

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَدْرِي مِنْ تَلَوُّنِهِ أَنَاصِحٌ أَمْ عَلَى غِشٍّ يُنَاجِينِي
إِنِّي لَأَكْثَرُ مِمَّا سُمْتَنِي عَجَبًا يَدٌ تَشُجُّ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَغْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي فِي آخَرِينَ وَكُلٌّ عَنْكَ يَأْتِينِي
هٰذَانِ شَيْئَانِ قَدْ نَافَيْتَ بَيْنَهُمَا فَاكْفُفْ لِسَانَكَ عَنْ شَتْمِي وَتَرْبِينِي

١١٤ وَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ: ٱلنَّمِيمَةُ لَا تَتْرُكُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا. وَلَا عَدَاوَةً إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا. ثُمَّ لَا بُدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثَقَ بِمَكَانِهِ. وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

مَنْ نَمَّ فِي ٱلنَّاسِ لَمْ تُؤْمَنْ عَقَارِبُهُ عَلَى ٱلصَّدِيقِ وَلَمْ تُؤْمَنْ أَفَاعِيهِ
كَٱلسَّيْلِ بِٱللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
أَلْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْقُضُهُ وَٱلْوَيْلُ لِلْوُدِّ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ

(للابشيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ: ٱلْكَذِبُ شِعَارُ ٱلْخِيَانَةِ وَتَحْرِيفُ ٱلْعِلْمِ وَخَوَاطِرُ ٱلزُّورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ ٱلنَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ ٱلتَّرْكِيبِ وَٱخْتِلَافُ ٱلْبُنْيَةِ. وَعَنْ خُمُولِ ٱلذِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِٱبْنِهِ وَسَمِعَهُ يَكْذِبُ: يَا بُنَيَّ عَجِبْتُ مِنَ ٱلْكَذَّابِ ٱلْمُشِيدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى عَيْبِهِ وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ. فَٱلْآثَامُ لَهُ عَادَةٌ. وَٱلْأَخْبَارُ عَنْهُ

مُتَضَادَّةٌ . إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ . وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُوَفَّقْ . فَهُوَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ . وَالدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ . فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لابن عبد ربّه)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكَذُوبِ وَإِفْكِهِ فَلَرُبَّمَا مَزَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْكَذُوبُ تَفَكُّهًا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَبْكِهِ
وَلَرُبَّمَا صَمَتَ الْكَذُوبُ تَخَلُّصًا وَشَكَا مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَشْكِهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ امْرُؤٌ بِكَلَامِهِ وَبِصَمْتِهِ وَبُكَائِهِ وَبِضَحِكِهِ

المزاح

١١٦ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ لِابْنِ الْقِرِّيَّةِ : مَا زَالَتِ الْحُكَمَاءُ تَكْرَهُ الْمُزَاحَ وَتَنْهَى عَنْهُ . فَقَالَ : الْمُزَاحُ مِنْ أَدْنَى مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا عَشَرَةُ أَبْوَابٍ . الْمُزَاحُ أَوَّلُهُ فَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرَحٌ . الْمُزَاحُ نَقَائِضُ السُّفَهَاءِ كَالشِّعْرِ نَقَائِضُ الشُّعَرَاءِ . وَالْمُزَاحُ يُوغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ . وَيُنَفِّرُ الرَّفِيقَ . وَالْمُزَاحُ يُبْدِي السَّرَائِرَ . لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِرَ . وَالْمُزَاحُ يُسْقِطُ الْمُرُوءَةَ . وَيُبْدِي الْخَنَى . لَمْ يَجُرَّ الْمُزَاحُ خَيْرًا . وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا . أَلْغَالِبُ بِالْمُزَاحِ وَاتِرٌ . وَالْمَغْلُوبُ بِهِ ثَائِرٌ . وَالْمُزَاحُ يَجْلُبُ الشَّتْمَ صَغِيرُهُ . وَالْحَرْبَ كَبِيرُهُ . وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ قُدْرَةٍ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ : حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوٍ مَعَهُ قُدْرَةٌ . وَذُكِرَ الْمُزَاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ فَقَالَ : يُنْتَفُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْخَرْدَلِ . وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ

الْمِرْجَلِ . وَيَرْمِيهِ مِثْلَ الْجَنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ . أَخَذَ هٰذَا الْمَعْنَى مَحْمُودُ بْنُ الْحَسَنِ الْوَرَّاقُ فَقَالَ :

تَلْقَى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمُلَاعِبًا هَيْهَاتَ نَارُكَ فِي الْحَشَى تَتَسَعَّرُ
أَوَمَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهْلُكَ غَالِبًا أَنَّ الْمُزَاحَ هُوَ السِّبَابُ الْأَصْغَرُ

(للقيرواني)

الصداقة وخلوص المودة

١١٧ (قِيلَ فِي الْمُبْهِجِ) : الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ ثَانِي النَّفْسِ وَثَالِثُ الْعَيْنَيْنِ . (وَمِنْهُ) الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ . كَالشَّقِيقِ الشَّفُوقِ . (وَمِنْهُ) الصَّدِيقُ عُمْدَةُ الصَّدِيقِ وَعُدَّتُهُ . وَنُصْرَتُهُ وَعُقْدَتُهُ . وَرَبِيعُهُ وَزَهْرَتُهُ . وَمُشْتَرِيهِ وَزُهْرَتُهُ . وَمِنْهُ لِقَاءُ الْخَلِيلِ شِفَاءُ الْغَلِيلِ . وَلَيْسَ لِلصَّدِيقِ إِذَا حَضَرَ عَدِيلٌ . وَلَا عَنْهُ إِذَا غَابَ بَدِيلٌ . وَمَثَلُ الصَّدِيقَيْنِ كَالْيَدِ تَسْتَعِينُ بِالْيَدِ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ . (وَمِنْهُ) لِقَاءُ الصَّدِيقِ رَوْحُ الْحَيَاةِ . وَفِرَاقُهُ سُمُّ الْمَمَاتِ . (وَمِنْهُ) لَا تُسَاغُ مَرَارَةُ الْأَوْقَاتِ . إِلَّا بِحَلَاوَةِ الْإِخْوَانِ الثِّقَاتِ . فَاسْتَرْوِحْ مِنْ غُمَّةِ الزَّمَانِ بِمُؤَانَسَةِ الْخُلَّانِ . (وَمِنْهُ) الْحَاجَةُ إِلَى الْأَخِ الْمُعِينِ . كَالْحَاجَةِ إِلَى الْمَاءِ الْمَعِينِ . وَلِبَعْضِهِمْ فِي مَعْنَى هٰذَا الْبَابِ :

مَا ضَاعَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ مِنْ شَانِهِ
فَإِنَّمَا الدُّنْيَا بِسُكَّانِهَا وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِإِخْوَانِهِ

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو الْوُدِّ مِنِّي وَذُو الْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ ... وَإِخْوَتِي أُسْوَةٌ عِنْدِي وَإِخْوَانِي
عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابُهُمْ أَدَبِي ... فَهُمْ وَإِنْ فُرِّقُوا فِي الْأَرْضِ جِيرَانِي
أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ ... أَبْدَانُنَا بِشَآمٍ أَوْ خُرَاسَانِ

قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمَنْ ... بَعْدَ السَّلَامِ طَعَامٌ ثُمَّ تَرْحِيبُ
وَبَعْدَ ذَاكَ كَلَامٌ فِي مُلَاطَفَةٍ ... وَضَحْكُ ثَغْرٍ وَإِحْسَانٌ وَتَقْرِيبُ
وَأَصْلُ ذَلِكَ إِنْ تَبْغِي شَمَائِلَهَا ... بَيْنَ الْأَحِبَّةِ تَأْيِيدٌ وَتَأْدِيبُ
لَمْ تَنْسَ غَيْبًا وَلَمْ تَمْلَلْ إِذَا حَضَرُوا ... قَدْ زَانَ ذَلِكَ تَهْذِيبٌ وَتَرْتِيبُ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا ... لَمْ يَثْنِهِمْ عَنْهُ تَرْغِيبٌ وَتَرْهِيبُ

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ ظَهِيرُ الدِّينِ الْمَوْصِلِيُّ :

لَا تَنْسِبُونِي يَا ثِقَاتِي إِلَى ... غَدْرٍ فَلَيْسَ الْغَدْرُ مِنْ شِيَمِتِي
أَقْسَمْتُ بِالذَّهَابِ مِنْ عَيْشِنَا ... وَبِالْمَسَرَّاتِ الَّتِي وَلَّتِ
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَحْلُ ... وَعُقْدَةُ الْمِيثَاقِ مَا حُلَّتِ

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَلَوِيَّةَ الْمَجْنُونِ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيُغَنِّي بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ ... صَفَالِي وَلَا إِنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ ... يَرُوقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدُرْتُ عَلَيْهِ

فَسَمِعَ الْمَأْمُونُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْمُغَنِّينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَاسْتَظْرَفَهُ الْمَأْمُونُ . وَقَالَ : ادْنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدِّدْهَا . فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِ الْخِلَافَةَ وَأَعْطِنِي هَذَا الصَّاحِبَ

(لبهاء الدين)

١٢٠ قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمُرِّ وَأَيْنَ الشَّرِيكُ فِي الْمُرِّ أَيْنَا
أَلَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَيِّ وَإِنْ غِبْتَ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنَا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غِبْتَ عَنْهُمْ ... بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنَا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا ... أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرَايَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وِدًّا صَحِيحًا ... صَارَ كُلُّ الْوِدَادِ زُورًا وَمَيْنَا

قَالَ بَشَّارٌ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا ... صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهْ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ... ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ... مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ

١٢١ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ الْبَاهِلِيِّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ . فَنَالَ مَرْتَبَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرُهُ فَجَفَا مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصْلُ الْمُلُوكِ إِلَى التَّعَالِي ... وَوَفَاءُ الْمُلُوكِ مِنَ الْمُحَالِ
مَالِي رَأَيْتُكَ لَا تَدُو ... مُ عَلَى الْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرْ ... فٍ قُلْتَ ذَاكَ أَخُو ضَلَالِ

أَوْ كَانَ ذَا نَسَبٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَاكَ مِنَ الثِّقَالِ
أَوْ كَانَ فِي وَسَطٍ مِنَ الْأَمْرَيْنِ قُلْتَ يُرِيعُ مَالِي
فَبِمِثْلِ ذَا ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ تَبْتَنِي رُتَبَ الْمَعَالِي

١٢٢ قَالَ الْعَنَزِيُّ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَّادٍ:

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
مُتَصَنِّعٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالتَّرْحِيبِ وَالْبِشْرِ
يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءِ وَيَلْـ ـحِي الْغَدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا الْغَدْرِ
فَإِذَا عَدَا وَالدَّهْرُ ذُو غِيَرٍ دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
فَارْفِضْ بِإِجْمَالٍ مَوَدَّةَ مَنْ يَقْلِي الْمُقِلَّ وَيَعْشَقُ الْمُثْرِي
وَعَلَيْكَ مَنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْيُسْرِ
لَا تَخْلِطَنَّهُمُ بِغَيْرِهِمِ مَنْ يَخْلِطِ الْعِقْيَانَ بِالصُّفْرِ

قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ الْمَنُوفِيُّ:

أَتَرْعُمُ أَنَّكَ الْخِدْنُ الْمُفَدَّى وَأَنْتَ مُصَادِقٌ أَعْدَايَ حَقًّا
إِلَيَّ إِلَيَّ فَاجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقْ مَنْ أُصَادِقُهُ تُحِقًّا
وَجَانِبْ مَنْ أُعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدْنًا وَتَبْقَى

قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ:

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَيُرْضِيكَ مُقْبِلَا
وَلَكِنَّ أَخُوكَ النَّائِبِي مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَدْنَى إِذَا الْأَمْرُ أَعْضَلَا

١٢٣ قَالَ الْعَتَّابِيُّ: الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ. فَرْعٌ بَائِنٌ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلٌ مُتَّصِلٌ بِفَرْعِهِ. وَفَرْعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ. فَأَمَّا الْفَرْعُ الْبَائِنُ مِنْ أَصْلِهِ فَإِخَاءٌ بُنِيَ عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ انْقَطَعَتْ فَحُفِظَ عَلَى زِمَامِ الصُّحْبَةِ. وَأَمَّا الْأَصْلُ الْمُتَّصِلُ بِفَرْعِهِ فَإِخَاءُ أَصْلُهُ الْكَرَمُ وَأَغْصَانُهُ التُّقَى. وَأَمَّا الْفَرْعُ الَّذِي لَا أَصْلَ لَهُ فَالْمَوَّهُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربه)

١٢٤ قَالَ الْبَكْرِيُّ:

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخُنْهُ سَاعَةً فِي دَمِي كَفَّيْهِ ظُلْمًا قَدْ غَمَسْ
كَانَ فِي سِرِّي وَجَهْرِي ثِقَتِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مُهِمٍّ أَحْتَرِسْ
سَتَرَ الْبُغْضَ بِأَلْفَاظِ الْهَوَى وَادَّعَى الْوُدَّ بِغِشٍّ وَدَلَسْ
إِنْ رَآنِي قَالَ لِي خَيْرًا وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسْ
ثُمَّ لَمَّا أَمْكَنَتْهُ فُرْصَةٌ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَجْرَى النَّفَسْ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنْ خَانَهُ قَدَرٌ أَيْقَظَ مَنْ كَانَ نَعَسْ

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ:

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ أَوْ كَذِرَاعٍ نِيطَتْ إِلَى عَضُدِ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْحَوَادِثُ فِي عَظْمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقَدِي
أَعْرَضَ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ طَرْفِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي

١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ. وَهِيَ مَا لَمْ تُرَقَّهَا وَتَحْرُسْهَا مُعَرَّضَةٌ لِلْآفَاتِ فَرْضُ الْأَبِيِّ بِالْجَفَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى قُرْبِهِ. وَبِالْكَظْمِ حَتَّى يَعْتَذِرَ إِلَيْكَ مِنْ ظُلْمِكَ. وَالرِّضَا حَتَّى لَا

تَستَكثِرَ مِن نَفسِكَ بِالفَضلِ وَلا مِن أَخِيكَ بِالتَّقصِيرِ. (وَلِمَحمُودٍ الوَرَّاقِ):

لَا بِرَّ أَعظَمُ مِن مُسَاعَدَةٍ ... فَاشكُر أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهْ
وَإِذَا هَفَا فَأَقِلْهُ هَفوَتَهُ ... حَتَّى يَعُودَ إِلَيكَ كَعَادَتِهْ
فَالصَّفحُ عَن زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِن ... أَعيَاكَ خَيرٌ مِن مُعَانَدَتِهْ

١٢٦ قَالَ ابنُ طَاهِرٍ فِي حُسنِ العِشرَةِ:

أُوَاصِلُ مَن هَوِيتُ عَلَى خِلَالٍ ... أَذُودُ بِهِنَّ لَيَّاتِ المَقَالِ
وَأَحفَظُ سِرَّهُ وَالغَيبَ مِنهُ ... وَأَرعَى عَهدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَفَاءٌ لَا يَحُولُ بِهِ انتِكَاثٌ ... وَوُدٌّ لَا تُخَوِّنُهُ اللَّيَالِي
وَأُوثِرُهُ عَلَى عُسرٍ وَيُسرٍ ... وَيُنفِذُ حُكمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغفِرُ نَبوَةَ الإِدلَالِ مِنهُ ... إِذَا مَا لَم يَكُن غَيرُ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالمَلُولِ وَلَا بِجَافٍ ... وَلَا الغَدرُ المُذَمَّمُ مِن فِعَالِي

قَالَ بَعضُهُم يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُم:

وَإِخوَانٍ تَخِذتُهُم دُرُوعًا ... فَكَانُوهَا وَلَكِن لِلأَعَادِي
وَخِلتُهُم سِهَامًا صَائِبَاتٍ ... فَكَانُوهَا وَلَكِن فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَد صَفَت مِنَّا قُلُوبٌ ... لَقَد صَدَقُوا وَلَكِن عَن وَدَادِي
وَقَالُوا قَد سَعَينَا كُلَّ سَعيٍ ... لَقَد صَدَقُوا وَلَكِن فِي فَسَادِ

١٢٧ وَأَنشَدَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ:

فَلَا تَصحَبْ أَخَا السُّوءِ ... وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَم مِن جَاهِلٍ أَوْدَى ... حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ المَرءُ بِالمَرءِ ... إِذَا مَا المَرءُ مَاشَاهُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ ... مَقَايِيسٌ وَأَشبَاهُ
وَفِي العَينِ عَلَى العَينِ ... إِذَا تَنطِقُ أَفوَاهُ
وَلِلقَلبِ عَلَى القَلبِ ... دَلِيلٌ حِينَ يَلقَاهُ

كَتَبَ المُعتَصِمُ صَاحِبُ المَرِيَّةِ إِلَى ابنِ عَمَّارٍ:

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعرِفَتِي بِهِم ... وَطُولُ اختِبَارِي صَاحِبًا بَعدَ صَاحِبِ
فَلَم تُرِنِي الأَيَّامُ خِلًّا تَسُرُّنِي ... مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي العَوَاقِبِ
وَلَو كُنتُ أَرجُوهُ لِدَفعِ مُلِمَّةٍ ... مِنَ الدَّهرِ إِلَّا كَانَ إِحدَى المَصَائِبِ

المطل في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبدُ الرَّحمَانِ ابنُ أُمِّ الحَكَمِ لِعَبدِ المَلِكِ بنِ مَروَانَ فِي مَوَاعِدِ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَلَهُ بِهَا: نَحنُ إِلَى الفِعلِ أَحوَجُ مِنَّا إِلَى القَولِ. وَأَنتَ بِالإِنجَازِ أَولَى مِنكَ مِنَ المَطلِ. وَاعلَم أَنَّكَ لَا تَستَحِقُّ الشُّكرَ إِلَّا بِإِنجَازِكَ الوَعدَ وَاستِتمَامِكَ المَعرُوفَ. قَالَ أَبُو مُسلِمٍ الخَولَانِيُّ: إِنَّ أَوقَعَ المَعرُوفِ فِي القُلُوبِ وَأَبرَدَهُ عَلَى الأَكبَادِ مَعرُوفٌ مُنتَظَرٌ بِوَعدٍ لَا يُكَدِّرُهُ المَطلُ. كَتَبَ العُتَّابِيُّ إِلَى بَعضِ أَهلِ السُّلطَانِ: أَمَّا بَعدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعدِكَ قَد أَبرَقَت فَلْيَكُن وَبلُهَا سَالِمًا مِن عِلَلِ المَطلِ. وَالسَّلَامُ

(لابن عبد ربّه)

في التواضع والكبر

١٢٩ إعلم أن الكبر والإعجاب يسلبان الفضائل. ويكسبان الرذائل. وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب. وتسلب الرئاسة والسيادة. والكبر يكسب المقت ويمنع من التألف. ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه. ونظر أفلاطون إلى رجل جاهل معجب بنفسه فقال: وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة. ورأى رجل رجلا يختال في مشيه فقال: جعلني الله مثلك في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي (للابشيهي)

قال بعضهم:

قل للذي تاه في دنياه مفتخرا ... ضاع افتخارك بين الماء والطين
إذا تفقدت في الأجداث معتبرا ... هناك تنظر تيجان السلاطين

وأحسن من هذا القول قول القائل:

يا صاح لا تك بالعلياء مفتخرا ... إن كنت لم تول نفعا قط بل ضررا
إني أرى شجر الصفصاف مرتفعا ... إلى العلو ولكن لا أرى ثمرا

قال آخر:

تواضع للناس إن رمت العلى ... واكظم الغيظ ولا تبد الضجر
واجعل المعروف ذخرا إنه ... للفتى أفضل شيء يدخر
إحمل الناس على أخلاقهم ... فبه تملك أعناق البشر

الباب الثامن
في الذكاء والأدب

في العقل وماهيته

١٣٠ قال سهل التستري: العقل أن تستغني به عن كل شيء دونه جل جلاله. أما ذاته فقال بعضهم: العقل ذاته جوهر مضيء ونور مجرد وليس بعرض. خلقه الله وجعل نوره في القلب يدرك به المعقولات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة. وهو منال إلى الدنيا والآخرة وإلى العلوم الشرعية والعقلية. آلة للمؤمن يعمل به. والعقل ذاته شيء واحد وله وجهان. أحدهما العقل المشترك بين المؤمن والكافر ويعبر عنه بعقل المعاش. والوجه الثاني العقل الخاص بالمؤمن وهو المعبر عنه بعقل الهداية. فمن رزقه الله الهداية فهو المؤمن العاقل (الكنز المدفون)

ما أحسن ما قال بعضهم:

إني لآمن من عدو عاقل ... وأخاف خلا يعتريه جنون
والعقل فن واحد وطريقه ... أدرى وأرصد والجنون فنون

في شرف العقل

١٣١ العقل أحسن حلية. والعلم أفضل قنية. لا سيف كالحق. ولا عدل كالصدق. الجهل مطية سوء من ركبها زل. ومن صحبها

ضلَّ . مِنَ الْجَهْلِ صُحْبَةُ الْجُهَّالِ . وَمِنَ الذُّلِّ عِشْرَةُ ذَوِي الضَّلَالِ .
خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ . وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ . مَنْ صَاحَبَ الْعُلَمَاءَ
وَقَرَ . وَمَنْ عَاشَرَ السُّفَهَاءَ حَقَرَ . مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صِغَرِهِ . لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي
كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
الرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّعَادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوَّةِ الْحَيَاءُ وَثَمَرَتُهَا الْعِفَّةُ . اَلْعَقْلُ
أَقْوَى أَسَاسٍ . وَالتَّقْوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ . اَلْجَاهِلُ يَطْلُبُ الْمَالَ . وَالْعَاقِلُ
يَطْلُبُ الْكَمَالَ . لَمْ يُدْرِكِ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرْسَهُ . وَلَا يَكُدُّ نَفْسَهُ .
كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ . وَعَزِيزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (للشبراوي)

١٣٢ حَكَى الْكِسَائِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ لَدَيْهِ . وَقَالَ : فَلَمْ يَلْبَثْ قَلِيلًا أَنْ أَقْبَلَا كَكَوْكَبَيْ
أُفُقٍ يُزَيِّنُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَارُهُمَا . وَقَدْ غَضَّا أَبْصَارَهُمَا وَقَارَبَا خَطْوَهُمَا
حَتَّى وَقَفَا فِي مَجْلِسِهِ . فَسَلَّمَا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَدَعَوَا لَهُ بِأَحْسَنِ الدُّعَاءِ .
فَاسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبْدَ اللهِ عَنْ يَسَارِهِ . ثُمَّ أَمَرَنِي
أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبْوَابًا مِنَ النَّحْوِ . فَمَا سَأَلَتْهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَا الْجَوَابَ
عَنْهُ . فَسَرَّهُ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُمَا . فَقُلْتُ :

أَرَى قَمَرَيْ أُفُقٍ وَفَرْعَيْ بَشَامَةٍ ... يُزَيِّنُهُمَا عِرْقٌ كَرِيمٌ وَمَحْتِدُ
سَلِيلَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَائِزَيْ ... مَوَارِيثَ مَا أَبْقَى أَبُوكَ الْمُؤَيَّدُ
يَسُدَّانِ أَنْفَاقَ النِّفَاقِ بِشِيمَةٍ ... يُزَيِّنُهُمَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مُهَنَّدُ

ثُمَّ قُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَبْنَاءِ الْخِلَافَةِ

وَأَغْصَانِ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ الزَّلَالِيَّةِ آدَبَ مِنْهُمَا أَسْنًا . وَلَا أَحْسَنَ أَلْفَاظًا .
وَلَا أَشَدَّ اقْتِدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوَيَا . أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى
أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا . وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًّا
وَقَمْعًا . فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَائِي . ثُمَّ ضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ .
فَلَمْ يَبْسُطْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدُّمُوعَ تَتَحَدَّرُ عَلَى صَدْرِهِ . ثُمَّ أَمَرَهُمَا
بِالْخُرُوجِ (كتاب الدراري للحلبي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

اَلنَّاسُ مِنْ جِهَةِ التِّمْثَالِ أَكْفَاءُ ... أَبُوهُمُ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَّاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ ... يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالْمَاءُ
مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ ... عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
وَإِنْ أَتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ ... فَإِنَّ نِسْبَتَنَا جُودٌ وَعَلْيَاءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا ... اَلنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

١٣٣ إِعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ . وَفَخْرٌ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ .
وَهُوَ الْعِزُّ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ . وَالْكَنْزُ الَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ . وَقَدْرُهُ
عَظِيمٌ . وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

مَا أَحْسَنَ الْعَقْلَ وَالْمَحْمُودَ مَنْ عَقَلَا ... وَأَقْبَحَ الْجَهْلَ وَالْمَذْمُومَ مَنْ جَهِلَا
فَلَيْسَ يَصْلُحُ نُطْقُ الْمَرْءِ فِي جَدَلٍ ... وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سُئِلَا

١٣٤ ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا رُبَّمَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْاِتِّفَاقِ . وَأَدْبَرَتْ

عَنِ ٱلْعَالِمِ بِٱلِٱسْتِحْقَاقِ . فَإِنْ أَتَاكَ مِنْهَا مُلِمَّةٌ مَعَ جَهْلٍ . أَوْ فَاتَكَ مِنْهَا بُغْيَةٌ مَعَ عَقْلٍ . فَلَا يَحْمِلَنَّكَ ذٰلِكَ عَلَى ٱلرَّغْبَةِ فِي ٱلْجَهْلِ . فَدَوْلَةُ ٱلْجَاهِلِ مِنَ ٱلْمُمْكِنَاتِ . وَدَوْلَةُ ٱلْعَاقِلِ مِنَ ٱلْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مِنْ أَمْكَنَهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ . كَمَنِ ٱسْتَوْجَبَهُ بِآدَابِهِ وَآلَاتِهِ . وَأَيْضًا فَدَوْلَةُ ٱلْجَاهِلِ كَٱلْغَرِيبِ ٱلَّذِي يَحِنُّ إِلَى ٱلنُّقْلَةِ . وَدَوْلَةُ ٱلْعَاقِلِ كَٱلنَّسِيبِ ٱلْمُتَمَكِّنِ ٱلْوُصْلَةِ

لَا تَيْأَسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ ... عَلَى خُمُولِكَ أَنْ تَرْقَى إِلَى ٱلْفَلَكِ
فَبَيْنَمَا ٱلذَّهَبُ ٱلْإِبْرِيزُ مُخْتَلِطٌ ... بِٱلتُّرْبِ إِذْ صَارَ إِكْلِيلًا عَلَى ٱلْمَلِكِ

١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَقَّاهَا بِغَيْرِ عَقْلٍ . وَلَا بِمَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ حَلَّهَا بِغَيْرِ فَضْلٍ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ ٱلْجَهْلُ عَنْهَا . وَيَسُلَّهُ مِنْهَا . فَيَحُطَّ إِلَى رُتْبَتِهِ . وَيَرْجِعَ إِلَى قِيمَتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَظْهَرَ عُيُوبُهُ . وَتَكْثُرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرَ مَادِحُهُ هَاجِيًا . وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَقْعُدَنَّ عَنِ ٱكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ ... أَبَدًا وَإِنْ أَدَّتْ إِلَى ٱلْإِعْدَامِ
جَهْلُ ٱلْفَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ ... وَخُمُولُهُ عَارٌ عَلَى ٱلْأَيَّامِ

(للشبراوي)

١٣٦ . سُئِلَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ ٱلْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ ٱلْأَشْيَاءِ فِيهِ قِوَامُهَا وَبِهِ تَمَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجُ مَا بَطَنَ . وَمِلَاكُ مَا عَلَنَ . وَسَائِسُ ٱلْحَدِّ . وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ ٱلْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ ٱلْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(للقيرواني)

قَالَ ٱلْخَضْرَاوِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسْمِ ٱللّٰهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ ... فَلَيْسَ مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهْ
يَزِينُ ٱلْفَتَى فِي ٱلنَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ ... وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهْ
وَشَيْنُ ٱلْفَتَى فِي ٱلنَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ ... وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهْ
إِذَا أَكْمَلَ ٱلرَّحْمَانُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ ... فَقَدْ كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَآرِبُهْ

وَقَالَ آخَرُ :

ٱلْعَقْلُ حُلَّةُ فَخْرٍ مَنْ تَسَرْبَلَهَا ... كَانَتْ لَهُ نَسَبًا تُغْنِي عَنِ ٱلنَّسَبِ
وَٱلْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي ٱلنَّاسِ كُلِّهِمِ ... بِٱلْعَقْلِ يَنْجُو ٱلْفَتَى مِنْ حِرْمَةِ ٱلطَّلَبِ

١٣٧ قِيلَ : إِنَّ ٱلْعُمْيَانَ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِقَتَادَةَ : مَا بَالُ ٱلْعُمْيَانِ نَجِدُهُمْ أَذْكَى مِنَ ٱلْبُصَرَاءِ . فَقَالَ : لِأَنَّ ٱلْقُوَّةَ ٱلْبَاصِرَةَ مِنْهُمْ ٱنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كُفَّ بَصَرُهُ :

إِنْ يَأْخُذِ ٱللّٰهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا ... فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ
قَلْبِي ذَكِيٌّ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ ... وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَٱلسَّيْفِ مَشْهُورُ

(لابن عبد ربه)

في العلم وشرفه

١٣٨ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلْعِلْمُ خَلِيلٌ وَٱلْحِلْمُ وَزِيرُهُ . وَٱلْعَقْلُ دَلِيلُهُ . وَٱلْعَمَلُ قَائِدُهُ وَٱلرِّفْقُ وَالِدُهُ . وَٱلْبِرُّ أَخُوهُ وَٱلصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : لِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ ٱلْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ ٱلْجَاهِلِ

أَلْفَ عَامٍ . وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ ٱلْفَرَائِضِ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ ٱلْحَائِرُ (لابي نصر المقدسي)

قَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ :

وَٱلْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ نَالَهُ رَجُلٌ ... مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلَا
تَعَلَّمِ ٱلْعِلْمَ وَٱعْمَلْ يَا أَخِيَّ بِهِ ... فَٱلْعِلْمُ زَيْنٌ لِمَنْ بِٱلْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا

وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِٱلْعِلْمِ تَحْيَا نُفُوسٌ قَطُّ مَا عَرَفَتْ ... مِنْ قَبْلُ مَا ٱلْفَرْقُ بَيْنَ ٱلصِّدْقِ وَٱلْمَيْنِ
أَلْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ ... عَلَى ٱلْحَقَائِقِ مِثْلُ ٱلنُّورِ لِلْعَيْنِ

١٣٩ وَقَالَ ٱلزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ ٱلْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِٱلْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنِ ٱفْتَقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا . وَإِنِ ٱسْتَغْنَيْتَ بِهِ كَانَ جَمَالًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

أَلْعِلْمُ مُبْلِغُ قَوْمٍ ذِرْوَةَ ٱلشَّرَفِ ... وَصَاحِبُ ٱلْعِلْمِ مَحْفُوظٌ مِنَ ٱلتَّلَفِ
يَا صَاحِبَ ٱلْعِلْمِ فَٱحْذَرْ أَنْ تُدَنِّسَهُ ... بِٱلْمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلَفِ
أَلْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ ... وَٱلْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ ٱلْعِزِّ وَٱلشَّرَفِ

١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُضَلَاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ ٱلْعُلَمَاءِ مَا أَمْكَنَ وَلَا يَعُدَّ غَيْرَهُمْ مِنَ ٱلْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ ٱلْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ

وَمِنَ ٱلْجَهَالَةِ أَنْ تُعَظِّمَ جَاهِلًا ... لِصِقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْنَقِ نَقْشِهِ
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلتِّبْرَ فِي بَطْنِ ٱلثَّرَى ... خَافٍ إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ بِنَبْشِهِ
وَفَضِيلَةُ ٱلدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا ... مِنْ حَكِّهِ لَا مِنْ مَلَاحَةِ نَقْشِهِ

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذٰلِكَ :

عَابَ ٱلتَّعَلُّمَ قَوْمٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ ... وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرِ
مَا ضَرَّ شَمْسَ ٱلضُّحَى وَٱلشَّمْسُ طَالِعَةٌ ... أَنْ لَا يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ

١٤١ وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمَالِ . أَلْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ ٱلْمَالَ . وَٱلْعِلْمُ حَاكِمٌ وَٱلْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَٱلْعِلْمُ يَزِيدُ بِٱلْإِنْفَاقِ وَٱلْمَالُ يَنْقُصُ بِٱلنَّفَقَةِ . وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خُيِّرَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بَيْنَ ٱلْعِلْمِ وَٱلْمُلْكِ وَٱلْمَالِ . فَٱخْتَارَ ٱلْعِلْمَ فَأُعْطِيَ ٱلْمُلْكَ وَٱلْمَالَ مَعَهُ . وَقَالَ ٱلْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ ٱلْعِلْمُ بِكَثْرَةِ ٱلرِّوَايَةِ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ نُورٌ يَجْعَلُهُ ٱللهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَعَ) فَقِيهٍ جَلَاءُ لِلْقُلُوبِ مِنَ ٱلْعَمَى ... وَعَوْنٌ عَلَى ٱلدِّينِ ٱلَّذِي أَمْرُهُ غُنْمُ
فَخَالِطْ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ وَٱصْحَبْ خِيَارَهُمْ ... فَصُحْبَتُهُمْ زَيْنٌ وَخُلْطَتُهُمْ غُنْمُ
وَلَا تَعْدُوَنْ عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ ... نُجُومُ هُدًى إِنْ غَابَ نَجْمٌ بَدَا نَجْمُ
فَوَٱللهِ لَوْلَا ٱلْعِلْمُ مَا ٱتَّضَحَ ٱلْهُدَى ... وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ ٱلْأُمُورِ لَنَا رَسْمُ

١٤٢ وَعَنِ ٱبْنِ ٱلْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ ٱلْمَرْءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ ٱلْعِلْمَ فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهِلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ : سَمِعْتُ وَكِيعًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ ٱلرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مِمَّنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ . وَمِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمِمَّنْ هُوَ دُونَهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ ٱلْعِلْمِ وَطَالِبُ ٱلدُّنْيَا وَهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ . أَمَّا طَالِبُ ٱلْعِلْمِ فَيَزْدَادُ فِي رِضَا ٱلرَّحْمٰنِ . وَأَمَّا طَالِبُ ٱلدُّنْيَا فَيَزْدَادُ فِي ٱلطُّغْيَانِ

وقال بعضهم :

لَوْ كَانَ نُورُ ٱلْعِلْمِ يُدْرَكُ بِٱلْمُنَى ... مَا كَانَ يَبْقَى فِي ٱلْبَرِيَّةِ جَاهِلُ
إِجْهَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكُ غَافِلًا ... فَنَدَامَةُ ٱلْعُقْبَى لِمَنْ يَتَكَاسَلُ

قال غيره :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى ٱللهِ فَٱتَّقِهِ ... وَلَيْسَ مِفْتَاحُهُ حِرْصًا وَلَا طَمَعَا
وَٱلْعِلْمُ أَجْمَلُ ثَوْبٍ أَنْتَ لَابِسُهُ ... فَٱخْتَرْ لَهُ عَمَلَيْنِ ٱلدِّينَ وَٱلْوَرَعَا

قال غيره :

وَفِي ٱلْجَهْلِ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ ... وَأَجْسَادُهُمْ دُونَ ٱلْقُبُورِ قُبُورُ
وَإِنَّ ٱمْرَأً لَمْ يُحْيِ بِٱلْعِلْمِ قَلْبَهُ ... فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى ٱلنُّشُورِ نُشُورُ

قيل أيضًا :

لِكُلِّ مُجِدٍّ فِي ٱلْوَرَى نَفْعُ فَاضِلِ ... وَلَيْسَ يُفِيدُ ٱلْعِلْمُ مِنْ دُونِ عَامِلِ
يُسَابِقُ بَعْضُ ٱلنَّاسِ بَعْضًا بِجُهْدِهِمْ ... وَمَا كُلُّ كَرٍّ بِٱلْهَوَا كَرُّ بَاسِلِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لِذِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْحِجَى ... فَمَا هُوَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا كَجَاهِلِ
كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ ٱلْمَرْءُ غَيْرَهُ ... يُعَدُّ كَشَوْكٍ بَيْنَ زَهْرِ ٱلْخَمَائِلِ

وقيل أيضًا :

أَلْمَالُ يَفْنَى مَعَ ٱلْأَيَّامِ إِنْ قَلَبَتْ ... وَٱلْعِلْمُ يَصْطَحِبُ ٱلْإِنْسَانَ لِلتُّرَبِ
إِغْنَمْ جَنَى غَرْسِهِ تَحْظَ بِنَيْلِ مُنًى ... وَتَعْلُ بِٱلْقَدْرِ فَوْقَ ٱلسَّبْعَةِ ٱلشُّهُبِ

١٤٣ قال ٱلْمَاهِيَابَاذِيُّ مُغْرِيًا بِتَأْثِيرِ ٱلْعِلْمِ :

يَا سَاعِيًا وَطِلَابُ ٱلْمَالِ هِمَّتُهُ ... إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ ٱلْعَقْلِ وَٱلدِّينِ

عَلَيْكَ بِٱلْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا ... وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مَغْبُونِ
أَلْعِلْمُ يُجْدِي وَيَبْقَى لِلْفَتَى أَبَدًا ... وَٱلْمَالُ يَفْنَى وَإِنْ أَجْدَى إِلَى حِينِ
هٰذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ ... مَا شَدَّ مَا ٱلْبُعْدُ بَيْنَ ٱلْعِزِّ وَٱلْهُونِ

قال أبو بكر بن دريد :

لَا تَحْقِرَنْ عَالِمًا وَإِنْ خَلُقَتْ ... أَثْوَابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ
وَٱنْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي خَطَرٍ ... مُهَذَّبِ ٱلرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ
فَٱلْمِسْكُ مَهْمَا تَرَاهُ مُمْتَهَنًا ... بِفِهْرِ عَطَّارِهِ وَسَاحِقِهِ
حَتَّى تَرَاهُ بِعَارِضَيْ مَلِكٍ ... وَمَوْضِعِ ٱلتَّاجِ مِنْ مَفَارِقِهِ

قال أبو ٱلْأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيُّ :

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ ... فَٱطْلُبْ هُدِيتَ فُنُونَ ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبَا
كَمْ سَيِّدٍ بَطَلٍ آبَاؤُهُ نُجُبٌ ... كَانُوا ٱلرُّؤُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذَنَبَا
وَمُقْرِفٍ خَامِلِ ٱلْآبَاءِ ذِي أَدَبٍ ... نَالَ ٱلْمَعَالِيَ بِٱلْآدَابِ وَٱلرُّتَبَا
أَلْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ ... نِعْمَ ٱلْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحِبَا
قَدْ يَجْمَعُ ٱلْمَالَ شَخْصٌ ثُمَّ يَحْرِمُهُ ... عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى ٱلذُّلَّ وَٱلْحَرَبَا
وَجَامِعُ ٱلْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا ... وَلَا يُحَاذِرُ مِنْهُ ٱلْفَوْتَ وَٱلسَّلَبَا
يَا جَامِعَ ٱلْعِلْمِ نِعْمَ ٱلذُّخْرُ تَجْمَعُهُ ... لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا

١٤٤ قال غيره :

بِٱلْعِلْمِ وَٱلْعَقْلِ لَا بِٱلْمَالِ وَٱلذَّهَبِ ... يَزْدَادُ رَفْعُ ٱلْفَتَى قَدْرًا بِلَا طَلَبِ
فَٱلْعِلْمُ طَوْقُ ٱلنُّهَى يَزْهُو بِهِ شَرَفًا ... وَٱلْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِٱللَّعِبِ

كَمْ يَرْفَعُ ٱلْعِلْمُ أَشْخَاصًا إِلَى رُتَبٍ ... وَيَخْفِضُ ٱلْجَهْلُ أَشْرَافًا بِلَا أَدَبِ
ٱلْعِلْمُ كَنْزٌ فَلَا تَفْنَى ذَخَائِرُهُ ... وَٱلْمَرْءُ مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِٱلرُّتَبِ
فَٱلْعِلْمَ فَاطْلُبْ لِكَيْ يُجْدِيكَ جَوْهَرُهُ ... كَٱلْقُوتِ لِلْجِسْمِ لَا تَطْلُبْ غِنَى ٱلذَّهَبِ

قَالَ آخَرُ :

مَا حَوَى ٱلْعِلْمَ جَمِيعًا أَحَدٌ ... لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَهْ
إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ بَعِيدٌ غَوْرُهُ ... فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهْ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

تَعَلَّمْ مَا ٱسْتَطَعْتَ بِحَيْثُ تَسْعَى ... فَإِنَّ ٱلْعِلْمَ زَيْنٌ لِلرِّجَالِ
لِأَنَّ ٱلْعِلْمَ فِي ٱلدُّنْيَا جَمَالٌ ... وَفِي ٱلْعُقْبَى تُنَالُ بِهِ ٱلْمَعَالِي

قَالَ آخَرُ :

ٱلْعِلْمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا ... وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عِشْتَ مُقْتَبِسَا
إِرْكَنْ إِلَيْهِ وَثِقْ بِٱللهِ وَٱغْنَ بِهِ ... وَكُنْ حَلِيمًا رَزِينَ ٱلْعَقْلِ مُحْتَرِسَا
وَكُنْ فَتِيً مَاسِكًا مَحْضَ ٱلتُّقَى وَرِعًا ... لِلدِّينِ مُغْتَنِمًا فِي ٱلْعِلْمِ مُنْغَمِسَا
فَمَنْ تَخَلَّقَ بِٱلْآدَابِ ظَلَّ بِهَا ... رَئِيسَ قَوْمٍ إِذَا مَا فَارَقَ ٱلرُّؤُسَا

وصف الكتاب

١٤٥ ٱلْكِتَابُ نِعْمَ ٱلْأَنِيسُ فِي سَاعَةِ ٱلْوَحْدَةِ . وَنِعْمَ ٱلْمَعْرِفَةُ فِي دَارِ ٱلْغُرْبَةِ . وَنِعْمَ ٱلْقَرِينُ وَٱلدَّخِيلُ . وَنِعْمَ ٱلزَّائِرُ وَٱلنَّزِيلُ . وِعَاءٌ مُلِئَ عِلْمًا وَظَرْفًا . وَإِنَاءٌ مُلِئَ مَزْحًا وَجِدًّا . وَحَبَّذَا بُسْتَانٌ يُحْمَلُ فِي خُرْجٍ وَرَوْضٌ يُقْلَبُ فِي حِجْرٍ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ

بِأَوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَطُعُومٍ مُتَبَايِنَةٍ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا تَذْوَى . وَزَهْرٍ لَا يُنْوِي . وَثَمَرٍ لَا يَفْنَى . وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُ ٱلشَّيْءَ وَخِلَافَهُ وَٱلْجِنْسَ وَضِدَّهُ . يَنْطِقُ عَنِ ٱلْمَوْتَى وَيُتَرْجِمُ عَنِ ٱلْأَحْيَاءِ . إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَبْ . وَإِنْ عَرَبَدْتَ لَمْ يَصْخَبْ . أَكْتَمُ مِنَ ٱلْأَرْضِ . وَأَنَمُّ مِنَ ٱلرِّيحِ . وَأَهْوَى مِنَ ٱلْهَوَى . وَأَخْدَعُ مِنَ ٱلْمُنَى وَأَمْتَعُ مِنَ ٱلضُّحَى . وَأَنْطَقُ مِنْ سَحْبَانَ وَائِلٍ وَأَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ . هَلْ سَمِعْتَ مُعَلِّمٍ تَحَلَّى بِخِلَالٍ كَثِيرَةٍ وَجَمْعِ أَوْصَافًا عَدِيدَةً . عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ . إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ . وَإِنْ أَلْهَى أَمْتَعَ . وَإِنْ أَبْكَى أَدْمَعَ . وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ . وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَزِيدُ مِنْكَ . إِنْ وَجَدَ فَعَبْرَةٌ . وَإِنْ مَزَحَ فَنُزْهَةٌ . قَبْرُ ٱلْأَسْرَارِ وَمَخْزِنُ ٱلْوَدَائِعِ قَيْدُ ٱلْعُلُومِ . وَيَنْبُوعُ ٱلْحِكَمِ وَمَعْدِنُ ٱلْمَكَارِمِ . وَمُؤْنِسٌ لَا يَنَامُ . يُفِيدُكَ عِلْمَ ٱلْأَوَّلِينَ . وَيُخْبِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَخْبَارِ ٱلْمُتَأَخِّرِينَ . هَلْ سَمِعْتَ فِي ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغَكَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ ٱلسَّالِفِينَ جَمَعَ هٰذِهِ ٱلْأَوْصَافَ مَعَ قِلَّةِ مُؤْنَتِهِ وَخِفَّةِ مَحْمِلِهِ . لَا يَرْزَؤُكَ شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكَ . نِعْمَ ٱلْمُدَّخَرُ وَٱلْعُدَّةُ . وَٱلْمُشْتَغَلُ وَٱلْحِرْفَةُ . جَلِيسٌ لَا يُطْرِيكَ وَرَفِيقٌ لَا يَمَلُّكَ . يُطِيعُكَ فِي ٱللَّيْلِ طَاعَتَهُ فِي ٱلنَّهَارِ . وَيُطِيعُكَ فِي ٱلسَّفَرِ طَاعَتَهُ فِي ٱلْحَضَرِ . إِنْ أَطَلْتَ ٱلنَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ . وَشَحَذَ طِبَاعَكَ . وَبَسَطَ لِسَانَكَ . وَجَوَّدَ بَيَانَكَ . وَفَخَّمَ أَلْفَاظَكَ . إِنْ أَلْقَتْهُ خَلَّدَ عَلَى ٱلْأَيَّامِ ذِكْرَكَ . وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي ٱلْخَلْقِ قَدْرَكَ . وَإِنْ نَعَتَّهُ نَوَّهَ عِنْدَهُمْ بِٱسْمِكَ . يُقْعِدُ ٱلْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ ٱلسَّادَاتِ . وَيُجْلِسُ ٱلسُّوقَةَ فِي مَجَالِسِ

الْمُلُوكِ فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ . وَأَعْزِزْ بِهِ مِنْ مُوَافِقٍ (الكنز المدفون)

١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيُسَامِرَهُ . فَلَمَّا جَاءَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحَوَالَيْهِ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أُحَادِثُهُمْ فَإِذَا فَرَغْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءُ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ : وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْعَالِمُ قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءُ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلِبَّاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدَا
يُفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَرَأْيًا وَتَأْدِيبًا وَمَجْدًا وَسُؤْدَدَا
فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَلَمْ تَعْدُ أَمْرَهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفَنِّدَا

فَعَلِمَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأَخُّرَهُ

١٤٧ طَلَبَ الْمُكْتَفِي مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِمُطَالَعَتِهَا زَمَانَهُ . فَتَقَدَّمَ الْوَزِيرُ إِلَى النُّوَّابِ بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ وَعَرْضِهِ عَلَيْهِ قَبْلَ حَمْلِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَحَصَّلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا جَرَى فِي الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ التَّحَيُّلِ فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَآهَا الْوَزِيرُ قَالَ لِنُوَّابِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصِّلُوا لَهُ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَشْتَغِلُ بِهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . فَقَدْ حَصَّلْتُمْ لَهُ مَا يَعْرِفُهُ مَصَارِعَ الْوُزَرَاءِ وَيُوجِدُهُ الطَّرِيقَ إِلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَالِ وَيَعْرِفُهُ خَرَابَ الْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رُدُّوهَا وَحَصِّلُوا لَهُ كُتُبًا فِيهَا حِكَايَاتٌ تُلْهِيهِ وَأَشْعَارٌ تُطْرِبُهُ (للفخري)

قَالَ ابْنُ دُوسْتَ فِي الْحِفْظِ وَالِاسْتِظْهَارِ :

عَلَيْكَ بِالْحِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِلْكُتْبِ آفَاتٍ تُفَرِّقُهَا
اَلْمَاءُ يُغْرِقُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَالْفَارُ يَخْرُقُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : اَلْبَيَانُ تَرْجُمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيْقَلُ الْعُقُولِ . وَأَمَّا حَدُّهُ فَقِيهِ قَالَ الْجَاحِظُ : اَلْبَيَانُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا كَشَفَ لَكَ عَنِ الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : اَلْبَلَاغَةُ وُضُوحُ الدَّلَالَةِ وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْهِنْدِيُّ : اَلْبَلَاغَةُ تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ . وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِيغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ اللَّفْظِ كَثِيرَ الْمَعَانِي . وَقِيلَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ . فَقَالَ : أَقَلُّهُمْ لَفْظًا وَأَسْهَلُهُمْ مَعْنًى وَأَحْسَنُهُمْ بَدِيهَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ وَزِيرُ الْمَهْدِيِّ : اَلْبَلَاغَةُ مَا فَهِمَتْهُ الْعَامَّةُ وَرَضِيَتْ بِهِ الْخَاصَّةُ . وَقَالَ الْبُحْتُرِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يُمِلَّ . وَقَالُوا : اَلْبَلَاغَةُ مَيْدَانٌ لَا يُقْطَعُ إِلَّا بِسَوَابِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسْلَكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ الْبَيَانِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ اَلْبَلَاغَةُ مَيْدَانٌ نَشَأْتَ بِهِ وَكُلُّنَا بِقُصُورٍ عَنْكَ نَعْتَرِفُ

مُهَذَّبِ الْعُذْرِ فِي نَظْمٍ بَعَثْتُ بِهِ مَنْ عِنْدَهُ الدُّرُّ لَا يُهْدَى لَهُ الصَّدَفُ

١٤٩ وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ : الْبَلِيغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَحْلًا وَمَعْنَاهُ بِكْرًا . وَقَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ : إِنَّهَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بِعِبَارَتِهِ كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الِاحْتِرَازِ عَنِ الْإِيجَازِ الْمُخِلِّ . وَالتَّطْوِيلِ الْمُمِلِّ . وَأَمَّا الْفَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ عَنْهَا : اعْلَمْ أَنَّ الْفَصَاحَةَ خُلُوصُ الْكَلَامِ مِنَ التَّعْقِيدِ . وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَفْصَحَ اللَّبَنُ إِذَا أُخِذَتْ عَنْهُ الرَّغْوَةُ . وَأَكْثَرُ الْبُلَغَاءِ لَا يَكَادُونَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ . بَلْ يَسْتَعْمِلُونَهُمَا اسْتِعْمَالَ الشَّيْئَيْنِ الْمُتَرَادِفَيْنِ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا . وَيَزْعُمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ فِي الْمَعَانِي وَالْفَصَاحَةَ فِي الْأَلْفَاظِ . وَيَسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنًى بَلِيغٌ وَلَفْظٌ فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هِبْتُهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ . فَإِنْ كَانَ فَصِيحًا عَظُمَ فِي صَدْرِي . وَإِنْ قَصَّرَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي (الابشيهي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ : الشِّعْرُ دِيوَانُ الْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَنْزُ أَدَبِهَا . وَيُقَالُ : الشِّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ . وَالشُّعَرَاءُ لِلْكَلَامِ أُمَرَاءُ . وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : الشِّعْرُ جُزْلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ تُقَامُ بِهِ الْمَجَالِسُ وَتُسْتَنْجَحُ بِهِ الْحَوَائِجُ وَتُشْفَى بِهِ السُّخَائِمُ . وَيُقَالُ : الْمَدْحُ مُهْرَةُ الْكِرَامِ . وَإِعْطَاءُ الشُّعَرَاءِ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَنْصِفِ الشُّعَرَاءَ فَإِنَّ ظُلَامَتَهُمْ تَبْقَى وَعِقَابَهُمْ لَا يَفْنَى . وَهُمُ الْحَاكِمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ . وَقَالَ

آخَرُ : الشِّعْرُ الْجَيِّدُ هُوَ السِّحْرُ الْحَلَالُ . وَالْعَذْبُ الزُّلَالُ . إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا . وَكَانَ يُقَالُ : النَّثْرُ يَتَطَايَرُ تَطَايُرَ الشَّرَرِ . وَالشِّعْرُ يَبْقَى بَقَاءَ النَّقْشِ فِي الْحَجَرِ . وَقِيلَ لِحَمْزَةَ بْنِ بَيْضٍ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ . قَالَ . مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ . وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ . وَإِذَا مَدَحَ رَفَعَ . وَإِذَا هَجَا وَضَعَ . وَقَالَ دِعْبِلٌ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدْحِ الشُّعَرَاءِ : إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَخْزَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا : كَذَّابٌ . إِلَّا الشَّاعِرَ فَإِنْ يَكْذِبْ يُسْتَحْسَنْ كَذِبُهُ . وَيُحْتَمَلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عَيْبًا عَلَيْهِ . ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُقَالَ : أَحْسَنْتَ . (وَفِيهِ) إِنَّ الرَّجُلَ الْمَلِكَ أَوِ السُّوقَةَ إِذَا صَيَّرَ ابْنَهُ فِي الْكُتَّابِ أَمَرَ مُعَلِّمَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ الشِّعْرَ . لِأَنَّهُ تُوصَلُ بِهِ الْمَجَالِسُ . وَتُضْرَبُ فِيهِ الْأَمْثَالُ وَتُعْرَفُ بِهِ مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِئُهَا فَتُذَمُّ وَتُحْمَدُ وَتُهْجَى وَتُمْدَحُ . وَأَيُّ شَرَفٍ أَبْقَى مِنْ شَرَفٍ يَبْقَى بِالشِّعْرِ . (وَفِيهِ) إِنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ . وَكَانَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ مَلِكًا فَبَادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ . وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ . وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ . وَقَالَ : أَحْسَنُ مَا مُدِحَ بِهِ الشِّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَوْلَا خِلَالٌ سَنَّهَا الشِّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةُ الْمَعَالِي كَيْفَ تُبْنَى الْمَكَارِمُ

وَأَحْسَنُ مِنْهُ :

أَرَى الشِّعْرَ يُحْيِي الْجُودَ وَالْبَأْسَ بِالَّذِي تُبَقِّيهِ أَرْوَاحٌ لَهُ عَطِرَاتُ

وَمَا الْمَجْدُ لَوْلَا الشِّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدٌ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظُمٌ نَخِرَاتُ

١٥١ (فصل لأبي بكر الخوارزمي جامع لمدح الشعراء) ما ظنك بقوم الاقتصار محمود إلا منهم. والكذب مذموم ومردود إلا فيهم. إذا ذموا ثلموا. وإذا مدحوا سلبوا. وإذا رضوا رفعوا الوضيع. وإذا غضبوا وضعوا الرفيع. وإذا أقروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزم حد. ولم تمتد إليهم بالعقوبة يد. غنيهم لا يصادر. وفقيرهم لا يستحقر. وشيخهم يوقر. وشابهم لا يستصغر. سهامهم تنفذ في الأعراض. وشهادتهم مقبولة. وإن لم ينطق بها سجل. ولم يشهد بها عدل. بل ما ظنك بقوم هم صيارفة أخلاق الرجال. وسماسرة النقص والكمال. بل ما ظنك بقوم ألسنتهم ناطق بالفضل. وأسم صناعتهم مشتق من العقل. بل ما ظنك بقوم هم أمراء الكلام. يقصرون طويله. ويطولون قصيره. يقصرون ممدوده. ويحققون ثقيله. ولم لا أقول: ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون. وفي كل واد يهيمون

(لابي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قال العلاء بن أيوب كان يقال: مثل الأديب ذي القريحة مثل دائرة تدار من خارجها. فهي في كل دارة تدار تتسع وتزداد عظما. ومثل الأديب غير ذي القريحة مثل دائرة تدار من داخلها فهي عن قليل تبلغ إلى باطنها. أوصى بعض الحكماء بنيه فقال لهم: الأدب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة. يرفع الأحساب الوضيعة.

ويفيد الرغائب الجليلة. ويغني من غير عشيرة. ويكثر الأنصار من غير رزية. فالبسوه حلة. وتزينوا به حلية. يؤانسكم في الوحشة. ويجمع القلوب المختلفة. وأنشد الأصمعي:

إن كان للعقل مولود فلست أرى ... ذا العقل مستوحشا من حادث الأدب
إني رأيتهما كالماء مختلطا ... بالتبر تظهر عنه زهرة العشب

١٥٣ وقال بزرجمهر: ما ورثت الآباء الأبناء خيرا من الأدب. لأنهم به يكسبون المال وبالجهل يتلفونه: وقال: حسن الخلق خير قرين والأدب خير ميراث والتقوى خير زاد. وقال أيضا: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته الأدب. وأي شيء فات من أدرك الأدب. وقال ابن عائشة القرشي: أهل الأدب هم الأكثرون وإن قلوا. ومحل الأنس أين حلوا. وقال خالد بن صفوان لابنه: يا بني الأدب بهاء الملوك ورياش السوقة والناس بين هاتين فتعلمه تجده حيث تحب. وقال بعض الظاهرية: لو علم الجاهلون ما الأدب. لأيقنوا أنه الطرب. وقال حكيم لابنه: يا بني عز السلطان يوم لك ويوم عليك. وعز المال وشيك ذهابه. جدير انقطاعه وانقلابه. وعز الحسب إلى خمول وذبول. وعز الأدب راتب واصب. لا يزول بزوال المال ولا يتحول بتحول السلطان. ويقال: من قعد به حسبه. نهض به أدبه. وقال ابن المعتز: حلية الأدب لا تخفى. وحرمته لا تجفى. والأدب صورة العقل فحسن عقلك كيف

شِئْتَ. قَالَ بُزُرْجُمِهْرُ: مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ. كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ وَضِيعًا. وَبَعُدَ صِيتُهُ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا. وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا. وَكَثُرَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا. وَقَالُوا: الْأَدَبُ أَدَبَانِ أَدَبُ الْغَرِيزَةِ وَهُوَ الْأَصْلُ وَأَدَبُ الرِّوَايَةِ وَهُوَ الْفَرْعُ. وَلَا يَتَفَرَّعُ الشَّيْءُ إِلَّا عَنْ أَصْلِهِ. وَلَا يَنْمُو الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ (للشريشي)

١٥٤ وَقَالَ حَبِيبٌ فَأَحْسَنَ:

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا زُبْرَةٌ لَوْ تَرَكْتَهُ ... عَلَى الْخِلْقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ

وَقَالَ آخَرُ:

مَا وَهَبَ اللهُ لِامْرِئٍ هِبَةً ... أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ
هُمَا كَمَالُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا ... فَفَقْدُهُ لِلْحَيَاةِ أَحْسَنُ بِهْ

وَقِيلَ: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْأَدَبِ طَاهِرَ النَّبْتِ تَأَدَّبَ بِأَدَبِهِ وَصَلُحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

رَأَيْتُ صَلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ ... وَيُعْدِيهِمِ عِنْدَ الْفَسَادِ إِذَا فَسَدْ
يُعَظَّمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صَلَاحِهِ ... وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدْ

قَالَ غَيْرُهُ:

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ ... عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنُ أَمْسِهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا ... فَخَارُ الَّذِي يَبْغِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ

١٥٥ الْأَدَبُ مَالٌ. وَاسْتِعْمَالُهُ كَمَالٌ. بِالْعَقْلِ يَصْلُحُ كُلُّ أَمْرٍ. وَبِالْحِلْمِ يُقْطَعُ كُلُّ شَرٍّ (للشبراوي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

حَرِّصْ بَنِيكَ عَلَى الْآدَابِ فِي الصِّغَرِ ... كَيْمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَإِنَّمَا مَثَلُ الْآدَابِ تَجْمَعُهَا ... فِي عُنْفُوَانِ الصِّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَزْهُو ذَخَائِرُهَا ... وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْغِيَرِ
إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ ... يَهْوِي عَلَى فُرُشِ الدِّيبَاجِ وَالسُّرُرِ

قَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ لَمْ يَرَ التَّأْدِيبَ فِي صِغَرِ الصِّبَا ... شَمَخَ الصِّغَارُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرْ

الآداب الظاهرة

١٥٦ (الْآدَابُ فِي الْأَكْلِ). قَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ. وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يَلْحَقَ بِالْآدَابِ وَالرُّسُومِ الْمُسْتَحْسَنَةِ. مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ بِيَمِينِهِ وَيَشْرَبَ بِيَمِينِهِ. وَأَلَّا يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا. وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ ابْنَهُ فَقَالَ: إِذَا أَكَلْتَ فَضُمَّ شَفَتَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتَنَّ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَتَلَقَّمَنَّ بِسِكِّينٍ. وَلَا تَجْلِسْ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَأَرْفَعُ مَنْزِلًا. وَلَا تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِنِ النَّظِيفَةِ. وَمِنْ حُسْنِ الْآدَابِ أَنْ يُعْرَضَ عَنِ الْبِطْنَةِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ. وَمَنْ كَثُرَ طَعَامُهُ سَقِمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ. قَالَ آخَرُ: لَا تُمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ. قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتِ الرَّجُلَ نَهِمًا شَرِهًا

أَخْرُجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ ٱلْجِدِّ إِلَى بَابِ ٱلْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ ٱلتَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ ٱلِٱحْتِقَارِ (للابشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا أَدَبُ ٱلْمُضِيفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظْهِرَ لَهُمُ ٱلْغِنَى وَبَسْطَ ٱلْوَجْهِ فَقَدْ قِيلَ: ٱلْبَشَاشَةُ فِي ٱلْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْقِرَى. قَالُوا: فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهَا وَهُوَ ضَاحِكٌ. وَقَدْ ضَمَّنَ ٱلشَّيْخُ شَمْسُ ٱلدِّينِ ٱلْبُدَيْوِيُّ هٰذَا ٱلْكَلَامَ بِأَبْيَاتٍ فَقَالَ:

إِذَا ٱلْمَرْءُ وَافَى مَنْزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا ... قِرَاكَ وَأَرْمَتْهُ لَدَيْكَ ٱلْمَسَالِكُ
فَكُنْ بَاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا ... وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمٌ مُبَارَكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ ٱلْقِرَى ... عَجُولًا وَلَا تَبْخَلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَالِفٌ مُتَقَدِّمٌ ... تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمْرٌو وَمَالِكُ
بَشَاشَةُ وَجْهِ ٱلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْقِرَى ... فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكُ

قَالَ ٱلْعَرَبُ: تَمَامُ ٱلضِّيَافَةِ ٱلطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ ٱلْحَدِيثِ عِنْدَ ٱلْمُؤَاكَلَةِ. وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

أَللّٰهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَّنِي ... شَيْءٌ كَطَارِقَةِ ٱلضُّيُوفِ ٱلنُّزَّلِ
مَا زِلْتُ بِٱلتَّرْحِيبِ حَتَّى خِلْتُنِي ... ضَيْفًا لَهُ وَٱلضَّيْفُ رَبُّ ٱلْمَنْزِلِ

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ:

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ لِمَنْ زَارَهُ ... نَحْنُ سَوَاءٌ فِيهِ وَٱلطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ ... إِلَّا ٱلَّذِي حَرَّمَهُ ٱلْخَالِقُ

قَالَ عَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ:

وَإِنَّا لَنَقْرِي ٱلضَّيْفَ قَبْلَ نُزُولِهِ ... وَنُشْبِعُهُ بِٱلْبِشْرِ مِنْ وَجْهِ ضَاحِكِ

١٥٨ وَمِنْ آدَابِ ٱلْمُضِيفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ. وَلَا يَنَامَ قَبْلَهُمْ. وَلَا يَشْكُو ٱلزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ. وَيَبِشَّ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَلَّمَ عِنْدَ وَدَاعِهِمْ. وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ. وَيَجِبُ عَلَى ٱلْمُضِيفِ أَنْ يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمْكَنَ. وَلَا يَغْضَبَ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ. وَلَا يُنَغِّصَ عَيْشَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ. وَلَا يَعْبَسَ بِوَجْهِهِ. وَلَا يُظْهِرَ نَكَدًا. وَلَا يَنْهَرَ أَحَدًا وَلَا يَشْتُمَهُ بِحَضْرَتِهِمْ بَلْ يُدْخِلُ عَلَى قُلُوبِهِمُ ٱلسُّرُورَ بِكُلِّ مَا أَمْكَنَ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ ٱلْمُحَادَثَةِ وَغَرِيبِ ٱلْحِكَايَاتِ. وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِٱلْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ ٱلطُّرَفِ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ذٰلِكَ. وَعَلَى ٱلْمُضِيفِ إِذَا قَدَّمَ ٱلطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ. فَقَدْ قِيلَ: ثَلَاثَةٌ تُضْنِي سِرَاجٌ لَا يُضِيءُ وَرَسُولٌ بَطِيءٌ. وَمَائِدَةٌ يُنْتَظَرُ لَهَا مَنْ يَجِيءُ. وَمِنَ ٱلسُّنَّةِ أَنْ يُشَيِّعَ ٱلْمُضِيفُ ٱلضَّيْفَ إِلَى بَابِ ٱلدَّارِ (الابشيهي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ ٱلسَّلَفِ: مَا ٱسْتَكْمَلَ عَقْلُ ٱمْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ: ٱلرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولٌ. وَٱلْكِبْرُ مِنْهُ مَأْمُونٌ. نَصِيبُهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا ٱلْقُوتُ. وَٱلذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْعِزِّ. وَٱلْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْغِنَى يَسْتَقِلُّ كَثِيرَ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ. وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ. وَلَا يَسْأَمُ مِنْ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ طُولَ عُمْرِهِ. وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنْ طَلَبِ ٱلْحَوَائِجِ قَلْبُهُ. وَٱلْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

أَلْبَابُ التَّاسِعُ
فِي اللَّطَائِفِ

الحداد والامير

١٦٠ حكى القاضي أبو عبد الله الآمدي النائب قال: دخلت على الأمير سعيد بن المظفر أيام ولايته للثغر فوجدته يقطر دهنا على خنصره. فسألته عن سببه فذكر ضيق خاتمه وأنه ورم بسببه. فقلت له: الرأي قطع حلقته قبل أن يتفاقم الأمر. فقال: من يصلح لذلك. فاستدعيت ظافرا الحداد الشاعر فقطع الحلقة وأنشد بديها:

قصر عن أوصافك العالم ... وكثر الناثر والناظم
من يكن البحر له راحة ... يضيق عن خنصره الخاتم

فاستحسنه الأمير ووهب له الحلقة. وكانت من ذهب

وكان بين يدي الأمير غزال مستأنس وقد ربض وجعل رأسه في حجره. فقال ظافر بديها:

عجبت لجراة هذا الغزال ... وأمر تخطى له واعتمد
وأعجب به إذ بدا جاثما ... وكيف أطمأن وأنت أسد

فزاد الأمير والحاضرون في الاستحسان (بدائع البدائه للازدي)

١٦١ قال بعض الشعراء يصف الفقير والغني:

من كان يملك درهمين تعلمت ... شفتاه أنواع الكلام فقالا

وتقدم الإخوان فاستمعوا له ... ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التي يزهو بها ... لوجدته في الناس أسوأ حالا
إن الغني إذا تكلم بالخطا ... قالوا صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير إذا تكلم صادقا ... قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
إن الدراهم في المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة ... وهي السلاح لمن أراد قتالا

الحجاج والفتية

١٦٢ أمر الحجاج صاحب حرسه أن يطوف بالليل فمن رآه بعد العشاء سكران ضرب عنقه. فطاف ليلة من الليالي فوجد ثلاثة فتيان يتمايلون وعليهم أمارات السكر. فأحاطت بهم الغلمان وقال لهم صاحب الحرس: من أنتم حتى خالفتم أمر أمير المؤمنين وخرجتم في مثل هذا الوقت. فقال أحدهم:

أنا ابن من دانت الرقاب له ... ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالرغم وهي صاغرة ... يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عنه وقال: لعله من أقارب أمير المؤمنين. ثم قال للآخر: وأنت من تكون. فقال:

أنا ابن لمن لا تنزل الدهر قدره ... وإن نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره ... فمنهم قيام حولها وقعود

فأمسك عنه وقال: لعله ابن أشرف العرب. ثم قال للآخر:

وأنت من تكون . فأنشد على البديهة :

أنا ابن لمن خاض الصفوف بعزمه وقومها بالسيف حتى استقامت
وركباه لا ينفك رجلاه منهما إذا الخيل في يوم الكريهة ولت
فأمسك عنه أيضا وقال : لعله ابن أشجع العرب واحتفظ عليهم .

فلما كان الصباح رفع أمرهم إلى أمير المؤمنين فأحضرهم وكشف عن حالهم . فإذا الأول ابن حجام . والثاني ابن قوال . والثالث ابن حائك . فتعجب من فصاحتهم وقال لجلسائه : عاّموا أولادكم الأدب فوالله لولا فصاحتهم لضربت أعناقهم (للنواجي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ ألف أبو العلاء صاعد كتبا منها كتاب الفصوص . واتفق لهذا الكتاب من عجائب الاتفاق أن أبا العلاء دفعه حين كمل لغلام له يحمله بين يديه . وعبر النهر نهر قرطبة . فخانت الغلام رجله فسقط في النهر هو والكتاب . فقال في ذلك بعض الشعراء وهو العريف بيتا مطبوعا بحضرة المنصور وهو :

قد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك المنصور والحاضرون . فلم يرع ذلك صاعدا ولا هاله . وقال مرتجلا مجيبا لابن العريف :

عاد إلى معدنه إنما توجد في قعر البحار الفصوص

(كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي)

١٦٤ قال ابن شرف يصف دارا ويتشكى من بعوضها :

لك منزل كملت ستارته لنا لله لكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب وظل يزمر حوله فيه البعوض ويرقص البرغوث

قال آخر في هذا المعنى :

ليل البراغيث والبعوض ليل طويل بلا غموض
فذاك ينزو بغير رقص وذا يغني بلا عروض

فتى فصيح

١٦٥ دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعهم وهو غلام صغير . فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك . أفتأذن لي في الكلام . قال : نعم . فحمد الله تعالى وشكره ثم قال : أمتعنا الله بحياطة ديننا ودنيانا . ورعاية أقصانا وأدنانا . ببقائك يا أمير المؤمنين . ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا . وفي أثرك من آثارنا . ويقيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا . هذا مقام العائذ بظلك . الهارب إلى كنفك وفضلك . الفقير إلى رحمتك وعدلك . ثم سأل حوائجه فقضاها . (للشريشي)

علي بن الجهم

١٦٦ سخط المتوكل على علي بن الجهم فنفاه إلى خراسان . وكتب أن يصلب إذا ورد هاويما إلى الليل . فلما وصل إلى الشاذياخ حبسه

طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ . فَصَلَبَهُ إِلَى اللَّيْلِ مُجَرَّدًا . فَقَالَ .

لَمْ يَصْلُبُوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ ٱلْـ ... إِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولَا
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللهِ مِلْءَ عُيُونِهِمْ ... شَرَفًا وَمِلْءَ صُدُورِهِمْ تَبْجِيلَا
مَا ٱزْدَادَ إِلَّا رِفْعَةً وَسَعَادَةً ... وَٱزْدَادَتِ ٱلْأَعْدَاءُ عَنْهُ نُكُولَا
هَلْ كَانَ إِلَّا ٱللَّيْثَ فَارَقَ غِيلَهُ ... فَرَأَيْتَهُ فِي مَحْمِلٍ مَحْمُولَا
مَا عَابَهُ أَنْ قَدْ نُزِعْتَ لِبَاسَهُ ... كَٱلسَّيْفِ أَفْضَلُ مَا يُرَى مَسْلُولَا

وَقَالَ فِي ٱلْحَبْسِ :

قَالُوا حُبِسْتَ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي ... حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنَّدٍ لَا يُغْمَدُ
أَوَ مَا رَأَيْتَ ٱللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيلَهُ ... كِبْرًا وَأَوْبَاشَ ٱلسِّبَاعِ تَصَيَّدُ
فَٱلشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ ... عَنْ نَاظِرَيْكَ لَمَا أَضَاءَ ٱلْفَرْقَدُ
وَٱلنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ ... لَا تَصْطَلِي إِنْ لَمْ تُثِرْهَا ٱلْأَزْنُدُ
وَٱلْحَبْسُ إِنْ لَمْ تَغْشَهُ لِدَنِيَّةٍ ... شَنْعَاءَ نِعْمَ ٱلْمَنْزِلُ ٱلْمُتَوَرَّدُ

دروَاس بن حبيب وهشام

١٦٧ قَحِطَتِ ٱلْبَادِيَةُ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ . فَوَفَدَ عَلَيْهِ رُؤُوسُ ٱلْقَبَائِلِ . فَجَلَسَ لَهُمْ وَفِيهِمْ صَبِيٌّ ٱبْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً يُسَمَّى دِرْوَاسَ ٱبْنَ حَبِيبٍ . فِي رَأْسِهِ ذُؤَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ يَمَانِيَةٌ فَٱسْتَصْغَرَهُ هِشَامٌ وَقَالَ لِحَاجِبِهِ : مَا يَشَاءُ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى ٱلصِّبْيَانُ . فَقَالَ دِرْوَاسُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ دُخُولِي لَمْ يُخِلَّ بِكَ وَلَا ٱنْتِقَصَكَ وَلَكِنَّهُ شَرَّفَنِي . وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدِمُوا لِأَمْرٍ فَهَابُوكَ دُونَهُ . وَإِنَّ ٱلْكَلَامَ

نَشْرٌ وَٱلسُّكُوتَ طَيٌّ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ . فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ : ٱنْشُرْ لَا أُمَّ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّا أَصَابَتْنَا سِنُونَ ثَلَاثٌ . فَسَنَةٌ أَكَلَتِ ٱللَّحْمَ . وَسَنَةٌ أَذَابَتِ ٱلشَّحْمَ . وَسَنَةٌ أَنْقَتِ ٱلْعَظْمَ . وَفِي يَدَيْكَ فُضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَرِّقْهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَلَا تَحْبِسْهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكَ فَتَصَدَّقْ بِهَا عَلَيْهِمْ فَإِنَّ ٱللهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ . وَإِنَّ ٱلْوَالِيَ مِنَ ٱلرَّعِيَّةِ كَٱلرُّوحِ مِنَ ٱلْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . فَقَالَ هِشَامٌ : مَا تَرَكَ ٱلْغُلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ ٱلثَّلَاثِ عُذْرًا . وَأَمَرَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فَفُرِّقَتْ فِي أَهْلِ ٱلْبَادِيَةِ . وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَقَالَ : أُرَدِّدُهَا فِي جَائِزَةِ ٱلْعَرَبِ فَمَا لِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ ٱلنَّاسِ (للشريشي)

الشاعر المتروي

١٦٨ يُحْكَى أَنَّ بَعْضَ ٱلْأَعْرَابِ ٱمْتَدَحَ بَعْضَ ٱلرُّؤَسَاءِ بِقَصِيدَةٍ بَدِيعَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ ٱسْتَكْثَرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ ٱلْحَاضِرِينَ وَنَسَبَهُ إِلَى سَرِقَتِهَا . فَأَرَادَ ٱلْمَمْدُوحُ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ ٱلْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ بِمُدٍّ مِنَ ٱلشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بَدِيهَةٌ فِي ٱلنَّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ مُدَّ ٱلشَّعِيرِ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ ٱلْمَمْدُوحُ لِلْبَوَّابِينَ سِرًّا : لَا تُمَكِّنُوهُ مِنَ ٱلْخُرُوجِ . فَوَقَفَ ٱلْأَعْرَابِيُّ فِي ٱلدِّهْلِيزِ حَائِرًا . فَبَعَثَ إِلَيْهِ ٱلْمَمْدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ يَا أَعْرَابِيُّ . فَقَالَ : إِنِّي ٱمْتَدَحْتُ ٱلْأَمِيرَ بِقَصِيدَةٍ . قَالَ : فَمَا أَجَازَكَ

عَلَيْهَا . قَالَ : هٰذَا مُدَّ الشَّعِيرِ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي ذٰلِكَ شَيْئًا . قَالَ نَعَمْ . قَالَ : مَا هُوَ . فَأَنْشَدَ بَدِيهًا :

يَقُولُونَ لِي أَرْخَصْتَ شِعْرَكَ فِي الْوَرَى ... فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ عُدْمِ أَهْلِ الْمَكَارِمِ
أُجِزْتُ عَلَى شِعْرِي الشَّعِيرَ وَإِنَّهُ ... كَثِيرٌ إِذَا خَصَّصْتُهُ مِنْ بَهَائِمِ

فَلَمَّا بَلَغَ الْمَمْدُوحَ هٰذَانِ الْبَيْتَانِ أَعْجَبَ بِهِمَا . وَعَلِمَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ مِنْ نَظْمِهِ . فَرَسَمَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ

المنصور وابن هبيرة

١٦٩ لَمَّا حَاضَرَ الْمَنْصُورُ ابْنُ هُبَيْرَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَقَالَ : بَارِزْنِي . فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : لَأَشْهَرَنَّ امْتِنَاعَكَ وَلَأُعَيِّرَنَّكَ بِهِ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَثَلُنَا مَا قِيلَ : إِنَّ خِنْزِيرًا بَعَثَ إِلَى الْأَسَدِ وَقَالَ : قَاتِلْنِي . فَقَالَ الْأَسَدُ : لَسْتَ بِكُفْوِي . فَإِنِّي إِنْ قَتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ لِي فَخْرٌ . وَإِنْ قَتَلْتَنِي لَحِقَنِي وَصْمٌ عَظِيمٌ . فَقَالَ : لَأُخْبِرَنَّ السِّبَاعَ بِنُكُولِكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : احْتِمَالُ الْعَارِ فِي ذٰلِكَ أَيْسَرُ مِنَ التَّلَطُّخِ بِدَمِكَ . فَخَجِلَ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (للنواجي)

١٧٠ مَا أَرَقَّ وَأَجْوَدَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْفِرَاقِ :

مَا الدَّارُ مُذْ غِبْتُمْ يَا سَادَتِي دَارُ ... كَلَّا وَلَا الْجَارُ مُذْ غِبْتُمْ لَنَا جَارُ
غِبْتُمْ فَأَوْحَشْتُمُ الدُّنْيَا بِبُعْدِكُمُ ... وَأَظْلَمَتْ بَعْدَكُمْ رُحْبٌ وَأَقْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي نَادَى بِفُرْقَتِنَا ... يَعْرَى مِنَ الرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ
تُرَى تَعُودُ لَيَالِينَا الَّتِي سَلَفَتْ ... كَمَا عَهِدْنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا الدَّارُ

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرٌ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهٰذِهِ الْأَبْيَاتِ :

أَتَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ قُنْبُرَةٌ ... تُهْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي فِيهَا
وَأَنْشَدَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً ... إِنَّ الْهَدَايَا عَلَى مِقْدَارِ مُهْدِيهَا
لَوْ كَانَ يُهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيمَتُهُ ... لَكُنْتُ أُهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

فَاسْتَحْسَنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَازَهُ (طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي تَغْرِيدِ الْبُلْبُلِ :

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُغَرِّدُ فِي النَّخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانَا
أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دُمْتَ تَدْعُو ... فَوْقَ أَفْنَانِ نَخْلَةٍ وَرْشَانَا
هَاجَ بِي صَوْتُكَ الْمُغَرِّدُ شَجْوًا ... رُبَّ صَوْتٍ يُهَيِّجُ الْأَحْزَانَا

١٧٣ وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَصَدَّى إِلَى صَغَائِرِ الشُّرُورِ :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ ... وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنْ لَمْ تُطْفِهَا عُقَلَاءُ قَوْمٍ ... يَكُونُ وَقُودَهَا جُثَثٌ وَهَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذْكَى ... وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا كَلَامُ

١٧٤ اجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّحَابَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

أَلَمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ

فَقَالَ عُمَرُ :

أَلدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا ... يُرْضِي الْإِلٰهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَالنَّارُ

فَأَجَازَهُ عُثْمَانُ :

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا ... فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

فَأَجَازَهُ عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْفِرْدَوْسِ إِنْ عَمِلُوا وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً فَالرَّبُّ غَفَّارُ

١٧٥ قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِلَادِي فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي بِشَوْقٍ إِلَى عَهْدِ الصِّبَا الْمُتَقَادِمِ

حَنَنْتُ إِلَى رَبْعٍ بِهِ أُخْضُرُ شَارِبِي وَقُطِّعَ عَنِّي فِيهِ عِقْدُ التَّمَائِمِ

١٧٦ قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ مُوَدِّعًا :

لَأُوَدِّعَنَّكَ ثُمَّ تَدْمَعُ مُقْلَتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي

فِي فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ شُغْلٌ شَاغِلٌ وَالْمَوْتُ صِدْقًا فُرْقَةُ الْإِخْوَانِ

١٧٧ قَالَ شَمْسُ الْمَعَالِي قَابُوسُ وَكَانَتْ أَصْحَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرَ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ

فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

١٧٨ حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ ابْنِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ. وَكَانَ يَرِقُّ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ. فَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ. فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللهُ الْحَيَاةَ مَدَّا حَتَّى يَكُونَ ابْنُكَ هٰذَا جَدَّا

مُؤَزَّرًا بِمَجْدِهِ مُرَدَّى ثُمَّ يُفَدَّى مِثْلَ مَا تُفَدَّى

أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً وَجِدًّا وَشِيَمًا مَرْضِيَةً وَمَجْدًا

كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَمَائِلًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا

قَالَ : فَتَبَسَّمَ الْفَضْلُ وَقَالَ : أَمْتَعَنِي اللهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ. فَقَدْ عُوِّضْتُ مِنَ الْحُزْنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ. وَكَذٰلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللهُ

١٧٩ أَخْبَرَ الصُّولِيُّ قَالَ : عَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ. فَفَتَحَهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ :

لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي لِحُسْنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَلِي

فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَا فِي الْقَدْرِ قَدْ عَظُمَا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي

فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : يَا إِسْحَاقُ عُذْرُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ. وَمَا جَالَ بِفِكْرِي وَلَا أَحْضَرْتُهُ بَعْدَ انْقِضَائِهِ عَلَى ذِكْرِي (الاغاني)

١٨٠ تَعَذَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ :

قَامَتْ تُشَجِّعُنِي هِنْدٌ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ

لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَتَهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مَنْ لَهُ أَدَبُ

لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَثَبُوا

وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمُ لَا الْقَتْلُ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّلَبُ

١٨١ قَالَ مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ فِي هٰذَا الْمَعْنَى :

أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمُشِيحُ الْمُغِيرُ إِنَّ قَلْبِي مِنَ السِّلَاحِ يَطِيرُ

لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَهَجِ الْخَيْلِ إِذَا ثَوَّرَ الْغُبَارَ مُثِيرُ

وَاسْتَدَارَتْ رَحَى الْحُرُوبِ بِقَوْمٍ فَقَتِيلٌ وَهَارِبٌ وَأَسِيرُ

حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْجَبَانُ مِنَ الذُّعْرِ وَيَعْلُو الصِّيَاحُ وَالتَّكْبِيرُ

أَنَا فِي مِثْلِ هٰذَا وَهْنٌ بَلِيدٌ وَلَبِيبٌ فِي غَيْرِهِ نِحْرِيرُ

١٨٢ مَثَلَ دِعْبِلٌ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ أُمَرَاءِ الرَّقَّةِ فَقَالَ أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ:

مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي ... صُفْرًا يَدِي مِنْ عِنْدِ أَرْوَعَ مُخْزِلِ
إِنْ قُلْتُ أَعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْ ... ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمُلِ
وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَى ... مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنَّنِي ... لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أُسْأَلِ

قَالَ لَهُ: قَاتَلَكَ اللهُ. وَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (لابن عبد ربّه)

١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ رَجُلًا يَحْمِي خَبِيثًا:

رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَحْمِي خَبِيثًا ... وَكُلٌّ مِنْهُمَا بِالظُّلْمِ يَسْعَى
قَدِ اتَّفَقَا وَلَكِنْ فِي فَسَادٍ ... كَعَقْرَبِ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَفْعَى

ابو عبادة البحتري عند المتوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عُبَادَةَ الْبُحْتُرِيُّ الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدْخَلَهُ فِي نُدَمَائِهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا رَأَيْتُ أَشْرَقَ مِنْ نُورِهِمَا. وَلَا أَنْقَى بَيَاضًا وَلَا أَكْبَرَ. فَأَدَمْتُ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا. وَرَآنِي الْمُتَوَكِّلُ فَرَمَى إِلَيَّ الَّتِي كَانَتْ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى. فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَجَعَلْتُ أُفَكِّرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَمَعًا فِي الْأُخْرَى. فَعَنَّ لِي أَنْ قُلْتُ:

بِسُرَّ مَرَّا لَنَا إِمَامٌ ... تَعْرُفُ مِنْ كَفِّهِ الْبِحَارُ
خَلِيفَةٌ يُرْتَجَى وَيُخْشَى ... كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
أَلْمُلْكُ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ ... مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ ... هٰذِي عَلَى هٰذِهِ تَغَارُ
وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينُ شَيْئًا ... إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَارُ

فَرَمَى بِالدُّرَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ: خُذْهَا يَا عَيَّارُ (للازدي)

١٨٥ مَرِضَ ابْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ هٰذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

أَنْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَوْلًى لَمْ يَزَلْ ... يُولِي النَّدَى وَتَلَافَ قَبْلَ تَلَافِي
أَنَا كَالَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ ... فَاغْنَمْ دُعَائِي وَالثَّنَاءَ الْوَافِي

فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ. وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي. وَهٰذِهِ الصِّلَةُ. وَأَنَا الْعَائِدُ (لبهاء الدين)

١٨٦ كَانَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صَقْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا. فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي حِجْرِهِ كَالْمُسْتَجِيرَةِ بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ عُنَيْنٍ أَبْيَاتًا فِي هٰذَا الْمَعْنَى. مِنْهَا:

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ ... وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحَيْ خَاطِفِ
مَنْ أَنْبَأَ الْوَرْقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ ... حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ

(تاريخ الذهبي)

١٨٧ رَكِبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَوْمًا بِبَغْدَادَ فِي حَرَّاقَتِهِ فَاعْتَرَضَهُ مُقَدِّسُ ابْنُ صَيْفِيٍّ الْخُلُوقِيُّ الشَّاعِرُ. وَقَدْ أُدْنِيَتْ مِنَ الشَّطِّ لِيَخْرُجَ. فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي أَبْيَاتًا. فَقَالَ: قُلْ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ ... لَا غَرِقَتْ كَيْفَ لَا تَغْرَقُ
وَبَحْرَانِ مِنْ فَوْقِهَا وَاحِدٌ ... وَآخَرُ مِنْ تَحْتِهَا مُطْبِقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ أَعْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ

فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطُوهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ (لابن خلكان)

جرير والفرزدق والاخطل في مجلس عبد الملك

١٨٨ إِجْتَمَعَ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ فِي مَجْلِسِ عَبْدِ الْمَلِكِ. فَأَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ كِيسًا فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ. وَقَالَ لَهُمْ: لِيَقُلْ كُلٌّ مِنْكُمْ بَيْتًا فِي مَدْحِ نَفْسِهِ فَأَيُّكُمْ غَلَبَ فَلَهُ الْكِيسُ. فَبَدَرَ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ:

أَنَا الْقَطْرَانُ وَالشُّعَرَاءُ جَرْبَى وَفِي الْقَطْرَانِ لِلْجَرْبَى شِفَاءُ

فَقَالَ الْأَخْطَلُ:

فَإِنْ تَكُ زِقَّ زَامِلَةٍ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ

فَقَالَ جَرِيرٌ:

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتِي عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ

فَقَالَ: خُذِ الْكِيسَ فَلَعَمْرِي إِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(طبقات الشعراء لابن سلّام)

الرَّكاض والرشيد

١٨٩ أُدْخِلَ الرَّكَّاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَعَجَّبَ مِنْ فِطْنَتِهِ. فَقَالَ لَهُ: مَا تُحِبُّ أَنْ أَهَبَ لَكَ. قَالَ: جَمِيلَ رَأْيِكَ. فَإِنِّي أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَأَمَرَ بِدَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ فَصُبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: اخْتَرِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ: الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَهٰذَا مِنْ هٰذَيْنِ. وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الدَّنَانِيرِ. فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِضَمِّهِ إِلَى وُلْدِهِ وَالْإِجْرَاءِ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِيُّ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا:

فَدَيْتُكَ يَا رُوحَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى بِأَنْفَسِ مَا عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ

حُبِسْتَ فَمِنْ بَعْدِ الْكُسُوفِ تَبَلُّجٌ تُضِيءُ بِهِ الْآفَاقُ كَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ

فَلَا تَعْتَقِدْ لِلْحَبْسِ هَمًّا وَوَحْشَةً فَقَبْلَكَ قِدْمًا كَانَ يُوسُفُ فِي الْحَبْسِ

١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبْشَاهَ يُغْرِي عَلَى طَلَبِ الْمَجْدِ:

لَا يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعُدُهُ فَإِنَّ لِلْمَجْدِ تَدْرِيجًا وَتَرْتِيبَا

إِنَّ الْقَنَاةَ الَّتِي شَاهَدْتَ رِفْعَتَهَا تَنْمُو فَتَنْبُتُ أُنْبُوبًا فَأُنْبُوبَا

١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَقْرٍ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعُفَ عَنِ الْمَشْيِ. فَصَارَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصًا فَقَالَ فِي ذٰلِكَ:

كُلُّ مَرْءٍ إِذَا تَفَكَّرْتَ فِيهِ وَتَأَمَّلْتَهُ رَأَيْتَ ظَرِيفَا

كُنْتُ أَمْشِي عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيًّا صِرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفَا

١٩٣ زَلَّتْ بِالْأَتَابِكِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَغْلَتُهُ فَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ:

إِنْ زَلَّتِ الْبَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُذْرَا

حَمَّلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِقًا وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بَحْرَا

١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقُ يَعْتِبُ عَلَى نَفْسِهِ:

يَا خَجْلَتِي وَصَحَائِفِي قَدْ سُوِّدَتْ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ

وَمُوَبِّخٍ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَائِلٍ أَكَذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ

١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخَّرَ الطَّعَامَ إِلَى الْمَسَاءِ فَقَالَ:

يَا صَاحِبَ ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي ضِيفَانُهُ مَاتُوا جَمِيعَا
أَدَعَوْتَنَا حَتَّى نَمُو تَ بِدَائِنَا عَطَشًا وَجُوعَا
مَا لِي أَرَى فَلَكَ ٱلرَّغِيفِ لَدَيْكَ مُشْتَرِفًا رَفِيعَا
كَٱلْبَدْرِ لَا نَرْجُو إِلَى وَقْتِ ٱلْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعَا

١٩٦ قَالَ ٱبْنُ حَمْدِيسَ يَتَشَوَّقُ إِلَى صِقِلِّيَةَ وَهِيَ مَكَانُ مَنْشَإِهِ:

ذَكَرْتُ صِقِلِّيَةً وَٱلْأَسَى يُجَدِّدُ لِلنَّفْسِ تَذْكَارَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْلَا مُلُوحَةُ مَاءِ ٱلْبُكَا حَسِبْتُ دُمُوعِيَ أَنْهَارَهَا

١٩٧ حُكِيَ أَنَّ جُمْهُورَ شُعَرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا ٱلْوَالِيَ كُلَّ سَنَةٍ فِي ٱلْعِيدِ فَيُهَنِّئُونَهُ بِٱلْقَصَائِدِ وَيَنَالُونَ مِنْهُ ٱلْجَوَائِزَ. فَبَيْنَمَا كَانُوا لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يُعَيِّدُونَهُ بِٱلْأَشْعَارِ حَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ ٱرْتَجَّتْ مِنْهَا دِيَارُ مِصْرَ. فَٱلْتَفَتَ ٱلْوَالِي إِلَى ٱلشُّعَرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ: هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُطْرِفُنَا بَدِيهًا بِبَيْتٍ مَضْمُونُهُ هٰذِهِ ٱلزَّلْزَلَةُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

يَا حَاكِمَ ٱلْفَضْلِ إِنَّ ٱلْحَقَّ مُتَّضِحٌ لَدَى ٱلْكِرَامِ وَعِنْدَ ٱلسَّادَةِ ٱلنُّجَبَا
مَا زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ كَيْدٍ أَلَمَّ بِهَا لٰكِنَّهَا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِكُمْ طَرَبَا

الأعمى والأعور

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصْعَبَ فَقْدَ ٱلْبَصَرْ
أَجَابَهُ أَعْوَرُ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذٰلِكَ نِصْفُ ٱلْخَبَرْ

١٩٩ قَالَ ٱبْنُ ٱلدَّهَّانِ فِي غُلَامٍ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ فِي شَفَتِهِ:

بِأَبِي مَنْ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ آلَمَتْ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلْ
حَسِبَتْ أَنَّ بِفِيهِ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رِيقَتَهُ مِثْلَ ٱلْعَسَلْ

٢٠٠ أَنْشَدَ صَرَّدُرُّ ٱلشَّاعِرُ ٱبْنُ جُهَيْرٍ لَمَّا عَادَ إِلَى ٱلْوِزَارَةِ بَعْدَ ٱلْعَزْلِ:

قَدْ رَجَعَ ٱلْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ ٱلْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتَ إِلَّا ٱلسَّيْفَ سَلَّتْهُ يَدٌ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ
هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِمًا رَوْنَقُهُ يُغْنِيهِ عَنْ ضِرَابِهِ

٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ ٱلرَّازِيُّ ٱللُّغَوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ:

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتُ خَيْرٌ تَقَضَّى حَاجَةٌ وَتَفُوتُ حَاجُ
إِذَا ٱزْدَحَمَتْ هُمُومُ ٱلصَّدْرِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا ٱنْفِرَاجُ
نَدِيمِي هِرَّتِي وَأَنِيسُ نَفْسِي دَفَاتِرُ لِي وَمَعْشُوقِي ٱلسِّرَاجُ

٢٠٢ أَرْسَلَ ٱلْبَدِيعُ ٱلْأَسْطُرْلَابِيُّ هَدِيَّةً لِبَعْضِ ٱلْأُمَرَاءِ فَأَنْشَدَ:

أُهْدِي لِمَجْلِسِهِ ٱلْكَرِيمِ وَإِنَّمَا أُهْدِي لَهُ مَا حُزْتُ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَٱلْبَحْرِ يُمْطِرُهُ ٱلسَّحَابُ وَمَالُهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ

٢٠٣ كَانَ ٱلْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يُقَطِّعُ ٱلْعَرُوضَ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ فِي تِلْكَ ٱلْحَالَةِ فَخَرَجَ إِلَى ٱلنَّاسِ وَقَالَ: إِنَّ أَبِي قَدْ جُنَّ. فَدَخَلَ ٱلنَّاسُ عَلَيْهِ وَهُوَ يُقَطِّعُ ٱلْعَرُوضَ. فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ ٱبْنُهُ. فَقَالَ لَهُ:

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي أَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَا
لٰكِنْ جَهِلْتَ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَا

(نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي بركات الانباري)

٢٠٤ شَخَصَ مُضَرُ وَرَبِيعَةُ وَإِيَادٌ وَأَنْمَارٌ أَوْلَادُ نِزَارٍ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرُ كَلَأً قَدْ رُعِيَ فَقَالَ: أَلْبَعِيرُ الَّذِي رَعَى هٰذَا أَعْوَرُ. فَقَالَ رَبِيعَةُ: وَهُوَ أَزْوَرُ. قَالَ إِيَادٌ: وَهُوَ أَبْتَرُ. وَقَالَ أَنْمَارُ: وَهُوَ شَرُودٌ. فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ عَنِ ٱلْبَعِيرِ. فَقَالَ مُضَرُ: أَهُوَ أَعْوَرُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَبِيعَةُ: أَهُوَ أَزْوَرُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ إِيَادٌ: أَهُوَ أَبْتَرُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنْمَارُ: أَهُوَ شَرُودٌ. قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: هٰذِهِ وَٱللهِ صِفَاتُ بَعِيرِي دُلُّونِي عَلَيْهِ. فَحَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا رَأَوْهُ. فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ: كَيْفَ أُصَدِّقُكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ. فَسَارُوا حَتَّى قَرُبُوا نَجْرَانَ فَتَزَلُوا بِٱلْأَفْعَى ٱلْجُرْهُمِيِّ. فَنَادَى صَاحِبُ ٱلْبَعِيرِ: هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ. فَقَالَ ٱلْجُرْهُمِيُّ: كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ. فَقَالَ مُضَرُ: رَأَيْتُهُ يَرْعَى جَانِبًا وَيَدَعُ جَانِبًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعْوَرُ. وَقَالَ رَبِيعَةُ: رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ ثَابِتَةَ ٱلْأَثَرِ وَٱلْأُخْرَى فَاسِدَةَ ٱلْأَثَرِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ وَطْئِهِ لِأَزْوَارِهِ. وَقَالَ إِيَادٌ: عَرَفْتُ بَتْرَهُ بِإِجْمَاعِ بَعْرِهِ وَلَوْ كَانَ ذَيَّالًا لَتَفَرَّقَ. وَقَالَ أَنْمَارُ: إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْعَى فِي ٱلْمَكَانِ ٱلْمُلْتَفِّ نَبْتُهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرَقَّ مِنْهُ وَأَخْبَثَ. فَقَالَ ٱلْأَفْعَى: لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ. ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ. فَرَحَّبَ بِهِمْ وَأَضَافَهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ (ثمرات الاوراق للحموي)

ٱلْبَابُ ٱلْعَاشِرُ
فِي ٱلْمَدِيحِ

٢٠٥ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي مَدَحْتُكَ فَٱسْتَمِعْ. قَالَ: عَلَى رِسْلِكَ. ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ: قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَكَّمْنَاكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَمِنْتُ بِدَاوُدٍ وَجُودِ يَمِينِهِ ... مِنَ ٱلْحَدَثِ ٱلْخَشِيِّ وَٱلْيَأْسِ وَٱلْفَقْرِ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبْوَةً ... مِنَ ٱلْحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ أَزْرِي
لَهُ حُكْمُ لُقْمَانٍ وَصُورَةُ يُوسُفٍ ... وَحُكْمُ سُلَيْمَانٍ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرِ
فَتًى تَفْرُقُ ٱلْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ ... كَمَا يَفْرُقُ ٱلشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ

فَقَالَ لَهُ: قَدْ حَكَّمْنَاكَ فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي. فَقَالَ: عَلَى قَدْرِي. فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا. فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ: هَلَّا ٱحْتَكَمْتَ عَلَى قَدْرِ ٱلْأَمِيرِ. قَالَ: لَمْ يَكُ فِي مَالِهِ مَا يَفِي بِقَدْرِهِ. قَالَ لَهُ دَاوُدُ: أَنْتَ فِي هٰذِهِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ وَأَمَرَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَعْطَاهُ

٢٠٦ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي ٱلْعَبَّاسِ ٱلْقَائِدِ فَأَنْشَدْتُهُ:

أَللهُ جَرَّدَ لِلنَّدَى وَٱلْبَاسِ ... سَيْفًا فَقَلَّدَهُ أَبَا ٱلْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا ٱسْتَقْبَلْتَ غُرَّةَ وَجْهِهِ ... قَبَضَ ٱلرَّجَاءُ إِلَيْكَ رُوحَ ٱلْيَاسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْحَيَاةِ سَكِينَةٌ ... وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ ٱلْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ ٱللهُ يَوْمًا عَبْدَهُ ... أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ

ثُمَّ سَأَلْتُهُ حَاجَةً فِيهَا بَعْضُ ٱلْغِلَظِ . فَتَلَكَّأَ عَلَيَّ . فَوَقَّعْتُ فِي سِحَاءَةٍ :

مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا ... عُذْرًا إِذَا أَعْطَيْتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا
أَنْظُرْ إِلَى عَرْضِ ٱلْبِلَادِ وَطُولِهَا ... أَوَلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبَرَّهَا
حَاشَى لِجُودِكَ أَنْ يُوَعِّرَ حَاجَتِي ... ثِقَتِي بِجُودِكَ سَهَّلَتْ لِي وَعْرَهَا
لَا يَجْتَنِي حُلْوَ ٱلْمَحَامِدِ مَاجِدٌ ... حَتَّى يَذُوقَ مِنَ ٱلْمَطَالِبِ مُرَّهَا
فَقَضَى ٱلْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لابن عبد ربّه)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ ... أُسُودٌ لَهَا فِي غِيلِ خَفَّانَ أَشْبُلُ
هُمُ يَمْنَعُونَ ٱلْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا ... لِجَارِهِمِ بَيْنَ ٱلسِّمَاكَيْنِ مَنْزِلُ
هُمُ ٱلْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا ... أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
وَمَا يَسْتَطِيعُ ٱلْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ ... وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي ٱلنَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدٌ ٱلرَّاوِيَةُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى ٱلرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ ٱلْفَضْلُ ٱبْنُ ٱلرَّبِيعِ وَيَزِيدُ بْنُ مَزْيَدٍ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانِ وَرَغِيفَانِ سَمِيذَاً وَدَجَاجَتَانِ . فَقَالَ لِي : أَنْشِدْنِي . فَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةَ ٱلنَّمَرِيِّ ٱلْعَيْنِيَّةَ فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ ٱلْمَكَارِمَ وَٱلْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ ... أَحَلَّكَ ٱللهُ مِنْهَا حَيْثُ تَتَّسِعُ
إِذَا رَفَعْتَ ٱمْرَأً فَٱللهُ يَرْفَعُهُ ... وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ ٱلْأَقْوَامِ يَتَّضِعُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَٱلْأَبْطَالُ مُعْلَمَةٌ ... يَوْمَ ٱلْوَغَى وَٱلْمَنَايَا صَابِهَا فَزِعُ

(قَالَ) فَرَمَى بِٱلْخِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ : هٰذَا وَٱللهِ أَطْيَبُ

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ

٢٠٩ حَكَى ٱلْمَنْصُورُ ٱلنَّمَرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى ٱلرَّشِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ أَعْدَدْتُ لَهُ مَدْحًا . فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَيِّبَ ٱلنَّفْسِ فَرُمْتُ شَيْئًا فَمَا جَاءَنِي . وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا فَقُلْتُ :

إِذَا ٱعْتَاصَ ٱلْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَٱمْدَحْ ... أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقَالَا
وَعُذْ بِفِنَائِهِ وَٱجْنَحْ إِلَيْهِ ... تَنَلْ عُرْفًا وَلَمْ تَذْلُلْ سُؤَالَا
فِنَاءٌ لَا تَزَالُ بِهِ رِكَابٌ ... وَضَعْنَ مَدَائِحًا وَحَمَلْنَ مَالَا

فَقَالَ : لِلهِ دَرُّكَ لَئِنْ قَصَّرْتَ ٱلْقَوْلَ لَقَدْ أَطَلْتَ ٱلْمَعْنَى . وَأَمَرَ لِي بِصِلَةٍ سَنِيَّةٍ

٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى ٱبْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ ٱلْأَهْوَازِ قَصَدَهُ عِجْرِدٌ إِلَيْهَا وَقَالَ فِيهِ :

يَحْيَى ٱمْرُؤٌ زَيَّنَهُ رَبُّهُ ... بِفِعْلِهِ ٱلْأَقْدَمِ وَٱلْأَحْدَثِ
إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ وَدَّ لَمْ ... يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثِ
أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا ... مُوَكَّلًا بِٱلْأَسْهَلِ ٱلْأَدْمَثِ
طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى ... فِي خُلُقٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْدَثِ
وَرَّثَهُ ذَاكَ أَبُوهُ فَيَا ... طِيبَ ثَنَا ٱلْوَارِثِ وَٱلْمُورِثِ

فَوَصَلَهُ يَحْيَى بِصِلَةٍ سَنِيَّةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ ٱنْصَرَفَ

٢١١ إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ ٱلرَّقِّيُّ ٱلْعَبَّاسَ بْنَ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهَا حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ٱبْنَ مُحَمَّدٍ ... قُلْ لَا وَأَنْتَ مُخَلَّدٌ مَا قَالَهَا
مَا إِنْ أَعُدُّ مِنَ ٱلْمَكَارِمِ خَصْلَةً ... إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا ٱلْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلْدَةٍ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هِلَالَهَا
إِنَّ ٱلْمَكَارِمَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً حَتَّى حَلَلْتَ بِرَاحَتَيْكَ عِقَالَهَا

٢١٢ أَنْشَدَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ٱلْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى ٱلْبَرْمَكِيَّ:

عِنْدَ ٱلْمُلُوكِ مَضَرَّةٌ وَمَنَافِعُ وَأَرَى ٱلْبَرَامِكَ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
إِنَّ ٱلْعُرُوقَ إِذَا ٱسْتَسَرَّ بِهَا ٱلثَّرَى أَشَرُ ٱلنَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ ٱلْمَزْرَعُ
فَإِذَا نَكَرْتَ مِنَ ٱمْرِئٍ أَعْرَاقَهُ وَقَدِيمَهُ فَٱنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ

قَالَ فَأَعْجَبَهُ ٱلشِّعْرُ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هٰذَا ٱلْقَوْلَ إِلَّا السَّاعَةَ. وَمَا لَهُ عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أُكَافِئْهُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَكَيْفَ ذٰلِكَ أَصْلَحَكَ ٱللّٰهُ وَقَدْ وَهَبْتَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ: لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ بِمُكَافِئَةٍ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الاغاني)

قَالَ أَبُو ٱلشِّيصِ ٱلْخُزَاعِيُّ يَمْدَحُ بَعْضَ ٱلْأُمَرَاءِ:

تَكَلَّمْتَ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِصْتَ بِهَا فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِطُ
أَلسِّنُّ ضَاحِكَةٌ وَٱلْكَفُّ مَانِحَةٌ وَٱلنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَٱلْوَجْهُ مُنْبَسِطُ

٢١٣ قَالَ ٱلْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدٍ: لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا ٱلْمَثَلُ. فَظَاهِرُهَا لِلْقَبُولِ. وَبَاطِنُهَا لِلْغِنَى. وَسَطُوتُهَا لِلْأَجَلِ. أَخَذَهُ ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ ٱلْمُدَبِّرِ:

أَصْبَحْتَ بَيْنَ ضَرَاعَةٍ وَتَحَمُّلٍ وَٱلْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلَا
فَٱمْدُدْ إِلَيَّ يَدًا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بَذْلَ ٱلنَّوَالِ وَظَهْرُهَا ٱلتَّقْبِيلَا

٢١٤ قَالَ ٱبْنُ ٱلْمَوْلَى لِيَزِيدَ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ:

وَإِذَا تُبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى فَسَوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ ٱلْمُشْتَرِي
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ ٱلْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا ٱلسَّبِيلُ إِلَى نَدَاكَ بِأَوْعَرِ
وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتْمَمْتَهَا بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهُمَا بِمُكَدَّرِ
يَا وَاحِدَ ٱلْعَرَبِ ٱلَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصِرِ

٢١٥ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي ٱلصَّلْتِ ٱلشَّاعِرُ ٱلنَّصْرَانِيُّ لِعَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ جُدْعَانَ:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ ٱلْحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِٱلْحُقُوقِ وَأَنْتَ قَرْمٌ لَكَ ٱلْحَسَبُ ٱلْمُهَذَّبُ وَٱلسَّنَاءُ
خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ ٱلْخُلُقِ ٱلْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَنَتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ ٱلْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ ٱلثَّنَاءُ
تُبَارِي ٱلرِّيحَ مَكْرُمَةً وَمَجْدًا إِذَا مَا ٱلْكَلْبُ أَجْحَرَهُ ٱلشِّتَاءُ

٢١٦ قَالَ آخَرُ يَمْدَحُ آلَ ٱلْمُهَلَّبِ:

آلُ ٱلْمُهَلَّبِ قَوْمٌ خُوِّلُوا شَرَفًا مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادَا
لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ حُدْ عَنْهُمْ وَخَلِّهِمِ بِمَا ٱحْتَكَمْتَ مِنَ ٱلدُّنْيَا لَمَا حَادَا
إِنَّ ٱلْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا آلُ ٱلْمُهَلَّبِ دُونَ ٱلنَّاسِ أَجْسَادَا

٢١٧ قَالَتِ ٱمْرَأَةٌ مِنْ إِيَادٍ:

أَلْخَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ إِنْ هُزِمَتْ أَنَّ ٱبْنَ عَمْرٍو لَدَى ٱلْهَيْجَاءِ يَحْمِيهَا
لَمْ يُبْدِ فَحْشًا وَلَمْ يَهْدِدْ لِمَعْظَمَةٍ وَكُلَّ مَكْرُمَةٍ يَلْقَى يُسَامِيهَا
أَلْمُسْتَشَارُ لِأَمْرِ ٱلْقَوْمِ يَحْزُبُهُمْ إِذَا ٱلْهُنَاتُ أَهَمَّ ٱلْقَوْمَ مَا فِيهَا

لا يَرْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَدْرَةً أَبَدًا وَإِنْ أَلَمَّتْ أُمُورٌ فَهُوَ كَافِيهَا

٢١٨ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَمْدَحُ بَعْضَهُمْ:

كُلُّ الْخِلَالِ الَّتِي فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمُ الْأَخْلَاقُ وَالْخُلُقُ
كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأُتْرُجِّ طَابَ مَعًا حَمْلًا وَنَشْرًا وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ

٢١٩ قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ:

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابَقُونَ عَلَى قِرَى الضِّيفَانِ
وَيَكَادُ مُوقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حُبَّ الْقِرَى حَطَبًا عَلَى النِّيرَانِ

٢٢٠ غَنَّى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ لِلْأَمِينِ:

تَعِشْ عُمْرَ نُوحٍ فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَفِي خَفْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِثْمُ
تُسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَنْثَنِي إِلَيْكَ وَتَرْعَى فَضْلَكَ الْعُرْبُ وَالْعُجْمُ

٢٢١ وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

يَا دَهْرُ بِعْ رُتَبَ الْمَعَالِي بَعْدَهُ بِيعَ السَّمَاحِ رَبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْبَحِ
قَدِّمْ وَأَخِّرْ مَنْ تُرِيدُ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تَسْتَحِي

٢٢٢ وَقَالَ آخَرُ:

كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَضْلُ حِبَائِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي
وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَانَتْهُ لَانَ مَسُّهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

٢٢٣ مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ:

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطَا كَ الْمَحَلَّ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ

٢٢٤ قَالَ آخَرُ:

مَنْ قَاسَ جُودَكَ بِالْغَمَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ

٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ:

مَا نَوَالُ الْغَمَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بَدْرَةُ مَالٍ وَنَوَالُ الْغَمَامِ قَطْرَةُ مَاءِ

٢٢٦ قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي الْمُنْتَصِرِ بَعْدَ أَنْ وُلِّيَ الْخِلَافَةَ:

لِيَهْنِكَ مُلْكٌ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهْ مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهْ
فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نُرَجِّي فَلَمْ نَخِبْ كَمَا يُرْتَجَى مِنْ وَاقِعِ الْغَيْثِ بَاكِرُهْ
بِمُنْتَصِرٍ بِاللَّهِ تَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَنْتَصِرْ بِاللَّهِ فَاللَّهُ نَاصِرُهْ

٢٢٧ دَخَلَ النَّابِغَةُ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ فَحَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ:

أَيُفَاخِرُكَ ذُو فَائِشٍ وَأَنْتَ سَائِسُ الْعَرَبِ. وَغُرَّةُ الْحَسَبِ. وَاللَّاتِ لَأَمْسُكَ أَيْمَنُ مِنْ يَوْمِهِ. وَلَعَبْدُكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ. وَلَقَفَاكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ. وَلَيَسَارُكَ أَجْوَدُ مِنْ يَمِينِهِ. وَلَظَنُّكَ أَصْدَقُ مِنْ يَقِينِهِ. وَلَوَعْدُكَ أَبْلَجُ مِنْ رِفْدِهِ. وَلَخَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ. وَلَنَفْسُكَ أَمْنَعُ مِنْ جُنْدِهِ. وَلَيَوْمُكَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ. وَلَفَتْرَتُكَ أَبْسَطُ مِنْ شِبْرِهِ. وَأَنْشَدَ:

أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرُ فِي الْبَأْسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْخَفَرِ
مُتَوَّجٌ بِالْمَعَالِي فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَفِي الْوَغَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
إِذَا دَجَا الْخَطْبُ جَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلِّي زَمَانُ الْمَحْلِ بِالْمَطَرِ

فَتَهَلَّلَ وَجْهُ النُّعْمَانِ سُرُورًا. ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُمْلَأَ فُوهُ دُرًّا وَيُكْسَى

أثواب الرضا (وهي جباب أطواقها الذهب في قضب الزمرد). ثم قال: هكذا فلتمدح الملوك (ألف باء لابي الحجاج البلوي)

٢٢٨ دخل ابن الخياط المكي على المهدي وامتدحه فأمر له بخمسين ألف درهم. فسأله أن يأذن له في تقبيل يده فأذن فقبلها وخرج. فما انتهى إلى الباب حتى فرق المال بأسره. فعوتب على ذلك فاعتذر وأنشد يقول:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي
فأعجب بهما المهدي وغنى بهما وأمر له بخمسين ألف دينار

٢٢٩ دخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري فقال:

أخالد إني لم أزرك لحاجة ... سوى أنني عاف وأنت جواد
أخالد بين الحمد والأجر حاجتي ... فأيهما تأتي فأنت عماد

فقال له خالد: سل حاجتك. قال مائة ألف درهم. قال خالد أسرفت فاحطط منها. قال: حططتك ألفا. فقال خالد: ما أعجب ما سألت وما حططت. فقال: لا يعجب الأمير. سألته على قدره وحططته على قدري. فضحك منه وأمر له بصلة

٢٣٠ حبس الحجاج يزيد بن المهلب لباق عليه كان بخراسان. وأقسم ليستأدينه كل يوم مائة ألف درهم. فبينما هو قد جباها له ذات يوم إذ دخل عليه الأخطل فأنشده:

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم ... وقال ذوو الحاجات أين يزيد
وما قطرت بالشرق بعدك قطرة ... ولا اخضر بالمرين بعدك عود
وما لسرير بعد بعدك بهجة ... وما لجواد بعد جودك جود

فقال: يا غلام أعطه المائة ألف درهم فإنا نصبر على عذاب الحجاج ولا نحب الأخطل. فبلغت الحجاج فقال: لله در يزيد لو كان تاركا للسخاء يوما لتركه اليوم وهو يتوقع الموت (لليمني)

٢٣١ ومن رقيق شعر ابن العباس الصولي قوله في المديح والشكر:

فلو كان للشكر شخص يبين ... إذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه ... فتعلم أني امرؤ شاكر

٢٣٢ كتب بديع الزمان لأحد الخلفاء:

يا سيد الأمرا فخرا فما ملك ... إلا تمناك مولى واشتهاك أبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا ... لو كان طاق الحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ... والليث لو لم يصل والبحر لو عذبا

٢٣٣ وللبحتري في المديح:

لا تنظرن إلى العباس عن صغر ... في السن وانظر إلى المجد الذي شادا
إن النجوم نجوم الجو أحقرها ... في العين أكثرها في الجو إصعادا

٢٣٤ قال أبو نواس يمدح بني حمدان:

لئن خلق الأنام لحب كاس ... ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان إلا ... لبأس أو لمجد أو لجود

ألباب الحادي عشر
في الفخر والحماسة والهجو

٢٣٥ كان أبو سفيان من أشعر قريش وهو القائل عن قبيلته مفتخرًا:

لقد علمت قريش غير فخر ... بأنا نحن أجودهم حصانا
وأكثرهم دروعًا سابغات ... وأمضاهم إذا طعنوا سنانا
وأدفعهم عن الضراء عنهم ... وأبينهم إذا نطقوا لسانا

٢٣٦ قال السيد علي بن إسماعيل بن القاسم:

أنا من قوم إذا ما غضبوا ... أطعموا الأرماح حبات القلوب
وهم في السلم كالماء صفا ... لصديق وحميم وقريب
فبهم فخري وفيهم قدوتي ... وبهم نلت من العليا نصيب
وبفضل الله ربي لم أزل ... في مراقي العز والعيش الرطيب
ليس لي إلا المعالي أرب ... فعلى كاهلها صار الركوب
إن دعا داع إلى غير العلى ... لا تراني لدعاه من مجيب

٢٣٧ مر ابن بشير بأبي عثمان المازني فجلس إليه ساعة. فرأى من في مجلسه يتعجبون من نعل كانت في رجله خلقة فأخذ ورقة وكتب:

كم أرى ذا تعجب من نعالي ... ورضائي منها بلبس البوالي
من يغالي من الرجال بنعل ... فسواي إذا بهن يغالي
لو حداهن للجمال فإني ... في سواهن زينتي وجمالي

في إخاء وفي وفاء ورأيي ... ولساني ومنطقي وفعالي
ما وقاني الخفا وبلغني الحا ... جة منها فإنني لا أبالي

٢٣٨ قال الحريش بن هلال القريعي:

نعرض للسيوف إذا التقينا ... وجوهًا لا تعرض للطعام
ولست بخالع عني ثيابي ... إذا هر الكماة ولا أرامي
ولكني يجول المهر تحتي ... إلى الغارات بالعضب الحسام

٢٣٩ قال أبو الحسن المعروف بمحظة البرمكي:

أنا ابن أناس موّل الناس جودهم ... فأضحوا حديثًا للنوال المشهّر
فلم يخل من إحسانهم لفظ مخبر ... ولم يخل من تقريظهم بطن دفتر

٢٤٠ قال رجل من القزارِيين:

وإلا يكن عظمي طويلًا فإنني ... له بالخصال الصالحات وصول
ولا خير في حسن الجسوم ونبلها ... إذا لم تزن حسن الجسوم عقول
إذا كنت في القوم الطوال علوتهم ... بعارفة حتى يقال طويل
وكم قد رأينا من فروع كثيرة ... تموت إذا لم تحيهن أصول
ولم أر كالمعروف أما مذاقه ... فحلو وأما وجهه فجميل

٢٤١ قال امرؤ القيس:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة ... كفاني ولم أطلب قليلًا من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل ... وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

٢٤٢ قال حاتم الطائي:

أَيَا ٱبْنَةَ عَبْدِ ٱللهِ وَٱبْنَةَ مَالِكٍ ... وَيَا ٱبْنَةَ ذِي ٱلْبُرْدَيْنِ وَٱلْفَرَسِ ٱلْوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتِ ٱلزَّادَ فَٱلْتَمِسِي لَهُ ... أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ آكُلُهُ وَحْدِي
أَخًا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنَّنِي ... أَخَافُ مَذَمَّاتِ ٱلْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَإِنِّي لَعَبْدُ ٱلضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا ... وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ ٱلْعَبْدِ

٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدَنِّسُهُ ... لَا بَارَكَ ٱللهُ بَعْدَ ٱلْعِرْضِ فِي ٱلْمَالِ
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُهُ ... وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ

٢٤٤ قَالَ أَبُو دُلَفَ ٱلْعِجْلِيُّ:

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَافِعًا ... لِمَا نَابَهُمْ قِدْمًا وَأَغْشَى ٱلدَّوَاهِيَا
وَأَقْتَحِمُ ٱلْأَمْرَ ٱلْمَخُوفَ ٱقْتِحَامُهُ ... لِأُدْرِكَ مَجْدًا أَوْ أُعَاوِدَ ثَاوِيَا

(الاغاني والحماسة)

الهجو

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي بَخِيلٍ:

سِيَّانِ كَسْرُ رَغِيفِهِ ... أَوْ كَسْرُ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهْ
فَٱرْفُقْ بِكَسْرِ رَغِيفِهِ ... إِنْ كُنْتَ تَرْغَبُ فِي كَلَامِهْ
وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ ٱلنُّزُو ... لِ بِهِ يُرَوَّعُ فِي مَنَامِهْ

وَقَالَ أَيْضًا:

خَانَ عَهْدِي عَمْرٌو وَمَا خِنْتُ عَهْدَهُ ... وَجَفَانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهْ
لَيْسَ لِي مُذْ حَيِيتُ ذَنْبٌ إِلَيْهِ ... غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عِنْدَهْ

وَلَهُ أَيْضًا:

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ ... بِمَا يُصْلِحُ ٱلْمِعْدَةَ ٱلْفَاسِدَهْ
تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أَضْيَافِهِ ... فَعَوَّدَهُمْ أَكْلَةً وَاحِدَهْ

٢٤٦ قَالَ ٱلْخُوَارَزْمِيُّ فِي طَبِيبٍ:

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكِرَامْ ... وَمُنْصِفٌ يُنْصِفُ عُمْرَ ٱلْأَنَامْ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيتُ ٱلرَّدَى ... وَقُلْتُ يَا رُوحِي عَلَيْكِ ٱلسَّلَامْ
يَبْقَى وَيَفْنَى ٱلنَّاسُ مِنْ شُؤْمِهِ ... قُومُوا ٱنْظُرُوا كَيْفَ نَجَاةُ ٱللِّئَامْ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا ... يَا مَلَكَ ٱلْمَوْتِ إِلَى كَمْ تَنَامْ

٢٤٧ يُحْكَى أَنَّ ٱلْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ ٱلْخَاقَانِيَّ كَانَ ضَجُورًا كَثِيرَ ٱلتَّقَلُّبِ. فَكَانَ يُوَلِّي ٱلْعَمَلَ ٱلْوَاحِدَ عِدَّةً مِنَ ٱلْعُمَّالِ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْقَلِيلَةِ. حَتَّى إِنَّهُ وَلَّى ٱلْكُوفَةَ فِي عِشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ ٱلْعُمَّالِ. فَقِيلَ فِيهِ:

وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي ٱلرَّقَاعَهْ ... يُوَلِّي ثُمَّ يَعْزِلُ بَعْدَ سَاعَهْ
إِذَا أَهْلُ ٱلرُّشَى ٱجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ... فَخَيْرُ ٱلْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَهْ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بَخِيلًا:

رَأَى ٱلضَّيْفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ ... فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى ٱلسَّيْفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا فَظَنَّ بِأَنَّنَا ... نَقُولُ لَهُ خُبْزًا فَمَاتَ مِنَ ٱلْخَوْفِ

٢٤٩ هَجَا آخَرُ طَبِيبًا فَقَالَ:

قَالَ حِمَارُ ٱلطَّبِيبِ مُوسَى ... لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبْ
لِأَنَّنِي جَاهِلٌ بَسِيطٌ ... وَرَاكِبِي جَاهِلٌ مُرَكَّبْ

٢٥٠ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا نَهِمًا :

إِذَا صَوَّتَ ٱلْعُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثٌ حَدِيدُ ٱلنَّابِ عِنْدَ ٱلثَّرَائِدِ

قَالَ آخَرُ :

لَوْ أَنَّ خِفَّةَ عَقْلِهِ فِي رِجْلِهِ سَبَقَ ٱلْغَزَالَ وَلَمْ يُفْتْهُ ٱلْأَرْنَبُ

٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو ٱلْمُبَرِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ ٱلنَّحْوِيَّ :

سَأَلْنَا عَنْ ثُمَالَةَ كُلَّ حَيٍّ فَقَالَ ٱلْقَائِلُونَ وَمَنْ ثُمَالَهْ

فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ فَقَالُوا ٱلْآنَ زِدْتَ بِهِمْ جَهَالَهْ .

٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ :

يَا قُبَّحَ ٱللهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهْطَ ٱللُّؤْمِ وَٱلْعَارِ

قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجِنُّوهَا بِأَسْتَارِ

٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ شَمْلَةَ ٱلْمِنْقَرِيِّ فِي مَيَّةَ صَاحِبَةِ ذِي ٱلرُّمَّةِ :

أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ ٱلْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيٌّ فَلَا حَبَّذَا هِيَا

عَلَى وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاحَةٍ وَفِي ٱلْقَلْبِ مِنْهَا ٱلْخِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمَاءَ يَخْلُفُ طَعْمَهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ ٱلْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيَا

إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ ٱلَّذِي جَاءَ ظَامِيَا

٢٥٤ قِيلَ : إِنَّهُ ٱفْتَخَرَ رَجُلٌ عَلَى ٱبْنِ ٱلدُّهَانِ ٱلشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ :

لَا تَحْسَبَنْ أَنَّ بِٱلشِّعْرِ مِثْلَنَا سَتَصِيرُ

فَلِلدَّجَاجَةِ رِيشٌ لٰكِنَّهَا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وَفَدَ ٱبْنُ كَلَدَةَ ٱلثَّقَفِيُّ عَلَى كِسْرَى فَٱنْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : مَنْ أَنْتَ . قَالَ : أَنَا ٱلْحَارِثُ بْنُ كَلَدَةَ . قَالَ : أَعَرَبِيٌّ أَنْتَ . قَالَ : نَعَمْ وَمِنْ صَمِيمِهَا . قَالَ : فَمَا صِنَاعَتُكَ . قَالَ : طَبِيبٌ . قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ ٱلْعَرَبُ بِٱلطِّبِّ مَعَ جَهْلِهَا وَضَعْفِ عُقُولِهَا وَقِلَّةِ قَبُولِهَا وَسُوءِ غِذَائِهَا . فَقَالَ : ذٰلِكَ أَجْدَرُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِذَا كَانَتْ بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى مَا يُصْلِحُ جَهْلَهَا وَيُقِيمُ عِوَجَهَا . وَيَسُوسُ أَبْدَانَهَا . وَيُعَدِّلُ أَسْنَانَهَا . قَالَ ٱلْمَلِكُ : كَيْفَ لَهَا بِأَنْ تَعْرِفَ مَا تَعْهَدُهُ عَلَيْهَا . لَوْ عَرَفَتِ ٱلْحَقَّ لَمْ تُنْسَبْ إِلَى ٱلْجَهْلِ . قَالَ ٱلْحَارِثُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّ ٱللهَ جَلَّ ٱسْمُهُ قَسَّمَ ٱلْعُقُولَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ كَمَا قَسَّمَ ٱلْأَرْزَاقَ وَأَخَذَ ٱلْقَوْمَ نَصِيبَهُمْ . فَفِيهِمْ مَا فِي ٱلنَّاسِ مِنْ جَاهِلٍ وَعَالِمٍ وَعَاجِزٍ وَحَازِمٍ . قَالَ ٱلْمَلِكُ : فَمَا ٱلَّذِي تَجِدُ فِي أَخْلَاقِهِمْ . وَتَحْفَظُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ . قَالَ ٱلْحَارِثُ : لَهُمْ أَنْفُسٌ سَخِيَّةٌ . وَقُلُوبٌ جَرِيَّةٌ . وَعُقُولٌ صَحِيَّةٌ مَرْضِيَّةٌ . وَأَحْسَابٌ نَقِيَّةٌ . فَيَمْرُقُ ٱلْكَلَامُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ مُرُوقَ ٱلسَّهْمِ مِنَ ٱلْوَتَرِ . أَلْيَنَ مِنَ ٱلْمَاءِ . وَأَعْذَبَ مِنَ ٱلْهَوَاءِ . يُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ . وَيَضْرِبُونَ ٱلْهَامَ . وَعِزُّهُمْ لَا يُرَامُ . وَجَارُهُمْ لَا يُضَامُ . وَلَا يُرَوَّعُ إِذَا نَامَ . لَا يُقَرُّونَ بِفَضْلِ أَحَدٍ مِنَ ٱلْأَقْوَامِ . مَا خَلَا ٱلْمَلِكَ ٱلْهُمَامَ ٱلَّذِي لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ ٱلْأَنَامِ . قَالَ كِسْرَى : لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ عَرَبِيٍّ لَقَدْ أَصَبْتَ عِلْمًا وَخُصِصْتَ بِهِ مِنْ بَيْنِ ٱلْخَلْقِ فِطْنَةً وَفَهْمًا . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعْطَائِهِ وَصِلَتِهِ وَقَضَى حَوَائِجَهُ (لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)

أَلْبَابُ ٱلثَّانِي عَشَرَ
فِي ٱلْأَلْغَازِ

٢٥٦ قَدْ أَلْغَزَ بَعْضُهُمْ فِي ٱلْقَلَمِ:

وَأَرْقَشَ مَرْهُوفِ ٱلشَّبَاةِ مُهَفْهَفٍ ... يُشَتِّتُ شَمْلَ ٱلْخَطْبِ وَهْوَ جَمِيعُ
تَدِينُ لَهُ ٱلْآفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا ... وَتَعْنُو لَهُ مُلَّاكُهَا وَتُطِيعُ
حَمَى ٱلْمُلْكَ مَفْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي ... بِهِ ٱلْأُسْدُ فِي ٱلْآجَامِ وَهْوَ رَضِيعُ

٢٥٧ وَقَالَ آخَرُ فِيهِ:

وَذِي خُضُوعٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ ... وَدَمْعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
مُوَاظِبُ ٱلْخَمْسِ لِأَوْقَاتِهَا ... مُنْقَطِعٌ فِي خِدْمَةِ ٱلْبَارِي

٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ:

فَلَا هُوَ يَمْشِي لَا وَلَا هُوَ مُقْعَدٌ ... وَمَا إِنْ لَهُ رَأْسٌ وَلَا كَفُّ لَامِسِ
وَلَا هُوَ حَيٌّ لَا وَلَا هُوَ مَيِّتٌ ... وَلَكِنَّهُ شَخْصٌ يُرَى فِي ٱلْمَجَالِسِ
يَزِيدُ عَلَى سُمِّ ٱلْأَفَاعِي لُعَابُهُ ... يَدِبُّ دَبِيبًا فِي ٱلدُّجَى وَٱلْحَنَادِسِ
يُفَرِّقُ أَوْصَالًا بِصُمْتٍ يَجُنُّهُ ... وَتُفْرَى بِهِ ٱلْأَوْدَاجُ تَحْتَ ٱلْقَلَانِسِ
إِذَا مَا رَأَتْهُ ٱلْعَيْنُ تَحْقِرُ شَأْنَهُ ... وَهَيْهَاتَ يَبْدُو ٱلنَّقْصُ عِنْدَ ٱلْكَرَادِسِ

٢٥٩ وَقِيلَ أَيْضًا فِيهِ:

وَأَهْيَفَ مَذْبُوحٍ عَلَى صَدْرِ غَيْرِهِ ... يُتَرْجِمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهْوَ أَبْكَمُ
تَرَاهُ قَصِيرًا كُلَّمَا طَالَ عُمْرُهُ ... وَيُضْحِي بَلِيغًا وَهْوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ:

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا لَهُ ... لِسَانٌ وَلَا قَلْبٌ وَلَا هُوَ سَامِعُ
كَأَنَّ ضَمِيرَ ٱلْقَلْبِ بَاحَ بِسِرِّهِ ... إِلَيْهِ إِذَا مَا حَرَّكَتْهُ ٱلْأَصَابِعُ

٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ:

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِٱلْمُحْكَمَاتِ ... وَجُثْمَانُهُ صَامِتٌ أَجْوَفُ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خِفْيَةٍ ... وَبِٱلشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرَفُ

٢٦١ قَالَ آخَرُ مُلْغِزًا فِي دَوَاةٍ:

وَمُرْضِعَةٍ أَوْلَادُهَا بَعْدَ ذَبْحِهِمْ ... لَهَا لَبَنٌ مَا لَذَّ يَوْمًا لِشَارِبِ
وَفِي بَطْنِهَا ٱلسِّكِّينُ وَٱلثَّدْيُ رَأْسُهَا ... وَأَوْلَادُهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوَائِبِ

٢٦٢ وَأَلْغَزَ أَبُو ٱلْحَسَنِ بْنُ ٱلتِّلْمِيذِ ٱلطَّبِيبُ ٱلنَّصْرَانِيُّ فِي ٱلْمِيزَانِ:

مَا وَاحِدٌ مُخْتَلِفُ ٱلْأَسْمَاءِ ... يَعْدِلُ فِي ٱلْأَرْضِ وَفِي ٱلسَّمَاءِ
يَحْكُمُ بِٱلْقِسْطِ بِلَا رِيَاءِ ... أَعْمَى يُرِي ٱلْإِرْشَادَ كُلَّ رَاءِ
أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءِ ... يُغْنِي عَنِ ٱلتَّصْرِيحِ بِٱلْإِيمَاءِ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو ٱمْتِرَاءِ ... بِٱلرَّفْعِ وَٱلْخَفْضِ عَنِ ٱلنِّدَاءِ
يُفْصِحُ إِنْ عُلِّقَ فِي ٱلْهَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخَرُ فِي ٱلْبَيْضَةِ:

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ ٱلرَّأْيِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبْ ... وَكُلِّ بَصِيرٍ بِٱلْأُمُورِ لَدَى أَرَبْ
أَلَا خَبِّرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمُ ... مِنَ ٱلطَّيْرِ فِي أَرْضِ ٱلْأَعَاجِمِ وَٱلْعَرَبْ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَا وَهْوَ حَاضِرٌ ... يُصَادُ بِلَا صَيْدٍ وَإِنْ جَدَّ فِي ٱلطَّلَبْ

وَيُؤْكَلُ أَحْيَانًا طَبِيخًا وَتَارَةً قَلِيًّا وَمَشْوِيًّا إِذَا دُسَّ فِي اللَّهَبْ
وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَظْمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَصَبْ
وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنَبْ
وَلَا هُوَ حَيٌّ لَا وَلَا هُوَ مَيِّتٌ أَلَا خَبِّرُونِي إِنَّ هٰذَا هُوَ الْعَجَبْ

٢٦٤ أَلْغَزَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْخَشَّابِ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابٍ:

وَذِي أَوْجُهٍ لٰكِنَّهُ غَيْرُ بَائِحٍ بِسِرٍّ وَذُو الْوَجْهَيْنِ لِلسِّرِّ مُظْهِرُ
تُنَاجِيكَ بِالْأَسْرَارِ أَسْرَارُ وَجْهِهِ فَتَسْمَعُهَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ

٢٦٥ قُلِعَ لِأُسَامَةَ بْنِ الْمُنْقِذِ ضِرْسٌ فَقَالَ فِيهِ مُلْغِزًا:

وَصَاحِبٍ لَا أَمَلُّ الدَّهْرَ صُحْبَتَهُ يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا لِنَاظِرَيَّ افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الْأَبَدِ

٢٦٦ أَلْغَزَ ابْنُ زَكَرِيَّا بْنِ سَلَامَةَ الْحَصْكَفِيُّ فِي نَعْشِ الْمَوْتَى:

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرُهُ إِذَا سَارَ صَاحَ النَّاسُ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أَسِيرُ
يَحُضُّ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبُهُ وَتَنْفُرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهْوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَرَعْ عَنْ رَغْبَةٍ فِي زِيَارَةٍ وَلٰكِنْ عَلَى رَغْمِ الْمَزُورِ يَزُورُ

٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ وَزِيرُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ مُلْغِزًا فِي قُفْلٍ:

وَأَسْوَدَ عَارٍ أَنْحَلَ الْبَرْدُ جِسْمَهُ وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْحِرْصُ وَالْمَنْعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرَ حَارِسًا وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعُ

٢٦٨ أُلْغِزَ فِي طَاحُونَةٍ:

وَمُسْرِعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولَ دَهْرِهَا تَرَاهَا مَدَى الْأَيَّامِ تَمْشِي وَلَا تَتْعَبْ
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ الْأَكْلَ سَاعَةً وَتَأْكُلُ مَعَ طُولِ الْمَدَى وَهْيَ لَا تَشْرَبْ
وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ وَلَا ثُلُثَ ثُمْنٍ مِنْ ذِرَاعٍ وَلَا أَقْرَبْ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءٍ:

مَطِيَّةٌ فَارِسُهَا رَاجِلٌ تَحْمِلُهُ وَهْوَ لَهَا حَامِلُ
وَاقِفَةٌ فِي الْبَابِ مَرْذُولَةٌ لَا تَشْرَبُ الدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي نَارٍ:

وَمَا اسْمٌ ثُلَاثِيٌّ لَهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرْ لَهُ طَلْعَةٌ تُغْنِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرْ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَفَا وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرْ

٢٧١ قَالَ آخَرُ:

أَيُّ صَغِيرٍ يَنْمُو عَلَى عَجَلٍ يَعِيشُ بِالرِّيحِ وَهْيَ تُهْلِكُهُ
يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ أَضْعَفُ جِسْمٍ بِحَيْثُ يُدْرِكُهُ

٢٧٢ أَلْغَزَ آخَرُ فِي يَدِ الْهَاوُنِ:

خَبِّرْنِي أَيُّ شَيْءٍ أَوْسَعُ مَا فِيهِ فَمُهْ
وَابْنُهُ فِي بَطْنِهِ يَرْفِسُهُ وَيَلْكُمُهْ
وَقَدْ عَلَا صِيَاحُهُ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَرْحَمُهْ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الْإِبْرَةِ:

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجَرُّ طُولًا وَرَاءَهَا فِي الْمَجِيءِ وَفِي الذَّهَابِ

بِعَيْنٍ لَمْ تَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا ذَرَفَتْ لِدَمْعٍ ذِي انْسِكَابِ
وَمَا لَبِسَتْ مَدَى الْأَيَّامِ ثَوْبًا وَتَكْسُو النَّاسَ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ

٢٧٤ أَلْغَزَ الصَّلَاحُ الصَّفَدِيُّ فِي عِيدٍ:

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا اسْمٌ عَلِيلٌ قَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُجْحَدُ
لَيْسَ بِذِي جِسْمٍ يُرَى وَفِيهِ عَيْنٌ وَيَدُ

٢٧٥ قَالَ آخَرُ فِي غَزَالٍ:

إِسْمٌ مَنْ هَاجَ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُنُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ

٢٧٦ قَالَ آخَرُ فِي الْمَاءِ:

يُمِيتُ وَيُحْيِي وَهْوَ مَيْتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمْشِي بِلَا رِجْلٍ إِلَى كُلِّ جَانِبِ
يُرَى فِي حَضِيضِ الْأَرْضِ طَوْرًا وَتَارَةً تَرَاهُ تَسَامَى فَوْقَ طُورِ السَّحَائِبِ

٢٧٧ قَالَ الْحَاتِمِيُّ مُلْغِزًا فِي بَابٍ بِمِصْرَاعَيْنِ:

عَجِبْتُ لِبَحْرَيْنِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَبِيتَانِ طُولَ اللَّيْلِ يَعْتَنِقَانِ
إِذَا أَمْسَيَا كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرْصَدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ

٢٧٨ قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوْزِ:

وَمَا اسْمُ شَيْءٍ حَسَنٍ شَكْلُهُ تَلْقَاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونَا
تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ وَاوًا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونَا

أَلْبَابُ الثَّالِثَ عَشَرَ
فِي الْوَصْفِ

٢٧٩ وَصَفَ الْيُوسُفِيُّ غُلَامًا فَقَالَ: يَعْرِفُ الْمُرَادَ بِاللَّحْظِ. كَمَا يَفْهَمُهُ بِاللَّفْظِ. وَيُعَايِنُ فِي النَّاظِرِ. مَا يَجْرِي فِي الْخَاطِرِ. يَرَى النُّصْحَ فَرْضًا يَجِبُ أَدَاؤُهُ. وَالْإِحْسَانَ حَتْمًا يَلْزَمُ قَضَاؤُهُ. إِنِ اسْتَفْرَغَ فِي الْخِدْمَةِ جَهْدَهُ. خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَذَلَ عَفْوَهُ. أَثْبَتُ مِنَ الْجِدَارِ إِذَا اسْتُهْمِلَ. وَأَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا اسْتُعْجِلَ (للثعالبي)

٢٨٠ تَظَلَّمَ رَجُلٌ لِلْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَرَكَ لَنَا فِضَّةً إِلَّا فَضَّهَا. وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ. وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا مَشَى بِهَا. وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا. وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا. وَلَا عَقْلًا إِلَّا عَقَلَهُ. وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ. وَلَا جَلِيلًا إِلَّا أَجَلَّهُ. وَلَا دَقِيقًا إِلَّا أَدَقَّهُ. فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ (للشريشي)

٢٨١ حَدَّثَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: أَجْرَى هَارُونُ الرَّشِيدُ الْخَيْلَ فَجَاءَ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْمُشَمِّرُ سَابِقًا. وَكَانَ الرَّشِيدُ مُعْجَبًا بِذَلِكَ الْفَرَسِ. فَأَمَرَ الشُّعَرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ. فَبَدَرَهُمْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ:

جَاءَ الْمُشَمِّرُ وَالْأَفْرَاسُ يَقْدُمُهَا هَوْنًا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا انْبَهَرَا
وَخَلَّفَ الرِّيحَ حَسْرَى وَهْيَ جَاهِدَةٌ وَمَرَّ يَخْتَطِفُ الْأَبْصَارَ وَالنَّظَرَا

فَأَجْزَلَ صِلَتَهُ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ (الاغاني)

٢٨٢ لَقِيَ ٱلْحَجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا بِيَدِكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أَرْكُزُهَا لِصَلَاتِي. وَأُعِدُّهَا لِعُدَاتِي. وَأَسُوقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْوَى بِهَا عَلَى سَفَرِي. وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مِشْيَتِي لِيَتَّسِعَ خَطْوِي. وَأَثِبُ بِهَا عَلَى ٱلنَّهْرِ. وَتُؤْمِنُنِي ٱلْعَثْرَ. وَأُلْقِي عَلَيْهَا كِسَائِي فَيَقِينِي ٱلْحَرَّ. وَيُجَنِّبُنِي ٱلْقَرَّ. وَتُدْنِي إِلَيَّ مَا بَعُدَ عَنِّي. وَهِيَ مَحْمِلُ سَفْرَتِي. وَعِلَاقَةُ أَدَوَاتِي. أَقْرَعُ بِهَا ٱلْأَبْوَابَ. وَأُلْقِي بِهَا عُقُورَ ٱلْكِلَابِ. وَتَنُوبُ عَنِ ٱلرُّمْحِ ٱلطَّعَّانِ. وَعَنِ ٱلسَّيْفِ عِنْدَ مُنَازَلَةِ ٱلْأَقْرَانِ. وَرِثْتُهَا عَنْ أَبِي وَسَأُوَرِّثُهَا ٱبْنِي مِنْ بَعْدِي. وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَلِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. فَبُهِتَ ٱلْحَجَّاجُ وَٱنْصَرَفَ (لبهاء الدين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ أَلْحَفَ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ. وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتْلَفَ. وَإِذَا طَبَخَ أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَّفَ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِٱلْفِعْلِ ٱلْجَمِيلِ تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظَرَ ٱلْحُسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ ٱلْحَقُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خِلٌّ وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فِنَاؤُهُ شَاسِعٌ. وَضَيْفُهُ جَائِعٌ. وَشَرُّهُ شَائِعٌ. وَسِرُّهُ ذَائِعٌ. وَلَوْنُهُ فَاقِعٌ. وَجَفْنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بَلَاقِعُ. رَدِيءُ ٱلْمَنْظَرِ. سَيِّءُ ٱلْخَبَرِ. يَبْخَلُ إِذَا أَيْسَرَ. وَيَهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَّلَ أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوطِبَ نَفَرَ

٢٨٤ سُئِلَ سَنَاقِدِسُ عَنِ ٱلْمَرْكَبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِلَا أَسَاسٍ. قَبْرٌ مُؤَلَّفٌ.

وَسُئِلَ عَنِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ فَكَتَبَ: مَعْقُولٌ مَجْهُولٌ. وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ غَيْرُ مُدْرَكٍ سُبْحَانَهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْمَوْتِ فَكَتَبَ: نَوْمٌ لَا ٱنْتِبَاهَ مَعَهُ. رَاحَةُ ٱلْمَرْضَى. نَقِيضُ ٱلْبُنْيَةِ. ٱنْفِصَالُ ٱلِٱتِّصَالِ. أَلرُّجُوعُ إِلَى ٱلْعُنْصُرِ. شَهْوَةُ ٱلْفُقَرَاءِ. فَزَعُ ٱلْأَغْنِيَاءِ. سَفَرُ ٱلْبَدَنِ. فِقْدَانُ ٱلْإِخْوَانِ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْهَرَمِ فَكَتَبَ: شَرٌّ يُتَمَنَّى. مَرَضُ ٱلْأَصِحَّاءِ. مَوْتُ ٱلْحَيَاةِ. صَاحِبُهُ مَيِّتٌ يَتَحَرَّكُ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْمَالِ فَكَتَبَ: خَادِمُ ٱلشَّهَوَاتِ. هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ. شَرٌّ مَحْبُوبٌ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْحُسْنِ فَكَتَبَ: تَصْوِيرٌ طَبِيعِيٌّ. زَهْرَةٌ تَذْبُلُ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلشَّمْسِ فَكَتَبَ: عَيْنُ ٱلْفَلَكِ ٱلنَّهَارِيِّ. عِلَّةُ ٱلْعَوْرَاتِ. وَسَبَبُ ٱلثَّمَرَاتِ. وَعَنِ ٱلْقَمَرِ فَكَتَبَ: عَقِيبُ ٱلشَّمْسِ. سِرَاجٌ لَيْلِيٌّ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْإِنْسَانِ فَكَتَبَ: مَلْعَبَةُ ٱلْبَخْتِ. مَطْلُوبُ ٱلسِّنِينَ. أُمْنِيَّةُ ٱلْأَرْضِ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْأَرْضِ فَكَتَبَ: قَاعِدَةُ ٱلْفَلَكِ (على زعم الاقدمين). أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي ٱلْهَوَاءِ. أُمُّ ٱلثَّمَرَاتِ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْفَلَّاحِ فَكَتَبَ: خَادِمُ ٱلْغِذَاءِ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْأَعْدَاءِ فَكَتَبَ:

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلُقُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقْوَتِي وَعَنَائِي
إِبْلِيسُ وَٱلدُّنْيَا وَنَفْسِي وَٱلْهَوَى كَيْفَ ٱلْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

٢٨٥ وَصَفَ ٱلْكَاتِبُ مَحْمُودٌ كَاتِبًا فَقَالَ: وَهٰذَا فُلَانٌ آتَاهُ ٱللهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ. وَمَكَّنَهُ مِنْ أَزِمَّةِ جِيَادِ ٱلْمَعَانِي. فَهِيَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَمَنَحَهُ فَضِيلَتَيِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْعَمَلِ. فَإِذَا كَتَبَ

أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ (الكنز المدفون)

٢٨٦ وَقَدْ أَحْسَنَ ٱلشَّاعِرُ فِي وَصْفِ ٱلطَّاوُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ ٱلطَّاوُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَئِيسُ
تَشْرُقُ فِي دَارَاتِهِ شُمُوسُ فِي ٱلرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَغْرُوسُ
كَأَنَّهُ بَنَفْسَجٌ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٍ يَبِيسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ ٱلْفُسْتُقِ :

كَأَنَّمَا ٱلْفُسْتُقُ ٱلْمَمْلُوحُ حِينَ بَدَا مُشَقَّقًا فِي لَطِيفَاتِ ٱلطَّرَافِيرِ
وَٱللُّبُّ مَا بَيْنَ قِشْرَيْهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَلْسُنِ ٱلطَّيْرِ مَا بَيْنَ ٱلْمَنَاقِيرِ

٢٨٨ وَقِيلَ فِي ٱلْفُسْتُقِ أَيْضًا :

تَفَكَّرْتُ فِي مَعْنَى ٱلثِّمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمَرًا يَبْدُو بِحُسْنٍ مُجَرَّدِ
سِوَى ٱلْفُسْتُقِ ٱلرَّطْبِ ٱلْجَنِيِّ فَإِنَّهُ زَهَا بِمَعَانٍ زُيِّنَتْ بِتَفَرُّدِ
غِلَالَةُ مَرْجَانٍ عَلَى جِسْمِ فِضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَاقُوتٍ وَقَلْبُ زَبَرْجَدِ

٢٨٩ قَالَ ٱبْنُ ٱلْأَرْمَوِيِّ يَصِفُ ٱلْجُلَّنَارَ :

بَدَا لَنَا ٱلْجُلَّنَارُ فِي ٱلْقُضُبِ وَٱلطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَٱلْحَبَبِ
كَأَنَّمَا أَكْؤُسُ ٱلْعَقِيقِ بِهِ قَدْ مُلِّئَتْ مِنْ بُرَادَةِ ٱلذَّهَبِ

٢٩٠ وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ ٱلْأَزْهَارِ وَٱلرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

غَدَوْنَا عَلَى ٱلرَّوْضِ ٱلَّذِي طَلَّهُ ٱلنَّدَى سُحَيْرًا وَأَوْدَاجُ ٱلْأَبَارِيقِ تُسْفَكُ
فَلَمْ نَرَ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا مِنَ ٱلنَّوْرِ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهْوَ يَضْحَكُ

٢٩١ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ يَصِفُ ٱلرَّبِيعَ :

مَرْحَبًا بِٱلرَّبِيعِ فِي آذَارِ وَبِإِشْرَاقِ بَهْجَةِ ٱلْأَنْوَارِ
مِنْ شَقِيقٍ وَأُقْحُوَانٍ وَوَرْدٍ وَخُزَامَى وَنَرْجِسٍ وَبَهَارِ

٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَا تَرَى ٱلْأَرْضَ قَدْ أَعْطَتْكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَٱكْتَسَى بِٱلنَّوْرِ عَارِيهَا
فَلِلسَّمَاءِ بُكَاءٌ فِي جَوَانِبِهَا وَلِلرَّبِيعِ ٱبْتِسَامٌ فِي نَوَاحِيهَا

٢٩٣ قَالَ آخَرُ فِي ٱلْغَمَامِ :

إِنَّ ٱلسَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكِ مُقْلَتُهَا لَمْ تَضْحَكِ ٱلْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ ٱلزَّهَرِ
وَٱلْأَرْضُ لَا تَجْلِي أَنْوَارُهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمِدَتْ مِنْ شِدَّةِ ٱلْمَطَرِ

٢٩٤ قَالَ أَبُو ٱلْحَزْمِ بْنُ جَهْوَرٍ فِي ٱلْوَرْدِ :

أَلْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذْ كَى مَا سَقَى مَاءَ ٱلسَّحَابِ ٱلْجَامِدُ
خَضَعَتْ نَوَاوِيرُ ٱلرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَتَذَلَّلَتْ تَنْقَادُ وَهْيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى ٱلْغَضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَزْهُو فَذَا مَيْتٌ وَهٰذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَفْدُ ٱلرَّبِيعِ مُبَشِّرًا بِطُلُوعِ وَفْدَتِهِ فَنِعْمَ ٱلْوَافِدُ
لَيْسَ ٱلْمُبَشِّرُ كَٱلْمُبَشَّرِ بِٱسْمِهِ خَبَرٌ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنُّبُوَّةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى ٱلْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَارِفُهُ فَهُنَّ خَوَالِدُ

٢٩٥ قَالَ آخَرُ فِي ٱلْيَاسَمِينِ :

وَٱلْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ ثُغُورِ رِيَاضِهَا وَٱلْأُفْقُ يُسْفِرُ تَارَةً وَيُقَطِّبُ
وَكَأَنَّ مُخْضَرَّ ٱلرِّيَاضِ مُلَاءَةٌ وَٱلْيَاسَمِينَ لَهَا طِرَازٌ مُذْهَبُ

٢٩٦ قَالَ ٱلْأَخْطَلُ ٱلْأَهْوَازِيُّ فِي ٱلسُّوسَنِ :

سَقْيًا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نِمْتُ نَبَّهَنِي ... بَعْدَ الْهُدُوِّ بِهَا قَرْعُ النَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سُوسَنَهَا فِي كُلِّ شَارِفَةٍ ... عَلَى الْمَيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرْجَلِ :

حَازَ السَّفَرْجَلُ لَذَّاتِ الْوَرَى فَغَدَا ... عَلَى الْفَوَاكِهِ بِالتَّفْضِيلِ مَشْهُورَا
كَالرَّاحِ طَعْمًا وَشَمِّ الْمِسْكِ رَائِحَةً ... وَالتِّبْرِ لَوْنًا وَشَكْلِ الْبَدْرِ تَدْوِيرَا

٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ :

وَرِمَاحٍ بِغَيْرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ ... بَلْ لِأَكْلٍ وَمَصِّ لُبٍّ وَرَشْفِ
كَمُلَتْ فِي اسْتِوَائِهَا وَاسْتَقَامَتْ ... بِاعْتِدَالٍ وَحُسْنِ قَدٍّ وَلُطْفِ

٢٩٩ قَالَ آخَرُ يَصِفُ نَاعُورَةً :

وَنَاعُورَةٍ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا ... وَأَضْلُعُهَا كَادَتْ تُعَدُّ مِنَ السُّقْمِ
أَدُورُ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي فَقَدْتُهُ ... وَأَمَّا دُمُوعِي فَهْيَ تَجْرِي عَلَى جِسْمِي

٣٠٠ قَالَ الْبُحْتُرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنِيتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قِدْمًا وَغَرْبِهَا ... أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ ... لِرَاحِ أَغَادِيهَا وَكَأْسٍ أُدِيرُهَا
مَصِحَّةُ أَبْدَانٍ وَنُزْهَةُ أَعْيُنٍ ... وَلَهْوٌ لِنَفْسٍ دَائِمٌ لِي سُرُورُهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرَّبِيعُ بِلَادَهَا ... فَفِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا

٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشِّطْرَنْجِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

يَا عَائِبَ الشِّطْرَنْجِ مِنْ جَهْلِهِ ... وَلَيْسَ فِي الشِّطْرَنْجِ مِنْ بَاسِ
فِي فَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لَعِبِهَا ... شُغْلٌ عَنِ الْغِيبَةِ لِلنَّاسِ

وَتَشْغَلُ الْهَائِمَ عَنْ حُزْنِهِ ... وَصَاحِبَ الْكَأْسِ عَنِ الْكَاسِ
وَصَاحِبُ الْحَرْبِ بِتَدْبِيرِهَا ... يَزْدَادُ فِي الشِّدَّةِ وَالْبَاسِ
وَأَهْلُهَا فِي حُسْنِ آدَابِهِمْ ... مِنْ خَيْرِ أَصْحَابٍ وَجُلَّاسِ

٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي وَصْفِ وَزِيرٍ كَثِيرِ التَّلَوُّنِ :

مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ بَعِيدٌ قَرِيبٌ ... مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَبِيبُ
عَجَبٌ مِنْ عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْـ ... ـرِ وَنَوْعٌ فَرْدٌ وَشَكْلٌ غَرِيبُ

٣٠٣ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلَفٍ الْبَهْرَانِيُّ فِي وَصْفِ النَّحْوِ :

اَلنَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَنِ ... وَالْمَرْءُ تُعْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ

٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شِيرَوَيْهِ الْحُمَّى قَالَ :

وَزَائِرَةٍ تَزُورُ بِلَا رَقِيبٍ ... وَتَنْزِلُ بِالْفَتَى مِنْ غَيْرِ حُبِّهْ
وَمَا أَحَدٌ يُحِبُّ الْقُرْبَ مِنْهَا ... وَلَا تَحْلُو زِيَارَتُهَا بِقَلْبِهْ
تَبِيتُ بِبَاطِنِ الْأَحْشَاءِ مِنْهُ ... فَيَطْلُبُ بُعْدَهَا مِنْ عُظْمِ كَرْبِهْ
وَتَمْنَعُهُ لَذِيذَ الْعَيْشِ حَتَّى ... تُنَغِّصَهُ بِأَكْلِهِ وَشُرْبِهْ
أَتَتْ لِزِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ ... وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرْحَبًا بِهْ

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْخِلَّانِ :

أَلْقَلْبُ مِنْ فُرْقَةِ الْخِلَّانِ يَحْتَرِقُ ... وَالدَّمْعُ كَالدُّرِّ فِي الْخَدَّيْنِ يَسْتَبِقُ
إِنْ فَاضَ مَاءُ دُمُوعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا ... أَلْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهْوَ مُحْتَرِقُ

أَلْبَابُ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ
فِي ٱلْحِكَايَاتِ

ابن الزبير ومعاوية

٣٠٥ كَانَ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلزُّبَيْرِ أَرْضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا، وَإِلَى جَانِبِهَا أَرْضٌ لِمُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا. فَدَخَلَ عَبِيدُ مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ ٱللهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ يَقُولُ لَهُ فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَبِيدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي. فَانْهَهُمْ عَنْ ذٰلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَلَكَ شَانٌ وَٱلسَّلَامُ. فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ. فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَا بُنَيَّ مَا تُرَى. قَالَ: أُرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ عِنْدَكَ يَأْتُونَكَ بِرَأْسِهِ. فَقَالَ: بَلْ غَيْرُ ذٰلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ. ثُمَّ أَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِيِّ وَسَاءَنِي مَا سَاءَهُ. وَٱلدُّنْيَا بِأَسْرِهَا هَيِّنَةٌ عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ. نَزَلْتُ عَنْ أَرْضِي لَكَ فَأَضِفْهَا إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ ٱلْعَبِيدِ وَٱلْأَمْوَالِ وَٱلسَّلَامُ. فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ: قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمَهُ ٱلرَّأْيَ ٱلَّذِي أَحَلَّهُ مِنْ قُرَيْشٍ هٰذَا ٱلْمَحَلَّ وَٱلسَّلَامُ. فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ

ٱلزُّبَيْرِ وَقَرَأَهُ رَمَى بِهِ إِلَى ٱبْنِهِ يَزِيدَ. فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْفَرَ. فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بُنَيَّ مَنْ عَفَا سَادَ. وَمَنْ حَلُمَ عَظُمَ. وَمَنْ تَجَاوَزَ ٱسْتَمَالَ إِلَيْهِ ٱلْقُلُوبَ. فَإِذَا ٱبْتُلِيتَ بِشَيْءٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَدْوَاءِ. فَدَاوِهِ بِمِثْلِ هٰذَا ٱلدَّوَاءِ

المنصور ومحمد بن جعفر

٣٠٦ قِيلَ: كَانَ ٱلْمَنْصُورُ مُعْجَبًا بِمُحَادَثَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَلِعِظَمِ قَدْرِهِ يَفْزَعُ ٱلنَّاسُ إِلَيْهِ فِي ٱلشَّفَاعَاتِ. فَثَقُلَ ذٰلِكَ عَلَى ٱلْمَنْصُورِ فَحَجَبَهُ مُدَّةً. ثُمَّ لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ. فَأَمَرَ ٱلرَّبِيعَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي ذٰلِكَ فَكَلَّمَهُ وَقَالَ: أَعْفِ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَا تُثَقِّلْ عَلَيْهِ فِي ٱلشَّفَاعَاتِ. فَقَبِلَ ذٰلِكَ مِنْهُ. فَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى ٱلْبَابِ ٱعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ رِقَاعٌ فَسَأَلُوهُ إِيصَالَهَا إِلَى ٱلْمَنْصُورِ. فَقَصَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقِصَّةَ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا. فَقَالَ: أَقْذِفُوهَا فِي كُمِّي. ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي ٱلْخَضْرَاءِ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ ٱلْبَسَاتِينِ. فَقَالَ لَهُ: أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ ٱللهِ. فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ ٱللهُ لَكَ فِيمَا آتَاكَ وَهَنَّأَكَ بِإِتْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ فِيمَا أَعْطَاكَ. فَمَا بَنَتِ ٱلْعَرَبُ فِي دَوْلَةِ ٱلْإِسْلَامِ وَلَا ٱلْعَجَمُ فِي سَالِفِ ٱلْأَيَّامِ أَحْصَنَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ مَدِينَتِكَ وَلٰكِنْ سَمَجَتْهَا فِي عَيْنِي خَصْلَةٌ. قَالَ: وَمَا هِيَ. قَالَ: لَيْسَ لِي فِيهَا ضَيْعَةٌ. فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: قَدْ حَسَّنْتُهَا فِي عَيْنِكَ بِثَلَاثِ ضِيَاعٍ قَدْ أَقْطَعْتُكَهَا. فَقَالَ: لِلّٰهِ دَرُّكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ شَرِيفُ ٱلْمَوَارِدِ كَرِيمُ ٱلْمَصَادِرِ. فَجَعَلَ ٱللهُ تَعَالَى

بَاقِي عُمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَاضِيهِ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذٰلِكَ . فَلَمَّا نَهَضَ لِيَقُومَ بَدَتِ الرِّقَاعُ مِنْ كُمِّهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : ارْجِعْنَ خَائِبَاتٍ خَاسِرَاتٍ . فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ وَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعْلَمْتَنِي بِخَبَرِ هٰذِهِ الرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتُ يَا ابْنَ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ إِلَّا كَرِيمًا وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

ثُمَّ تَصَفَّحَ الرِّقَاعَ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا (للابشيهي)

عدل عُمر بن الخطّاب بما اداهُ لعجوزٍ من فقراء رعيته

٣٠٧ ذُكِرَ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . فَمَا وَصَلْتُ إِلَى نِصْفِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ شَخْصًا أَعْرَابِيًّا جَذَبَنِي بِثَوْبِي وَقَالَ : أَلْزَمْنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ الْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَنَكِّرٌ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةً بَيْنَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هٰذَا اللَّيْلِ الدَّامِسِ . وَكَانَتْ لَيْلَةَ قَرٍّ . فَتَبِعْتُهُ فَسَارَ وَأَنَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ خِيَامِ الْأَعْرَابِ وَبُيُوتِهِمْ وَيَتَأَمَّلُهَا إِلَى أَنْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا . فَنَظَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خَيْمَةٌ وَفِيهَا امْرَأَةٌ عَجُوزٌ وَحَوْلَهَا صِبْيَةٌ يُعْوِلُونَ عَلَيْهَا وَيَبْكُونَ . وَأَمَامَهَا أَثَافِيُّ عَلَيْهَا قِدْرٌ وَتَحْتَهَا النَّارُ تَشْتَعِلُ .

وَهِيَ تَقُولُ لِلصِّبْيَةِ : رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْضَجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ . فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عُمَرُ يَتَأَمَّلُ الْعَجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى الْأَوْلَادِ أُخْرَى . فَطَالَ الْوُقُوفُ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي يُوقِفُكَ سِرْ بِنَا . فَقَالَ : وَاللهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَّتْ لِلصِّبْيَةِ فَأَكَلُوا وَاكْتَفَوْا . فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وُقُوفُنَا جِدًّا وَمَلَأَنَا الْمَكَانَ خَوْفًا أَنْ تَسْتَرِيبَ بِنَا الْعُيُونُ . وَالصِّبْيَةُ لَا يَزَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ وَالْعَجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا : رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْضَجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ . فَقَالَ لِي عُمَرُ : ادْخُلْ بِنَا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا . فَدَخَلَ وَدَخَلْتُ وَرَاءَهُ . فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا خَالَةُ . فَرَدَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَحْسَنَ رَدٍّ . فَقَالَ لَهَا : مَا بَالُ هٰؤُلَاءِ الصِّبْيَةِ يَتَصَارَخُونَ وَيَبْكُونَ . فَقَالَتْ لَهُ : لَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ . فَقَالَ لَهَا : وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِيهِمْ مِمَّا فِي الْقِدْرِ . فَقَالَتْ لَهُ : وَمَاذَا فِي الْقِدْرِ لِأُطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عُلَالَةً فَقَطْ إِلَى أَنْ يَضْجَرُوا مِنَ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ . وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأُطْعِمَهُمْ . فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقِدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءُ وَعَلَيْهَا الْمَاءُ يَغْلِي . فَتَعَجَّبَ مِنْ ذٰلِكَ وَقَالَ لَهَا : مَا الْمُرَادُ بِذٰلِكَ . فَقَالَتْ : أُوهِمُهُمْ أَنَّ فِيهَا شَيْئًا يُطْبَخُ فَيُؤْكَلُ فَأُعَلِّلُهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا ضَجِرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عُيُونَهُمْ نَامُوا . فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : وَلِمَاذَا أَنْتِ هٰكَذَا . فَقَالَتْ لَهُ : أَنَا مَقْطُوعَةٌ لَا أَخَ لِي وَلَا أَبَ وَلَا زَوْجَ وَلَا قَرَابَةَ . فَقَالَ لَهَا : لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَمْرَكِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكِ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . فَقَالَتْ لَهُ : لَا

حيَّا اللهُ عُمَرَ ونَكَّسَ اللهُ أَعْلَامَهُ واللهِ إِنَّهُ ظَالِمِي. فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ مَقَالَتَهَا ارْتَاعَ مِنْ ذٰلِكَ وَقَالَ لَهَا: يَا خَالَةُ بِمَاذَا ظَلَمَكِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. قَالَتْ لَهُ: نَعَمْ وَاللهِ ظَلَمَنَا إِنَّ الرَّاعِيَ عَلَيْهِ أَنْ يُفَتِّشَ عَلَى حَالِ كُلٍّ مِنْ رَعِيَّتِهِ. لَعَلَّهُ يُوجَدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مِثْلِي ضَيِّقُ الْيَدِ كَثِيرُ الصِّبْيَةِ وَلَا مُعِينَ وَلَا مُسَاعِدَ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَازِمَهُ وَيُسْمَحُ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يَقُوتُهُ وَعِيَالَهُ أَوْ صِبْيَتَهُ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: وَمِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ عُمَرُ بِحَالِكِ وَمَا أَنْتِ بِهِ مِنَ الْفَاقَةِ مَعَ كَثْرَةِ الصِّبْيَةِ. كَانَ يَجِبُ عَلَيْكِ أَنْ تَتَقَدَّمِي وَتُعْلِمِيهِ بِأَمْرِكِ. فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ إِنَّ الرَّاعِيَ الْحُرَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُفَتِّشَ عَلَى احْتِيَاجَاتِ رَعِيَّتِهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا. فَلَعَلَّ ذٰلِكَ الشَّخْصَ الْفَقِيرَ الْحَالِ الضَّيِّقَ الْيَدِ غَلَبَهُ حَيَاؤُهُ وَمَنَعَهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَاعِيهِ لِيُعْلِمَهُ بِحَالِهِ. فَعَلَى عُمَرَ السُّؤَالُ عَنْ حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رَعِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْفَقِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِإِعْلَامِهِ بِحَالِهِ. وَالرَّاعِي الْحُرُّ إِذَا أَهْمَلَ ذٰلِكَ فَيَكُونُ هٰذَا ظُلْمًا مِنْهُ. وَهٰذِهِ سُنَّةُ اللهِ وَمَنْ تَعَدَّاهَا فَقَدْ ظَلَمَ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ قَالَ لَهَا عُمَرُ: صَدَقْتِ يَا خَالَةُ وَلٰكِنْ عَلِّلِي الصِّبْيَةَ وَالسَّاعَةَ آتِيكِ: ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجْتُ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ مِنَ اللَّيْلِ ثُلُثُهُ الْأَخِيرُ. فَمَشَيْنَا وَالْكِلَابُ تَنْبَحُنَا وَأَنَا أَطْرُدُهَا وَأَذُبُّهَا عَنِّي وَعَنْهُ إِلَى أَنِ انْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ الذَّخِيرَةِ. فَفَتَحَهُ وَحْدَهُ وَدَخَلَ وَأَمَرَنِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ. فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَعَمَدَ إِلَى كِيسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَحْتَوِي عَلَى مِائَةِ رَطْلٍ وَيُنِيفُ. فَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ حَمْلَهُ عَلَى كَتِفِي. فَحَمَّلْتُهُ إِيَّاهُ ثُمَّ قَالَ لِي: احْمِلْ أَنْتَ هَاتِيكَ جَرَّةَ السَّمْنِ. وَأَشَارَ لِي إِلَى جَرَّةٍ هُنَاكَ

فَحَمَلْتُهَا وَخَرَجْنَا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَسِرْنَا وَقَدِ انْهَارَ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى لِحْيَتِهِ وَعَيْنَيْهِ وَجَبِينِهِ. فَمَشَيْنَا إِلَى أَنْ أَنْصَفْنَا وَقَدْ أَتْعَبَهُ الْحِمْلُ لِأَنَّ الْمَكَانَ كَانَ بَعِيدَ الْمَسَافَةِ. فَعَرَضْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَوِّلِ الْكِيسَ عَنْكَ وَدَعْنِي أَحْمِلُهُ. فَقَالَ: لَا وَاللهِ أَنْتَ لَا تَحْمِلُ عَنِّي جَرَائِمِي وَظُلْمِي يَوْمَ الدِّينِ. وَاعْلَمْ يَا عَبَّاسُ أَنَّ حَمْلَ جِبَالِ الْحَدِيدِ وَثِقْلَهَا خَيْرٌ مِنْ حَمْلِ ظُلَامَةٍ كَبُرَتْ أَوْ صَغُرَتْ. وَلَا سِيَّمَا هٰذِهِ الْعَجُوزُ تُعَلِّلُ أَوْلَادَهَا بِالْحَصَى. يَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللهِ. سِرْ بِنَا وَأَسْرِعْ يَا عَبَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَضْجَرَ الصِّبْيَةُ مِنَ الْعَوِيلِ فَيَنَامُوا كَمَا قَالَتْ. فَسَارَ وَأَسْرَعَ وَأَنَا مَعَهُ وَهُوَ يَلْهَثُ لَهْثَ الثَّوْرِ مِنَ التَّعَبِ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا خَيْمَةَ الْعَجُوزِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ حَوَّلَ كِيسَ الدَّقِيقِ عَنْ كَتِفِهِ وَوَضَعَتْ جَرَّةَ السَّمْنِ أَمَامَهُ. فَتَقَدَّمَ هُوَ بِذَاتِهِ وَأَخَذَ الْقِدْرَ وَكَبَّ مَا فِيهَا وَوَضَعَ فِيهَا السَّمْنَ وَجَعَلَ بِجَانِبِهِ الدَّقِيقَ. ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا النَّارُ قَدْ كَادَتْ تَطْفَأُ فَقَالَ لِلْعَجُوزِ: أَعِنْدَكِ حَطَبٌ. قَالَتْ: نَعَمْ يَا ابْنِي. وَأَشَارَتْ لَهُ إِلَيْهِ. فَقَامَ وَجَاءَ بِقَلِيلٍ مِنْهُ وَكَانَ الْحَطَبُ أَخْضَرَ فَوَضَعَ مِنْهُ فِي النَّارِ وَوَضَعَ الْقِدْرَ عَلَى الْأَثَافِيِّ. وَجَعَلَ يُنَكِّسُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَنْفُخُ بِفَمِهِ تَحْتَ الْقِدْرِ. فَوَاللهِ إِنِّي رَأَيْتُ دُخَانَ الْحَطَبِ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِ لِحْيَتِهِ وَقَدْ كَنَسَ بِهَا الْأَرْضَ إِذْ كَانَ يُطَأْطِئُ رَأْسَهُ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ النَّفْخِ. وَلَمْ يَزَلْ هٰكَذَا حَتَّى اشْتَعَلَتِ النَّارُ وَذَابَ السَّمْنُ وَابْتَدَأَ غَلَيَانُهُ. فَجَعَلَ يُحَرِّكُ السَّمْنَ بِعُودٍ فِي يَدِهِ الْوَاحِدَةِ وَيَخْلِطُ مِنَ الدَّقِيقِ مَعَ السَّمْنِ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى

إلى أن أنضج والصبية حوله يتصارخون. فلما طاب الطعام طلب من العجوز إناء فأتته به. فجعل يصب الطبيخ في الإناء وينفخه بفمه ليبرده ويلقم الصغار. ولم يزل يفعل هكذا معهم واحدا بعد واحد حتى أتى جميعهم وشبعوا واكتفوا. وقاموا يلعبون ويضحكون مع بعضهم إلى أن غلب عليهم النوم فناموا. فالتفت عمر عند ذلك إلى العجوز وقال لها: يا خالة أنا من قرابة أمير المؤمنين عمر وسأذكر له حالك. فأتيني غدا صباحا في دار الإمارة فتجديني هناك فأرجي خيرا. ثم ودعها عمر وخرج وخرجت معه فقال لي: يا عباس والله إني حين رأيت العجوز تعلل صبيتها بحصى حسست أن الجبال قد زلزلت واستقرت على ظهري. حتى إذا جئت بما جئت وأطعمتهم ما طبخته لهم واكتفوا وجلسوا يلعبون ويضحكون فحينئذ شعرت أن تلك الجبال قد سقطت عن ظهري. ثم أتى عمر داره وأمرني فدخلت معه وبتنا ليلتنا. ولما كان الصباح أتت العجوز فاستغفرها وجعل لها ولصبيتها راتبا من بيت المال تستوفيه شهرا فشهرا (للاتليدي)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حكي عن معاوية أنه لما ولي الخلافة وانتظمت إليه الأمور وامتلأت منه الصدور وأذعن لأمره الجمهور وساعده الله في مراده. استحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين. ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين. فانهمكوا في القول الصحيح

والمريض. وآل حديثهم إلى من كان يجتهد في إيقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض. فقالوا: امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدي كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف. وترفع صوتها صارخة: يا أصحاب علي. تسمعهم كلاما كالصوارم. مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لأقبل. والمسالم لحارب. والفار لكر. والمترزل لاستقر. فقال لهم معاوية: أيكم يحفظ كلامها. قالوا: كلنا نحفظه. قال: فما تشيرون علي فيها. قالوا: نشير بقتلها فإنها أهل لذلك. فقال لهم معاوية: بئس ما أشرتم به وقبحا لما قلتم. أيحسن أن يشتهر عني أنني بعدما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وقت لصاحبها. إني إذا للئيم. لا والله لا فعلت ذلك أبدا. ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا إلى واليه بالكوفة أن: أنفذ إلي الزرقاء بنت عدي مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها. ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا. فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وقرأه عليها. فقالت بعد قراءة الكتاب: ما أنا بزائغة عن الطاعة. فحملها في هودج وجعل غشاءه خزا مبطنا. ثم أحسن صحبتها. فلما قدمت على معاوية قال لها: مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد. كيف حالك يا خالة وكيف رأيت سيرك. قالت: خير مسير. فقال: هل تعلمين لم بعثت إليك. قالت: لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى. قال: ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفين. وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب

وتُحرّضين على القتال. قالت: نعم. قال: فما حملكِ على ذلك. قالت: يا أمير المؤمنين إنه قدمات الرأس وبتر الذنب. والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر. والأمر يحدث بعده الأمر. فقال: صدقتِ فهل تعرفين كلامكِ وتحفظين ما قلت. قالت: لا والله. قال: لله أبوكِ فلقد سمعتكِ تقولين: أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس. وإن الكواكب لا تضيء مع القمر. وإن البغل لا يسبق الفرس. ولا يقطع الحديد إلا بالحديد. ألا من استرشدنا أرشدناه. ومن سألنا أخبرناه. إن الحق كان يطلب ضالة فأصابها. فصبرًا يا معشر المهاجرين والأنصار. فكأنكم وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله. فإنه لا يستوي المحق والمبطل. أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا. لا يستوون. فالنزال النزال والصبر الصبر. ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء. والصبر خير الأمور عاقبة. إنتوا الحرب غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده. يا زرقاء أليس هذا قولكِ وتحريضكِ. قالت: لقد كان ذلك. قال: لقد شاركتِ عليًا في كل دم سفكه. فقالت: أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك. مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه. فقال معاوية: أوقد سرك ذلك. قالت: نعم والله لقد سرني قولك وأنى لي بتصديقه. فقال لها معاوية: والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب إليّ من حبكم له في حياته فاذكري حوائجك تقض. فقالت:

يا أمير المؤمنين إني آليت على نفسي أن لا أسأل أحدًا بعد علي حاجة. فقال: قد أشار علي بعض من عرفكِ بقتلكِ. فقالت: لؤم من المشير. ولو أطعته لشاركته. قال: كلا بل نعفو عنكِ ونحسن إليكِ ونزعاكِ. فقالت: يا أمير المؤمنين كرم منك. ومثلك من قدر ففا وتجاوز عمن أساء وأعطى من غير مسألة. فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم. وأعادها إلى وطنها سالمة وكتب إلى والي الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها (للابشيهي)

رجلان كريمان حصلا على الامارة بكرمهما

٣٠٩ كان في أيام خلافة سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد مشهور بالمروءة والكرم والمواساة. وكانت نعمته وافرة. فلم يزل على تلك الحالة من الكرم حتى احتاج إلى إخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم. فآسوه حينًا ثم إنهم ملوه. فلما لاح منهم ذلك أتى امرأته وكانت ابنة عمه. فقال لها: يا ابنة العم رأيت من إخواني تغيرًا عما عهدت منهم. وقد عزمت على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت. ثم إنه أغلق بابه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد جميعه وبقي حائرًا في أمره. وكان يومئذ عكرمة الفياض واليًا على الجزيرة. فبينما هو جالس في ديوانه وعنده جماعة من أهل البلد من معارفه إذ جرى ذكر خزيمة بن بشر. فسألهم عكرمة عن حاله

فقالوا له: إنه في أشق حال من الفقر وقد أغلق بابه ولزم بيته. فقال عكرمة القياض: أفما وجد خزيمة بن بشر مواسيا أو مكافيا. فقالوا له: لا. فأمسك عكرمة عن ذلك. وكان عكرمة في الكرم بالمنزلة العظيمة وقد سمي القياض لزيادة كرمه وجوده. ثم إن عكرمة انتظر إلى أن دخل الليل فعمد إلى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس وأمر بإسراج دابته. فركبها وخرج سرا من عند أهله وسار ومعه غلام واحد يحمل المال. وكان الليل قد أنصف. فلم يزل سائرا حتى وقف على باب خزيمة فنزل عن دابته بعيدا عن الباب وسلمها إلى الغلام وأخذ منه الكيس وأتى به وحده إلى الباب وقرعه. فخرج خزيمة فقال له عكرمة وقد نكر صوته: خذ هذا أصلح به شأنك. فتناوله خزيمة فرآه ثقيلا فوضعه وقبض على ذيل عكرمة وقال له: أخبرني من أنت جعلت فداك. فقال له عكرمة: ما جئتك في مثل هذا الوقت وأريد أن تعرفني. فقال له خزيمة: والله لا أقبله إلا تخبرني من أنت. فقال له عكرمة: أنا جابر عثرات الكرام. فقال خزيمة: زدني إيضاحا. فقال له عكرمة: لا والله. وانصرف. فدخل خزيمة بالكيس إلى امرأته وقال لها: أبشري فقد أتى الله بالفرج فقومي أسرجي. فقالت: لا سبيل إلى السراج لأنه ليس لنا زيت. فبات خزيمة يلمس الكيس فيجد خشونة الدنانير. ولما رجع عكرمة إلى منزله سألته امرأته فيم خرج بعد هدأة من الليل منفردا. فأجابها: ما كنت لأخرج في وقت كنا

وأريد أن يعلم أحد بما خرجت إليه إلا الله فقط. فقالت له: لا بد لي أن أعلم ذلك وصاحت وناحت وألحت عليه بالطلب. فلما رأى أنه ليس له بد منها قال: أخبرك بالأمر فاكتميه إذا. قالت له: قل ولا تبال بذلك. فأخبرها بالقصة على وجهها. أما ما كان من خزيمة فإنه لما أصبح صالح غرماءه وأصلح شأنه وتجهز للسفر يريد الخليفة سليمان ابن عبد الملك. فدخل الحاجب وأخبر سليمان بوصول خزيمة بن بشر. وكان سليمان يعرفه جيدا بالمروءة والكرم فأذن له. فلما دخل خزيمة وسلم عليه بالخلافة قال له سليمان: يا خزيمة ما أبطأك عنا. قال: سوء الحال يا أمير المؤمنين. قال فما منعك النهضة إلينا. قال خزيمة: ضعفي يا أمير المؤمنين وقلة ما بيدي. قال: فمن أنهضك الآن. قال خزيمة: لم أشعر يا أمير المؤمنين بعد هدأة من الليل إلا والباب يطرق فخرجت فرأيت شخصا وكان منه كيت وكيت. وأخبره بقصته من أولها إلى آخرها. فقال له: أما عرفته. فقال خزيمة: ما سمعت منه يا أمير المؤمنين إلا حين سألته عن اسمه قال: أنا جابر عثرات الكرام. قال: فتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال: لو عرفناه لكافيناه على مروءته. ثم قال: علي بالكاتب. فحضر إليه. فكتب لخزيمة الولاية على الجزيرة وجميع عمل عكرمة وأجزل له العطاء وأحسن ضيافته. وأمره بالتوجه من وقته إلى الولاية فقبل الأرض خزيمة وتوجه من ساعته إلى الجزيرة. فلما قرب منها خرج عكرمة وكان قد بلغه عزله وأقبل لملاقاة خزيمة

مع جميع أعيان البلد. وسلّموا عليه وساروا جميعاً إلى أن دخلوا به البلد. فنزل خزيمة في دار الإمارة وأمر أن يؤخذ عكرمة ويحاسب. فحوسب ففضل عليه مال كثير فطلبه خزيمة منه. فقال له عكرمة: والله ما إلى درهم منه سبيل ولا عندي منه دينار. فأمر خزيمة بحبسه وأرسل يطالبه بالمال. فأرسل عكرمة يقول له: إني لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت. فأمر خزيمة بقيده وضربه. فكبّل بالحديد وضرب وضيّق عليه. فأقام كذلك شهراً فأضناه ذلك وأضرّ به فبلغ امرأته ضرّه فجزعت عليه واغتمّت لذلك غماً شديداً. فدعت جارية لها ذات عقل وقالت لها: امضي الساعة إلى باب خزيمة وقولي للحاجب: إن عندي نصيحة للأمير. فإذا طلبها منك فقولي: لا أقولها إلا للأمير خزيمة. فإذا دخلت عليه فسليه الخلوة فإذا فعل فقولي له: ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك بمكافأتك له بالضيق والحبس والحديد ثم بالضرب. قال: ففعلت جاريتها ذلك. فلما سمع خزيمة قولها قال: واسوءتاه جابر عثرات الكرام غريمي. قالت: نعم. فأمر لوقته بدابته فأسرجت وركب إلى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم إلى باب الحبس. ففتحه ودخل فرأى عكرمة القياض في قاع الحبس متغيراً قد أضناه الضر. فلما نظر عكرمة إلى خزيمة ووجوه أهل البلد معه أحشمه ذلك فنكّس رأسه. فأقبل خزيمة وأكبّ على رأسه فقبّله. فرفع عكرمة رأسه وقال: ما أعقب هذا منك. قال خزيمة: كريم فعالك

وسوء مكافأتي. فقال له عكرمة: يغفر الله لنا ولك. ثم إن خزيمة أمر بقيوده أن تفك وأن توضع في رجليه نفسه. فقال له عكرمة: ما مرادك بذلك. قال: مرادي أن ينالني من الضر ما نالك. فقال له عكرمة: أقسم عليك بالله أن لا تفعل. وبعد ذلك خرجا جميعاً وجاءا إلى دار خزيمة فوضعه عكرمة وأراد الانصراف فلم يمكّنه من ذلك. ثم أمر خزيمة بالحمام فأخليَ ودخلا جميعاً. وقام خزيمة نفسه فتولى خدمة عكرمة. ثم خرج فخلع عليه وحمل إليه مالاً كثيراً وسأله أن يسير معه إلى أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وكان يومئذ مقيماً في الرملة. فسار معه حتى قدما على سليمان. فدخل الحاجب وأخبره بقدوم خزيمة بن بشر. فراعه ذلك وقال في نفسه: والي الجزيرة يقدم علينا بغير أمر نامع قرب العهد به. ما هذا إلا لحادث عظيم. فلما دخل عليه قال: ما وراءك يا خزيمة. قال: خير يا أمير المؤمنين قال: فما أقدمك. قال: يا أمير المؤمنين إني ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسرك لما رأيت من شوقك إلى رؤيته. قال: ومن هو. قال: عكرمة القياض. فأذن له في الدخول فدخل وسلّم عليه بالخلافة فرحّب به وأدناه من مجلسه وقال له: يا عكرمة قد كان خيرك له وبالاً عليك. ثم إن الخليفة قال له: اكتب حوائجك وما تختاره في رقعة. فكتبها فقضيت على أتم وجه. ثم أمر له بعشرة آلاف دينار وأضاف له شيئاً كثيراً من التحف والظرف وولاه على الجزيرة وأرمينية

وأذربيجان وقال له: أمر خزيمة بيدك إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته. قال: بل رده إلى عمله مكرما يا أمير المؤمنين. ثم إنهما انصرفا جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته (ثمرات الاوراق للحموي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قيل إن الحجاج بن يوسف أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصله واستأصل موجوده وسجنه. فاحتال يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستمالته. وهرب هو والسجان وقصد الشام إلى سليمان بن عبد الملك. وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك. فلما وصل يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن إليه وأقام عنده. فكتب الحجاج إلى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وأنه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين. وأمير المؤمنين أعلى رأيا. فكتب الوليد إلى أخيه سليمان بذلك. فكتب سليمان: يا أمير المؤمنين إني أجرت يزيد بن المهلب لأنه هو وأباه وإخوته أحباء لنا من عهد أبينا. ولم أجر عدوا لأمير المؤمنين. وقد كان الحجاج عذبه وغرمه دراهم كثيرة ظلما. ثم طلب منه بعدها مثل ما طلب أولا. فإن رأى أمير المؤمنين أن لا يخزيني في ضيفي فليفعل فإنه أهل الفضل والكرم. فكتب إليه الوليد إنه لا بد من أن ترسل إلي يزيد مقيدا مغلولا. فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده. ثم دعا بيزيد بن المهلب وقيده.

ثم شد قيد هذا إلى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وحملهما إلى أخيه الوليد وكتب إليه: أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت إليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان. وقد هممت أن أكون ثالثهما. فإن هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك فابدأ بقتل أيوب. ثم اجعل يزيد ثانيا. واجعلني إن شئت ثالثا والسلام. فلما دخل يزيد ابن المهلب وأيوب بن سليمان على الوليد وهما في سلسلة أطرق الوليد استحياء وقال: لقد أسأنا إلى أبي أيوب إذ بلغنا به هذا المبلغ. فأخذ يزيد يتكلم ويحتج لنفسه. فقال له الوليد: ما نحتاج ما نحتاج إلى الكلام قد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج. ثم استحضر حدادا فأزال عنهما الحديد وأحسن إليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما إلى سليمان. وكتب كتابا للحجاج مضمونه: لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فإياك أن تعاودني فيه بعد اليوم. فسار يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك. وأقام عنده في أعلى المراتب وأفضل المنازل (للابشيهي)

عفو كريم واحسانه الى من قتل اباه

٣١١ حكي أنه لما أفضت الخلافة إلى بني العباس اختفت منهم جميع رجال بني أمية وكان منهم إبرهيم بن سليمان بن عبد الملك. وكان إبرهيم هذا رجلا عالما كاملا أديبا وهو مع ذلك في سن الشيبة فأخذوا له أمانا من السفاح فأعطاه أبو العباس السفاح أمانا

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ: أَلْزَمْ مَجْلِسِي فَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ ٱلسَّفَّاحُ: يَا إِبْرَاهِيمُ حَدِّثْنِي عَمَّا مَرَّ بِكَ فِي ٱسْتِخْفَائِكَ مِنَ ٱلْعَدُوِّ. فَقَالَ سَمْعاً وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. كُنْتُ مُخْتَفِيًا فِي ٱلْحِيرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى ٱلصَّحْرَاءِ فَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذٰلِكَ ٱلْبَيْتِ إِذْ بَصُرْتُ بِأَعْلَامٍ سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ ٱلْكُوفَةِ تُرِيدُ ٱلْحِيرَةَ. فَتَخَيَّلْتُ أَنَّهَا تُرِيدُنِي فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ ٱلدَّارِ مُتَنَكِّرًا حَتَّى أَتَيْتُ ٱلْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَخْتَفِي عِنْدَهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ. فَنَظَرْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابٍ كَبِيرٍ وَاسِعِ ٱلرَّحْبَةِ فَدَخَلْتُ فِيهِ. فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ ٱلْهَيْئَةِ مُقْبِلًا عَلَى ٱلرَّحْبَةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَٱلْتَفَتَ فَرَآنِي فَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ. فَقُلْتُ: رَجُلٌ خَائِفٌ عَلَى دَمِهِ وَجَاءَ يَسْتَجِيرُ فِي مَنْزِلِكَ. فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ تَلِي حَرَمَهُ وَكُنْتُ عِنْدَهُ فِي كُلِّ مَا أُحِبُّهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ حَالِي. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ ٱلْفَجْرِ وَيَمْضِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا قَرِيبَ ٱلظُّهْرِ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: أَرَاكَ تُدْمِنُ ٱلرُّكُوبَ كُلَّ يَوْمٍ فَمَا ذٰلِكَ. فَقَالَ لِي: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ كَانَ قَدْ قَتَلَ أَبِي ظُلْمًا وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي ٱلْحِيرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمِيًّا لَعَلِّي أَجِدُهُ وَأُدْرِكُ مِنْهُ ثَارِي (قَالَ): فَلَمَّا سَمِعْتُ ذٰلِكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ كَثُرَ تَعَجُّبِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ ٱلْقَدَرَ سَاقَنِي إِلَى حَتْفِي فِي مَنْزِلِ مَنْ يَطْلُبُ دَمِي. فَوَٱللّٰهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ ٱلْحَيَاةَ. ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ ٱلرَّجُلَ

عَنِ ٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا ٱلَّذِي قَتَلَ أَبَاهُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا هٰذَا إِنَّهُ قَدْ وَجَبَ عَلَيَّ حَقُّكَ وَلِمَعْرُوفِكَ لِي يَلْزَمُنِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى خَصْمِكَ ٱلَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأُقَرِّبَ عَلَيْكَ ٱلْخُطْوَةَ. فَقَالَ: وَمَنْ ذَاكَ. فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ أَبِيكَ فَخُذْ بِثَارِكَ. فَتَبَسَّمَ مِنِّي وَقَالَ: هَلْ أَضْجَرَكَ ٱلِٱخْتِفَاءُ وَٱلْبُعْدُ عَنْ مَنْزِلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتَ ٱلْمَوْتَ. فَقُلْتُ: لَا وَٱللّٰهِ وَلٰكِنِّي أَقُولُ لَكَ ٱلْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمِ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلرَّجُلُ كَلَامِي هٰذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَٱحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَٱلْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: أَمَّا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِثَارِهِ مِنْكَ وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخْفِرُ ذِمَّتِي وَلٰكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ آمَنُ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي. ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا وَٱنْصَرَفْتُ عَنْهُ. فَهٰذَا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمُ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ عَنْهُ فِي عُمُرِي بَعْدَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (للاتليدي)

جود معن بن زائدة

٣١٢ حُكِيَ عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ شَاعِرًا مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ قَصَدَهُ فَأَقَامَ مُدَّةً يُرِيدُ ٱلدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ ذٰلِكَ. فَلَمَّا أَعْيَاهُ ٱلْأَمْرُ سَأَلَ بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ: أَرْجُوكَ إِذَا دَخَلَ ٱلْأَمِيرُ ٱلْبُسْتَانَ أَنْ تُعَرِّفَنِي. فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنٌ بُسْتَانَهُ لِيَتَنَزَّهَ جَاءَ ٱلْخَادِمُ وَأَخْبَرَ ٱلشَّاعِرَ فَكَتَبَ ٱلشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ ٱلشِّعْرِ عَلَى خَشَبَةٍ وَأَلْقَاهَا فِي ٱلْمَاءِ ٱلْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

ٱلْبُسْتَانِ . فَٱتَّفَقَ أَنَّ مَعْنًا كَانَ جَالِسًا فِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ ٱلْمَاءِ فَمَرَّتْ بِهِ ٱلْخَشَبَةُ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا :

أَيَا جُودَ مَعْنٍ نَاجِ مَعْنًا بِحَاجَتِي ... فَمَا لِي إِلَى مَعْنٍ سِوَاكَ سَبِيلُ

فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْنٌ قَالَ لِخَادِمِهِ : أَحْضِرِ ٱلرَّجُلَ صَاحِبَ هٰذِهِ ٱلْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كَتَبْتَ . فَأَنْشَدَهُ ٱلْبَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا وَضَعَ تِلْكَ ٱلْخَشَبَةَ تَحْتَ ٱلْبِسَاطِ مَكَانَ جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَأَلَمَّتْهُ ٱلْخَشَبَةُ فَقَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَمَّهُ فَرَأَى ٱلْخَشَبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُوَ ٱلرَّجُلَ . فَمَضَى وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةٍ . ثُمَّ إِنَّهُ فِي ٱلثَّالِثِ خَرَجَ إِلَى مَجْلِسِهِ فَأَلَمَّتْهُ ٱلْخَشَبَةُ فَدَعَا ٱلشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّاعِرُ هٰذَا ٱلْعَطَاءَ ٱلزَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ ٱلشِّعْرِ خَافَ أَنَّ مَعْنًا يُرَاجِعُ عَقْلَهُ وَيَأْخُذُ ٱلْمَالَ مِنْهُ فَهَرَبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا خَرَجَ إِلَى مَجْلِسِهِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعِ فَأَلَمَّتْهُ فَخَطَرَ ٱلشَّاعِرُ بِبَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يُحْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى ٱلْخَادِمُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ سَافَرَ . فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافَرَ ٱغْتَمَّ جِدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ وَٱللّٰهِ لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ وَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

ابرهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ إِبْرٰهِيمُ ٱلْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كَانَ ٱلْمَهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ ٱلْخَمْرَ فَأَرَادَنِي عَلَى مُلَازَمَتِهِ وَتَرْكِ ٱلشُّرْبِ فَأَبَيْتُ فَحَبَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

يَوْمًا فَعَاتَبَنِي عَلَى شُرْبِي ٱلْخَمْرَ فِي مَنَازِلِ ٱلنَّاسِ وَقَالَ : لَا تَدْخُلْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ٱلْبَتَّةَ . وَلَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لَأَفْعَلَنَّ بِكَ وَلَأَصْنَعَنَّ . فَقُلْتُ : نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي نُزْهَةٍ لَهُمَا . فَسَعَى بِهِمَا وَبِي إِلَى ٱلْمَهْدِيِّ . فَدَعَانِي فَسَأَلَنِي فَأَنْكَرْتُ . فَأَمَرَ بِي فَجُرِّدْتُ فَضُرِبْتُ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ سَوْطًا . فَقُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي : إِنَّ جُرْمِي لَيْسَ مِنَ ٱلْأَجْرَامِ ٱلَّتِي يَحِلُّ لَكَ بِهَا سَفْكُ دَمِي . فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هٰذَا : ضَرَبَنِي بِٱلسَّيْفِ فِي جَفْنِهِ فَشَجَّنِي بِهِ وَسَقَطْتُ مُغْشِيًّا عَلَيَّ سَاعَةً . ثُمَّ فَتَحْتُ عَيْنَيَّ فَوَقَعَتَا عَلَى عَيْنَيِ ٱلْمَهْدِيِّ . فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنَيْ نَادِمٍ . وَقَالَ لِٱبْنِ مَالِكٍ : خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ : فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى ٱلدُّنْيَا فِي عَيْنَيَّ صَفْرَاءَ وَخَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ ٱلسَّوْطِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شَبِيهًا بِٱلْقَبْرِ فَيُصَيِّرَنِي فِيهِ . فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَخَهُ . فَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لِيُسَكِّنَ ٱلضَّرْبَ . وَدَفَعَنِي إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ فَصَيَّرَتْنِي فِي ذٰلِكَ ٱلْقَبْرِ . فَتَأَذَّيْتُ بِٱلنَّزِّ وَبِٱلْبَقِّ فِي ذٰلِكَ ٱلْقَبْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاءٌ أَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لِلْأَمَةِ : أَطْلُبِي لِي أُجْرَةً عَلَيْهَا فَحْمٌ وَكُنْدُرٌ يُذْهِبُ عَنِّي هٰذَا ٱلْبَقَّ . فَأَتَتْنِي بِذٰلِكَ . فَلَمَّا دَخَّنَتْ أَظْلَمَ ٱلْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ ٱلْغَمِّ . فَٱسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى ٱلنَّزِّ فَأَلْصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى خَفَّ ٱلدُّخَانُ . فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدِ ٱسْتَرَحْتُ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيَّتَانِ مُقْبِلَتَانِ نَحْوِي مِنْ شِقِّ ٱلْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي بِخَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَمَمْتُ أَنْ آخُذَ وَاحِدَةً بِيَدِيَ ٱلْيُمْنَى وَٱلْأُخْرَى بِيَدِيَ ٱلْيُسْرَى فَإِمَّا عَلَيَّ وَإِمَّا لِي . ثُمَّ كَفَيْتُهُمَا فَدَخَلَتَا مِنَ ٱلثُّقْبِ ٱلَّذِي

خَرَجتا مِنهُ . فَمكثتُ في ذٰلكَ ٱلقبرِ ما شاءَ ٱللهُ وقُلتُ في ٱلحبسِ :

أَلا طالَ لَيلي أُراعي ٱلنُّجومَ أُعالِجُ في ٱلسّاقِ كَبلًا ثَقيلا
بِدارِ ٱلهَوانِ وشَرِّ ٱلدِّيارِ أُسامُ بِها ٱلخَسفَ صَبرًا جَميلا
كَثيرُ ٱلأَخِلّاءِ عِندَ ٱلرَّخاءِ فَلَمّا حُبستُ أَراهُم قَليلا
لِطولِ بَلائِيَ مَلَّ ٱلصَّديقُ فَلا يَأمَنَنَّ خَليلٌ خَليلا

ثُمَّ أَخرَجَني ٱلمَهديُّ وأَحلَفَني (بِكُلِّ يَمينٍ لا فُسحَةَ لي فيها) أَنْ لا أَدخُلَ عَلى مُوسى وهارُونَ أَبدًا ولا أُغنّيهِما وخَلّى سَبيلي (الاغاني)

المرأة المتظلّمة وابن المأمون

٣١٤ حدَّثَ ٱلشَّيبانيُّ قالَ : جَلسَ ٱلمأمونُ يومًا لِلمَظالِمِ . فكانَ آخِرَ مَنْ تقدَّمَ إِليهِ وقَدْهَمَّ بِٱلقيامِ ٱمرأَةٌ عَلَيها هَيئَةُ ٱلسَّفرِ وعَلَيها ثِيابُ رَثَّةٌ . فوقَفَت بَينَ يَدَيهِ فقالَت : ٱلسَّلامُ عَلَيكَ يا أَميرَ ٱلمُؤمنينَ ورَحمَةُ ٱللهِ وبَرَكاتُهُ . فَنظَرَ ٱلمأمونُ إِلى يَحيى بنِ أَكثَمَ فقالَ لَها يَحيى : وعَلَيكِ ٱلسَّلامُ يا أَمَةَ ٱللهِ تَكلَّمي في حاجَتِكِ . فقالَت :

يا خَيرَ مُنتَصِفٍ يُهدى لَهُ ٱلرَّشَدُ ويا إِمامًا بِهِ قَد أَشرَقَ ٱلبَلَدُ
تَشكو إِلَيكَ عَميدَ ٱلقَومِ أَرمَلَةٌ عَدا عَلَيها فَلَم يُترُكْ لَها سَبَدُ
وٱبتَزَّ مِنّي ضِياعي بَعدَ مَنعَتِها ظُلمًا وفُرِّقَ مِنّي ٱلأَهلُ وٱلوَلَدُ

فأَطرَقَ ٱلمأمونُ حِينًا ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ إِلَيها وهُوَ يَقولُ :

في دُونِ ما قُلتِ زالَ ٱلصَّبرُ وٱلجَلَدُ عَنّي وقَرَّحَ مِنّي ٱلقَلبَ وٱلكَبِدُ
هٰذا أَذانُ صَلاةِ ٱلعَصرِ فٱنصَرِفي وأَحضِري ٱلخَصمَ في ٱليَومِ ٱلَّذي أَعِدُ

وٱلمَجلِسُ ٱلسَّبتُ إِنْ يُقضَ ٱلجُلوسُ لَنا نُنصِفكِ مِنهُ وإِلّا ٱلمَجلِسُ ٱلأَحَدُ

فَلَمّا كانَ ٱليَومُ ٱلأَحَدُ جَلَسَ فَكانَ أَوَّلَ مَنْ تَقدَّمَ إِلَيهِ تِلكَ ٱلمَرأَةُ . فقالَت : ٱلسَّلامُ عَلَيكَ يا أَميرَ ٱلمُؤمنينَ ورَحمَةُ ٱللهِ وبَرَكاتُهُ . فقالَ : وعَلَيكِ ٱلسَّلامُ أَينَ ٱلخَصمُ . فقالَتِ : ٱلواقِفُ عَلى رَأسِكَ يا أَميرَ ٱلمُؤمنينَ . وأَومَأَت إِلى ٱلعَبّاسِ ٱبنِهِ . فقالَ : يا أَحمَدُ بنَ أَبي خالِدٍ خُذ بِيَدِهِ فَأَجلِسهُ مَعَها مَجلِسَ ٱلخُصومِ . فجَعَلَ كَلامُها يَعلو كَلامَ ٱلعَبّاسِ فقالَ لَها أَحمَدُ بنُ أَبي خالِدٍ : يا أَمَةَ ٱللهِ إِنَّكِ بَينَ يَدَيْ أَميرِ ٱلمُؤمنينَ وإِنَّكِ تُكَلِّمينَ ٱلأَميرَ فَٱخفِضي مِن صَوتِكِ . فقالَ ٱلمأمونُ : دَعها يا أَحمَدُ فَإِنَّ ٱلحَقَّ أَنطَقَها وأَخرَسَهُ . ثُمَّ قَضى لَها بِرَدِّ ضَيعَتِها إِلَيها . وظَلَمَ ٱلعَبّاسَ بِظُلمِهِ لَها . وأَمَرَ بِٱلكِتابِ لَها إِلى ٱلعامِلِ بِبَلَدِها أَنْ يُوغِرَ لَها ضَيعَتَها ويُحسِنَ مُعاوَنَتَها وأَمَرَ لَها بِنَفَقَةٍ (لابن عبد ربّه)

المرأة الكريمة

٣١٥ حُكيَ أَنَّ عَبدَ ٱللهِ بنَ عَبّاسٍ كانَ مِن أَكابِرِ ٱلأَجوادِ ٱلكِرامِ فَنَزَلَ مَنزِلًا . وكانَ مُنصَرِفًا مِنَ ٱلشّامِ إِلى ٱلحِجازِ . فَطَلَبَ مِن غِلمانِهِ طَعامًا فَلَم يَجِدوا . فقالَ لِوَكيلِهِ : ٱذهَبْ في هٰذِهِ ٱلبَرِّيَّةِ فَلَعَلَّكَ تَجِدُ راعِيًا أَو حَيًّا فيهِ لَبَنٌ أَو طَعامٌ . فَمَضى بِٱلغِلمانِ فَوَقَعوا عَلى عَجوزٍ في حَيٍّ . فقالوا لَها : عِندَكِ طَعامٌ نَبتاعُهُ . قالَت : أَمّا طَعامُ ٱلبَيعَةِ فَلا ولٰكِن عِندي ما بِهِ حاجَةٌ لي ولِأَبنائي . قالوا : فَأَينَ بَنوكِ . قالَت : في رِعيِ لَهُم وهٰذا أَوانُ أَوبَتِهِم . قالوا : فَما أَعدَدتِ لَكِ ولَهُم . قالَت : خُبزَةٌ تَحتَ

مِلَّتِهَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذٰلِكِ . قَالَتْ : لَا شَيْءَ . قَالُوا : فَجُودِي لَنَا بِشَطْرِهَا . فَقَالَتْ : أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أَجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَخُذُوهُ . فَقَالُوا لَهَا : تَمْنَعِينَ النِّصْفَ وَتَجُودِينَ بِالْكُلِّ . فَقَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إِعْطَاءَ الشَّطْرِ نَقِيصَةٌ . وَإِعْطَاءَ الْكُلِّ كَمَالٌ وَفَضِيلَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَضَعُنِي وَأَمْنَحُ مَا يَرْفَعُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مَنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاؤُوا . فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللهِ وَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهَا عَجِبَ مِنْ ذٰلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : اِحْمِلُوهَا إِلَيَّ السَّاعَةَ فَرَجَعُوا إِلَيْهَا . وَقَالُوا لَهَا : اُنْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا فَإِنَّهُ يُرِيدُكِ . فَقَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ : وَأَيُّكُمْ هٰذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَتُهُ الرَّفِيعَةُ . وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي . قَالُوا : مُكَافَأَتَكِ وَبِرَّكِ . فَقَالَتْ : أَوَّاهِ وَاللهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا بِهَا إِلَى أَنْ أَخَذُوهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ سَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : مِمَّنْ أَنْتِ . قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . قَالَ : فَكَيْفَ حَالُكِ . قَالَتْ : أَسْهَرُ اللَّيْلَ وَأَهْجَعُ أَكْثَرَ اللَّيْلِ وَلَا أَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ . وَلَمْ يَكُ مِنَ الدُّنْيَا فَرَحٌ إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا ادَّخَرْتِ لِبَنِيكِ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ : أَدَّخِرُ لَهُمْ مَا قَالَهُ حَاتِمُ طَيِّئٍ حَيْثُ قَالَ :

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظَلُّهُ ... حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ

فَازْدَادَ عَبْدُ اللهِ مِنْهَا تَعَجُّبًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بَنُوكِ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

كُنْتِ تَصْنَعِينَ . قَالَتْ : يَا هٰذَا لَقَدْ عَظُمَتْ عِنْدَكَ هٰذِهِ الْخُبْزَةُ حَتَّى أَكْثَرْتَ فِيهَا مَقَالَكَ . وَأَشْغَلْتَ بِهَا بَالَكَ . أَلَهُ عَنْ هٰذَا فَإِنَّهُ يُفْسِدُ النَّفْسَ وَيُؤَثِّرُ فِي الْخَسَّةِ . فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : أَحْضِرُوا إِلَيَّ أَوْلَادَهَا فَأَحْضَرُوهُمْ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ رَأَوْا أُمَّهُمْ وَسَلَّمُوا . فَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنِّي لَمْ أَطْلُبْكُمْ وَأُمَّكُمْ لِمَكْرُوهٍ وَإِنَّمَا أُحِبُّ أَنْ أُصْلِحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَأَلُمَّ شَعَثَكُمْ . فَقَالُوا : إِنَّ هٰذَا قَلَّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَنْ سُؤَالٍ أَوْ مُكَافَأَةٍ لِفَضْلٍ قَدَّمَ . قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ وَلٰكِنْ جَاوَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَالِي فِيكُمْ . قَالُوا : يَا هٰذَا نَحْنُ فِي خَفْضِ عَيْشٍ وَكَفَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجِّهْهُ نَحْوَ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ . وَإِنْ أَرَدْتَ النَّوَالَ مُبْتَدَأً مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ فَتَقَدَّمْ فَمَعْرُوفُكَ مَشْكُورٌ وَبِرُّكَ مَقْبُولٌ . فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ ذَاكَ . وَأَمَرَ لَهُمْ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً . فَقَالَتِ الْعَجُوزُ لِأَوْلَادِهَا : لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشِّعْرِ وَأَنَا أَتَبَعُكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ . فَقَالَ الْأَكْبَرُ :

شَهِدَتْ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْمَقَالِ ... وَصِدْقِ الْفِعَالِ وَطِيبِ الْخَبَرْ

وَقَالَ الْأَوْسَطُ :

تَبَرَّعْتَ بِالْجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ ... فَعَالُ كَرِيمٍ عَظِيمِ الْخَطَرْ

وَقَالَ الْأَصْغَرُ :

وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَ ذَا فِعْلُهُ ... بِأَنْ يَسْتَرِقَّ رِقَابَ الْبَشَرْ

وَقَالَتِ الْعَجُوزُ :

فَعَمَّرَكَ ٱللهُ مِنْ مَاجِدٍ ... وَوُقِّيتَ كُلَّ ٱلرَّدَى وَٱلْحَذَرْ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَفَدَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ زَرِيَّ ٱلْحَالِ رَثَّ ٱلْهَيْئَةِ. فَمُنِعَ مِنَ ٱلدُّخُولِ إِلَيْهِ. فَأَقَامَ بِالرَّحْبَةِ أَيَّامًا. فَخَرَجَ مَالِكٌ ذَاتَ يَوْمٍ يُرِيدُ ٱلنُّزْهَةَ حَوْلَ ٱلرَّحْبَةِ. فَعَارَضَهُ ٱلْأَعْرَابِيُّ فَمَنَعَهُ ٱلشُّرْطَةُ أَزْدِرَاءً بِهِ. فَلَمْ يَثْنِ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ أَنَا عَائِذٌ بِكَ مِنْ شُرَطِكَ. فَنَهَاهُمْ عَنْهُ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ حَاجَةٍ. قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَ ٱللهُ ٱلْأَمِيرَ. قَالَ: وَمَا هِيَ. قَالَ: أَنْ تُصْغِيَ إِلَيَّ بِسَمْعِكَ. وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرْفِكَ. وَتُقْبِلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ. ثُمَّ أَنْشَدَ:

بِبَابِكَ دُونَ ٱلنَّاسِ أَنْزَلْتُ حَاجَتِي ... وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى نَحْوَهُ وَأَطُوفُ
وَيَمْنَعُنِي ٱلْحُجَّابُ وَٱللَّيْلُ مُسْبِلٌ ... وَأَنْتَ بَعِيدٌ وَٱلرِّجَالُ صُفُوفُ
يَطُوفُونَ حَوْلِي بِٱلْقُطُوبِ كَأَنَّهُمْ ... ذِئَابٌ جِيَاعٌ بَيْنَهُنَّ خَرُوفُ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا ... تَرُدُّ ٱمْرِءًا وَافَاكَ وَهْوَ لَهِيفُ
وَمَا لِي مِنَ ٱلدُّنْيَا سِوَاكَ وَمَا لِمَنْ ... تَرَكْتُ وَرَائِي مَرْبَعٌ وَمَصِيفُ
وَقَدْ عَلِمَ ٱلْحَيَّانِ قَيْسٌ وَخِنْدِفٌ ... وَمَنْ هُوَ فِيهَا نَازِلٌ وَحَلِيفُ
تَخَطَّيْتُ أَعْنَاقَ ٱلْمُلُوكِ وَرَحْلَتِي ... إِلَيْكَ وَقَدْ أَخْنَتْ عَلَيَّ صُرُوفُ
فَجِئْتُكَ أَبْغِي ٱلْخَيْرَ مِنْكَ فَهَرَّنِي ... بِبَابِكَ مِنْ ضَرْبِ ٱلْعَبِيدِ صُنُوفُ
فَلَا تَجْعَلَنْ لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً ... فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ ٱلْعَبِيدِ مَخُوفُ

فَٱسْتَضْحَكَ مَالِكٌ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ فَرَسِهِ. ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُ: مَنْ يُعْطِيهِ دِرْهَمًا بِدِرْهَمَيْنِ وَثَوْبًا بِثَوْبَيْنِ. فَنُثِرَتِ ٱلدَّرَاهِمُ وَوَقَعَتِ ٱلثِّيَابُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحَيَّرَ ٱلْأَعْرَابِيُّ وَٱخْتَاطَ عَقْلُهُ لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ. فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا ٱلْعَرَبِ. قَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا. قَالَ: فَإِلَى مَنْ. قَالَ: إِلَى ٱللهِ أَنْ يُبْقِيَكَ لِلْعَرَبِ فَإِنَّهَا لَا تَزَالُ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَهَا (للقليوبي)

الخارجي والمعتصم

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عُرِضَ عَلَيْهِ ٱلْمَوْتُ فَلَمْ يَكْتَرِثْ بِهِ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ ٱلْخَارِجِيَّ. كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى ٱلْمُعْتَصِمِ وَرَأَيْتُهُ قَدْ جِيءَ بِهِ أَسِيرًا. فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ مَوْكِبٍ وَقَدْ جَلَسَ ٱلْمُعْتَصِمُ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا وَدَعَا بِٱلسَّيْفِ وَٱلنِّطَعِ. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِ ٱلْمُعْتَصِمُ فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ وَقَدُّهُ وَمَشْيَتُهُ إِلَى ٱلْمَوْتِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِ. فَأَطَالَ ٱلْفِكْرَةَ فِيهِ ثُمَّ ٱسْتَنْطَقَهُ لِيَنْظُرَ فِي عَقْلِهِ وَبَلَاغَتِهِ فَقَالَ: يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرٌ فَأْتِ بِهِ. فَقَالَ: أَمَّا إِذَا أَذِنَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (جَبَرَ ٱللهُ بِهِ صَدْعَ ٱلدِّينِ. وَلَمَّ شَعَثَ ٱلْمُسْلِمِينَ. وَأَخْمَدَ شِهَابَ ٱلْبَاطِلِ. وَأَنَارَ سُبُلَ ٱلْحَقِّ). فَٱلذُّنُوبُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ تُخْرِسُ ٱلْأَلْسِنَةَ وَتَصْدَعُ ٱلْأَفْئِدَةَ. وَأَيْمُ ٱللهِ لَقَدْ عَظُمَتِ ٱلْجَرِيرَةُ وَٱنْقَطَعَتِ ٱلْحُجَّةُ. وَسَاءَ ٱلظَّنُّ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱلْعَفْوُ أَوِ ٱلِٱنْتِقَامُ. وَأَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى ٱلْعَفْوِ وَهُوَ أَلْيَقُ شِيَمِهِ ٱلطَّاهِرَةِ. ثُمَّ أَنْشَدَ:

أَرَى ٱلْمَوْتَ بَيْنَ ٱلسَّيْفِ وَٱلنِّطَعِ كَامِنًا ... يُلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَفَّتُ

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ ٱلْيَوْمَ قَاتِلِي ... وَأَيُّ ٱمْرِئٍ مِمَّا قَضَى ٱللهُ يُفْلِتُ
وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ ... وَسَيْفُ ٱلْمَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنَّنِي ... لَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ شَيْءٌ مُوَقَّتُ
وَلٰكِنَّ خَلْفِي صِبْيَةً قَدْ تَرَكْتُهُمْ ... وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتُ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَنْعَى إِلَيْهِمِ ... وَقَدْ لَطَمُوا تِلْكَ ٱلْخُدُودَ وَصَوَّتُوا
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بِغِبْطَةٍ ... أَذُودُ ٱلرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مُتُّ مُوِّتُوا

قَالَ فَبَكَى ٱلْمُعْتَصِمُ وَقَالَ: إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْرًا. ثُمَّ قَالَ: كَادَ وَٱللهِ يَا تَمِيمُ أَنْ يَسْبِقَ ٱلسَّيْفُ ٱلْعَذَلَ وَقَدْ وَهَبْتُكَ لِلّٰهِ وَلِصِبْيَتِكَ وَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلًا استغاث به وكان خائفًا على دمه فجوزي على احسانه

٣١٨ حَكَى ٱلْعَبَّاسُ حَاجِبُ ٱلْمَنْصُورِ قَالَ: لَمَّا مَلَكَ ٱلْعَبَّاسُ ٱلسَّفَّاحُ ٱلْبِلَادَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَٱسْتَوْلَى عَلَى ٱلْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ جَمِيعِ ٱلْبِلَادِ. فَبَعْدَ مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ تَرَاجَعَ ٱلْمُتَعَصِّبُونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَثَارُوا فِتْنَةً عَظِيمَةً فِي ٱلشَّامِ. وَكَانَ ذٰلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْعَبَّاسِ ٱلسَّفَّاحِ وَتَوْلِيَةِ ٱلْخِلَافَةِ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورِ. فَقَامَ ٱلْأُمَوِيُّونَ عَلَى ٱلْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ. وَبَلَغَنِي ٱلْخَبَرُ وَأَنَا مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لِأَبْتَاعَ شَيْئًا أَنَّهُمْ طَلَبُونِي وَأَدْرَكُونِي. فَهَرَبْتُ وَدَخَلْتُ دَارًا وَجَدْتُ بَابَهَا مَفْتُوحًا فَلَقِيتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْخًا مَهِيبًا جَالِسًا فَقَالَ: مَنِ ٱلرَّجُلُ. فَقُلْتُ: خَائِفٌ عَلَى دَمِهِ وَقَدْ أَدْرَكَهُ ٱلطَّلَبُ. فَقَالَ:

مَرْحَبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ٱدْخُلْ هٰذِهِ ٱلْمَقْصُورَةَ. وَأَشَارَ لِي إِلَى بَابٍ فَدَخَلْتُهُ وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ ٱلْبَابَ وَدَخَلَ حُرَمُهُ وَأَتَانِي مِنْ ثِيَابِهِنَّ وَقَالَ لِي: قُمْ ٱصْلَحْ مَا عَلَيْكَ وَٱلْبَسْ هٰذِهِ ٱلثِّيَابَ لِأَنِّي رَأَيْتُ ٱلطَّلَبَ عَلَيْكَ شَدِيدًا. فَلَبِسْتُ ثِيَابَ ٱلنِّسَاءِ ثُمَّ أَدْخَلَنِي إِلَى مَقْصُورَةِ حَرَمِهِ وَجَعَلَنِي بَيْنَهُنَّ. فَمَا لَبِثْتُ قَلِيلًا أَنْ طُرِقَ بَابُ ٱلدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ ٱلرِّجَالُ فِي طَلَبِي. فَدَخَلَ ٱلرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقِرًّا فِي حَرَمِي. ثُمَّ نَزَلَ وَفَتَحَ ٱلْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَرَنِي. فَقَالُوا لَهُ: نُفَتِّشُ بَيْتَكَ فَقَالَ لَهُمْ: دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذٰلِكَ. فَدَخَلَ ٱلْقَوْمُ وَفَتَّشُوا جَمِيعَ دَارِ ٱلرَّجُلِ إِلَّا ٱلْمَقْصُورَةَ ٱلَّتِي فِيهَا حَرَمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا. فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ ٱلرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرَحُ مِنْ تَأْنِيسِي وَمُجَالَسَتِي وَإِكْرَامِي مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مُقَامِي وَأَنَا أُرِيدُ ٱللَّحَاقَ بِوَلِيِّ نِعْمَتِي. فَقَالَ: أَمَّا إِذَا شِئْتَ فَٱمْضِ مُعَافًى. ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ لِي زَادًا كَثِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ وَقَالَ لِي: كُلُّ ٱحْتِيَاجِ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا أَنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتُعْرَفَ فَأَمْهِلْ إِلَى بَعْدِ ٱلْغُرُوبِ قَبْلَ قَفْلِ أَبْوَابِ ٱلْمَدِينَةِ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ ٱلرَّأْيَ رَأْيُكَ. فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظْلَمْتُ ثُمَّ قُمْتُ وَقَامَ مَعِي وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ ٱلشَّامِ وَسَارَ مَعِي مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى ذٰلِكَ. فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسِرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

ومتعجبا من غرارة إحسانه إلى أن بلغت بغداد ولحقت بأبي جعفر
المنصور. فذات يوم لما قمت صباحا على عادتي الفجر العميق وخرجت
من داري قاصدا دار أمير المؤمنين المنصور وجدت رسوله في الطريق
وهو آت من عنده يدعوني له. فانطلقت مسرعا إلى أن دخلت عليه
فنظر إلي وقال لي: يا عباس. فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: خذ
هذا الرجل واحتفظ به وغدا ائتني به واعلم أنه إن فقد منك فلا
أرضى إلا بعنقك. فقلت سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين. فنظرت
فوجدت أمامه في ناحية المكان شيخا مقيدا في عنقه ويديه ورجليه
فأخذته وخرجت به فأركبته وأتيت به إلى بيتي. ولكثرة حرصي
عليه من أجل وصية المنصور لي دعوت غلماني وأمرتهم ففرشوا لنا
مقصورة وأجلست الرجل فيها وجلست إلى جانبه ووضعت طرف
قيده في رجلي وطبقت عليها. كل ذلك حرصا على الرجل لئلا يهرب
فيروح عنقي. فلما مضى النهار وجاء المغرب أمرت غلماني فجاءوا
بالمائدة وعليها الطعام والشراب. فجلست أنا والرجل فأكلنا ثم غسلنا
أيدينا وجلسنا وقد ضجرت من السكوت لأن الرجل مهموم ويفكر في
شأنه فسألته من أين هو. فقال: من الشام. فقلت: أتعرف فلانا الفلاني
في الشام. فقال: ما أحد أعرف به مني لماذا تسأل عنه. فقلت له: لأني
أسير معروفه وعبد إحسانه. وأخبرته بما عمله معي في زمان فتنة الشام.
فتبسم الرجل فلما تبسم تفرست فيه فإذا هو هو. فطار عقلي من

رأسي فرحا به فجعلت أسأله إلى أن تحققته فقمت حينئذ وكسرت
أقفال قيوده وهو يمتنع من ذلك. ثم أمرت الغلمان فأحضروا له
ثيابا فأبى لبسها فأقسمت عليه فلبسها. ثم قال لي: ما مرادك أن تعمل بي.
قلت: والله أنقذك حتى تصير بعيدا عن بغداد بمراحل وتذهب في
حال سبيلك. فقال: اسمع هذا ليس هو الرأي الصائب لأنك إذا
مضيت إلى أمير المؤمنين من غيري يغضب عليك فيقتلك وأنا معاذ
الله أن أشتري سلامتي بموتك فهذا لا يمكن. فقلت له: وما ذنبك
أنت عند أمير المؤمنين. فقال: اتهموني زورا بأني أنا الذي حركت
الفتن في الشام وأن لبني أمية عندي ودائع. فقلت: حيث إن هذا
فقط جرمك والله إني أهربك وأنا لا أبالي من أمير المؤمنين إن
قتلني وإن عفا عني. فإن إحسانك السالف علي عظيم جدا. فقال لي:
لا تظن أنني أطاوعك على ذلك ولكن عندي رأي أصوب وهو:
دعني محفوظا في مكان وامض قل لأمير المؤمنين ما شئت من هربي.
فإن عفا عنك فعد إلي وأطلقني فأهرب وإن أمر بقتلك فعند ذلك
أكون أنا في أمرك فتحضرني وتفتدي نفسك. وعدا هذا لا أرتضي
معك بشيء (قال) فلما رأيت الرجل أبى إلا هذا وضعته في مقصورة
خفية في داري وأصبحت وأبكرت إلى دار الخلافة. فدخلت فوجدت
المنصور جالسا ينتظرني. فلما رآني وحدي قام عرق الغضب بين
عينيه ورأيت عينيه قد صارتا مثل النار غيظا علي وقال لي: هيه

يا عباس أين الرجل . فقلت له : مهلا يا أمير المؤمنين فإن العفو أقرب للتقوى وهذا رجل جرى لي معه كيت وكيت وفعل معي كذا وكذا من الإحسان العظيم فالتزمت لحق إحسانه أن أطلقه أملا بحلمك واتكالا على كرمك . قال : فرأيت وجه المنصور قد تهلل وقال لي : لحاك الله يا عباس . أيفعل هذا الرجل معك هذا الإحسان العظيم في زمن الفتنة وتطلقه من غير أن تخبرنا بإحسانه لنقوم بإكرامه ونجزيه عما فعله معك من الخير . وجعل المنصور يتأسف ويقرع يديه تحسرا ويقول : أيذهب منا إنسان له علينا إحسان فلا نوفيه بعض ما استوجب عندنا من عظيم معروفه والله إنها لكبرى . فقلت له : يا أمير المؤمنين بأبي وأمي إن الرجل موجود عندي وقد أبى أن يهرب لخوفه على عنقي منك . فقال لي أن أجعله محفوظا في مكان وآتيك فأخبرك أنه هرب فإن عفوت وإلا رجعت فأحضرته . فاستبشر وجه المنصور وضرب برجله الأرض وقال : هذا والله يساوي مقدار سالف معروف الرجل إليك . فامض مسرعا وائتني به مكرما موقرا . فمضيت وأتيت داري ودخلت على الرجل فقبل الأرض شكرا لله تعالى وقام وجاء معي حتى دخلنا على أمير المؤمنين المنصور فحين رآه رحب به وأجلسه بجانبه وأكرمه وخلع عليه خلعا نفيسة وقال له : هذا جزاء إحسانك . وسأله إن شاء أن يوليه الشام فأبى وشكره . وأطلقه المنصور موقرا وأرسل معه الكتب لولاته يأمرهم بإكرامه والقيام بحوائجه (للاتليدي)

الباب الخامس عشر
في الفكاهات

٣١٩ أرسل ابن خروف الشاعر إلى ابن شداد بحلب يطلب منه فروة :

بهاء الدين والدنيا ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الأنواء من جدواك جلد أبي
وفضلك عالم أني خروف بارع الأدب
حلبت الدهر أشطره وفي حلب صفا حلبي

٣٢٠ دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده :

رأيتك في المنام كسوت جلدي ثيابا جمة وقضيت ديني
فكان بنفسجي الخز فيها وساج ناعم فأتم زيني
فصدق يا فدتك الناس رؤيا رأتها في المنام كذاك عيني

فأمر له بذلك وقال : لا تعد فتحلم فأجعل حلمك أضغاثا (للازدي)

سيد العرب

٣٢١ قال الأصمعي : رأيت بالبادية أعرابية تبكي على قبر وتقول :

فمن للسؤال ومن للنوال ومن للمعالي ومن للخطب
ومن للحماة ومن للكماة إذا ما الكماة جثوا للركب
إذا قيل مات أبو مالك فتى المكرمات فريد العرب

فقلت لها : من هذا الذي مات هؤلاء كلهم بموته . فبكت

وَقَالَتْ : هٰذَا أَبُو مَالِكٍ ٱلْحَجَّامُ خَتَنُ أَبِي مَنْصُورٍ ٱلْحَائِكِ . فَقُلْتُ : لَا جَازَاكِ ٱللهُ خَيْرًا . وَٱللهِ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ ٱلْعَرَبِ

ابن المغازلي عند المعتضد

٣٢٢ كَانَ ٱبْنُ ٱلْمَغَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِبَغْدَادَ عَلَى ٱلطُّرُقِ بِأَخْبَارٍ وَنَوَادِرَ مُنَوَّعَةٍ . وَكَانَ نِهَايَةً فِي ٱلْحِذْقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا يَضْحَكَ . قَالَ : وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ ٱلْخَاصَّةِ أُضْحِكُ ٱلنَّاسَ وَأَتَنَادَرُ فَحَضَرَ خَلْفِي بَعْضُ خُدَّامِ ٱلْمُعْتَضِدِ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ ٱلْخَدَمِ فَأَعْجَبَ بِذٰلِكَ وَٱنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتَكَ فَضَحِكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَالَكَ وَيْلَكَ . فَقُلْتُ : عَلَى ٱلْبَابِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِٱبْنِ ٱلْمَغَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتٍ وَنَوَادِرَ تُضْحِكُ ٱلثَّكُولَ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي نِصْفُ جَائِزَتِكَ . فَطَمِعْتُ فِي ٱلْجَائِزَةِ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلَيَّ عِلَّةٌ فَلَوْ أَخَذْتَ سُدْسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ ٱلسَّلَامَ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَنَظَرَ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَاقِفٌ ثُمَّ أَطْبَقَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : أَنْتَ ٱبْنُ ٱلْمَغَازِلِيِّ . قُلْتُ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّكَ تَحْكِي وَتُضْحِكُ بِنَوَادِرَ عَجِيبَةٍ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْحَاجَةُ تَفْتَقُ ٱلْحِيلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَلْتَمِسُ بِرَّهُمْ . فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجَزْتُكَ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَضْحَكْ أَصْفَعْكَ بِذٰلِكَ ٱلْخِرَابِ عَشْرَ صَفَعَاتٍ . فَقُلْتُ فِي

نَفْسِي : مَلِكٌ لَا يَصْفَعُ إِلَّا بِشَيْءٍ لَيِّنٍ خَفِيفٍ . وَٱلْتَفَتُّ فَإِذَا بِجِرَابٍ مِنْ أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ ٱلْبَيْتِ . فَقُلْتُ : مَا أَخْطَأَ ظَنِّي عَسَى فِيهِ رِيحٌ . إِنْ أَضْحَكْتُهُ رَبِحْتُ وَأَخَذْتُ ٱلْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَعَشْرُ صَفَعَاتٍ بِجِرَابٍ مَنْفُوخٍ شَيْءٌ هَيِّنٌ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي ٱلنَّوَادِرِ وَٱلْحِكَايَاتِ وَٱلنَّفَاسَةِ وَٱلْعِبَارَةِ . فَلَمْ أَدَعْ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا مُخَنَّثٍ وَلَا قَاضٍ وَلَا نَبَطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا تُرْكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عَيَّارٍ وَلَا نَادِرَةً وَلَا حِكَايَةً إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى نَفِدَ كُلُّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ رَأْسِي . وَفَتَرْتُ وَبَرَدْتُ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا مِنَ ٱلضَّحِكِ . وَهُوَ مُقَطِّبٌ لَا يَتَبَسَّمُ . فَقُلْتُ : قَدْ نَفِدَ مَا عِنْدِي وَٱللهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . فَقَالَ لِي : هِيهِ مَا عِنْدَكَ . فَقُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ : هَاتِهَا . قُلْتُ : وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشْرَ صَفَعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِّفَهَا لِي فَتُضِيفَ إِلَيْهَا عَشْرَ صَفَعَاتٍ أُخْرَى . فَأَرَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَمَاسَكَ وَقَالَ : نَفْعَلُ . يَا غُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ . ثُمَّ مَدَدْتُ ظَهْرِي فَصُفِعْتُ بِٱلْجِرَابِ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ . وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصًا مُدَوَّرًا فَصُفِعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَنْفَصِلَ رَقَبَتِي وَطَنَّتْ أُذُنَايَ وَٱنْقَدَحَ ٱلشُّعَاعُ مِنْ عَيْنَيَّ . فَصِحْتُ : يَا سَيِّدِي نَصِيحَةً . فَرَفَعَ ٱلصَّفْعَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى ٱلْعِشْرِينَ . فَقَالَ : قُلْ نَصِيحَتَكَ . فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْأَمَانَةِ وَأَقْبَحُ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ . وَقَدْ ضَمِنْتُ لِلْخَادِمِ ٱلَّذِي أَدْخَلَنِي نِصْفَ ٱلْجَائِزَةِ عَلَى قِلَّتِهَا وَكَثْرَتِهَا .

وأمير المؤمنين بفضله وكرمه قد أضعفها . وقد استوفيت نصفي وبقي نصفه . فضحك حتى استلقى واستفزه ما كان سمع . فتحامل له فما زال يضرب بيديه الأرض ويفحص برجليه ويمسك بمراق بطنه حتى إذا سكن قال : علي به فأتي به . وأمر بصفعه وكان طويلا . فقال : وما جنايتي . فقلت له : هذه جائزتي وأنت شريكي فيها . وقد استوفيت نصيبي منها وبقي نصيبك . فلما أخذه الصفع وطرق قفاه الوقع أقبلت أولمه وأقول له : قلت لك إني ضعيف معيل وشكوت إليك الحاجة والمسكنة وأقول لك : خذ ربعها أو سدسها وأنت تقول لا آخذ إلا نصفها . ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جائزته الصفع وهبتها لك كلها . فعاد إلى الضحك من عتابي للخادم . فلما استوفى نصيبه أخرج صرة فيها خمسمائة درهم وقال : هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت شريكا لك . فقلت : وأين الأمانة . فقسمها بيننا وانصرفت (للشريشي)

ابرهيم الموصلي وابرهيم المهدي عند الرشيد

٣٢٣ قال الرشيد لإبرهيم بن المهدي وإبرهيم الموصلي وابن جامع : باكروني غدا وليكن كل واحد قد قال شعرا إن كان يقدر أن يقوله وغنى فيه لحنا . وإن لم يكن شاعرا غنى في شعر غيره . قال إبرهيم بن المهدي : فمت في السحر وجهدت أن أقدر على شيء أصنعه فلم يتفق لي . فلما خفت طلوع الفجر دعوت بغلماني وقلت لهم :

إني أريد أن أمضي إلى موضع لا يشعر بي أحد حتى أصير إليه . وكانوا في زبيديات لي يبيتون فيها على باب داري . فقمت فركبت في إحداها وقصدت دار إبرهيم الموصلي . وكان قد حدثني أنه إذا أراد الصنعة لم ينم حتى يدبر ما يحتاج إليه . واعتمد على خشبة له فلم يزل يقرع عليها حتى يفرغ من الصوت ويرسخ في قلبه . فجئت حتى وقفت تحت داره فإذا هو يردد صوتا أعده . فما زلت واقفا أستمع منه الصوت حتى أخذته . ثم عدونا إلى الرشيد فلما جاسنا للشرب خرج الخادم إلي فقال : يقول لك أمير المؤمنين يا ابن أمي غنني . فاندفعت فغنيت هذا الصوت والموصلي في الموت حتى فرغت منه . فشرب عليه وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم . فوثب إبرهيم الموصلي فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أن الشعر له قاله البارحة وغنى فيه ما سبقه إليه أحد . فقال ابن المهدي : يا سيدي فمن أين هو لي أنا لولا كذبه وبهته . وإبرهيم يضطرب ويصيح . فلما قضيت أربا من العبث به قلت للرشيد : الحق أحق أن يتبع وصدقته . فقال للموصلي : أما أخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى رده . وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضا مما جرى عليه . فأمر له بها فحملت إليه (الاغاني)

٣٢٤ ذكر المبرد أن المهلب بن أبي صفرة قال يوما وقد اشتدت الحرب بينه وبين الخوارج لأبي علقمة اليحمدي : أمددنا بخيل اليحمد . وقل لهم : أعيرونا جماجمكم ساعة . فقال : أيها الأمير إن

جَمَاجِمُهُمْ لَيْسَتْ بِفَخَّارٍ فَتُعَارَ . وَأَعْنَاقُهُمْ لَيْسَتْ بِكُرَّاثٍ فَتُنْبَتَ . وَقَالَ :

يَقُولُ لِي ٱلْأَمِيرُ بِغَيْرِ جُرْمٍ ... تَقَدَّمْ حِينَ جَدَّ بِنَا ٱلْمِرَاسُ
فَمَالِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ ... وَمَالِي غَيْرُ هٰذَا ٱلرَّاسِ رَاسُ

ثقيلٌ وظريفٌ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ ٱلثُّقَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ ٱلظُّرَفَاءِ حَمَلًا ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ حَتَّى أَبْرَمَهُ . فَقَالَ فِيهِ :

يَا مُبْرِمًا أَهْدَى حَمَلْ ... خُذْ وَٱنْصَرِفْ أَلْفَيْ جَمَلْ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا ... قُلْتُ زَبِيبٌ وَعَسَلْ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا ... قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلْ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا ... قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطَلْ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ ... قُلْتُ حُلِيٌّ وَحُلَلْ
قَالَ وَمَا سِلَاحُهُمْ ... قُلْتُ سُيُوفٌ وَأَسَلْ
قَالَ عَبِيدٌ لِي إِذَا ... قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوَلْ
قَالَ بِهٰذَا فَٱكْتُبُوا ... إِذَنْ عَلَيْكُمْ لِي سِجِلْ
قُلْتُ لَهُ أَلْفَيْ سِجِلْ ... فَٱضْمَنْ لَنَا أَنْ تَرْتَحِلْ
قَالَ تُرَى أَضْجَرْتُكُمْ ... قُلْتُ أَجَلْ ثُمَّ أَجَلْ
قَالَ وَقَدْ أَبْرَمْتُكُمْ ... قُلْتُ لَهُ ٱلْأَمْرُ جَلَلْ
قَالَ وَقَدْ أَثْقَلْتُكُمْ ... قُلْتُ لَهُ فَوْقَ ٱلثِّقَلْ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ ... قُلْتُ ٱلْعَجَلْ ثُمَّ ٱلْعَجَلْ

يَا كَوْكَبَ ٱلشُّؤْمِ وَمَنْ أَرْبَى عَلَى نَحْسِ زُحَلْ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلْ

(لابن عبد ربّه)

سنان بن ثابت والطبيب القرويّ

٣٢٦ مِنْ ظَرِيفِ مَا جَرَى لِسِنَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي ٱلطِّبِّ فِي ٱمْتِحَانِ ٱلْأَطِبَّاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ ٱلْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذٰلِكَ أَنَّهُ أُحْضِرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِيحُ ٱلْبَشَرَةِ وَٱلْهَيْئَةِ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ . فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنْظَرِهِ وَرِفْعَتِهِ . ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ : قَدِ ٱشْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ ٱلشَّيْخِ شَيْئًا أَحْفَظُهُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْخَهُ فِي ٱلصِّنَاعَةِ . فَأَخْرَجَ ٱلشَّيْخُ مِنْ كُمِّهِ قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَانِيرُ صَالِحَةٌ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ : وَٱللّٰهِ مَا أُحْسِنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأَ شَيْئًا جُمْلَةً . وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَائِرُهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي . فَضَحِكَ سِنَانٌ وَقَالَ : عَلَى شَرِيطَةِ أَنَّكَ لَا تَهْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَصْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهِلٍ إِلَّا بِمَا قَرُبَ مِنَ ٱلْأَمْرَاضِ . قَالَ ٱلشَّيْخُ : هٰذَا مَذْهَبِي مُذْ كُنْتُ مَا تَعَدَّيْتُ ٱلسَّكَنْجَبِينَ وَٱلْجُلَّابَ . وَٱنْصَرَفَ . وَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ شَابٌّ حَسَنُ ٱلْبِزَّةِ مَلِيحُ ٱلْوَجْهِ ذَكِيٌّ فَنَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ : عَلَى مَنْ قَرَأْتَ قَالَ : عَلَى أَبِي . قَالَ : وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ . قَالَ : ٱلشَّيْخُ ٱلَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِٱلْأَمْسِ . قَالَ : نِعْمَ ٱلشَّيْخُ . وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : لَا تَتَجَاوَزْهُ . وَٱنْصَرِفْ مُصَاحَبًا (لابي الفرج)

حذاء ابي القاسم الطنبوري

٣٢٧ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَغْدَادَ رَجُلٌ اسْمُهُ أَبُو الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيُّ. وَكَانَ لَهُ مَدَاسٌ صَارَ لَهُ وَهُوَ يَلْبَسُهُ سَبْعَ سِنِينَ. وَكَانَ كُلَّمَا تَقَطَّعَ مِنْهُ مَوْضِعٌ جُعِلَ مَكَانَهُ رُقْعَةً إِلَى أَنْ صَارَ فِي غَايَةِ الثِّقَلِ وَصَارَ النَّاسُ يَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثَلَ. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا سُوقَ الزُّجَاجِ. فَقَالَ لَهُ سِمْسَارٌ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ تَاجِرٌ مِنْ حَلَبَ وَمَعَهُ حِمْلُ زُجَاجٍ مُذَهَّبٍ قَدْ كَسَدَ فَاشْتَرِهِ مِنْهُ. وَأَنَا أَبِيعُهُ لَكَ بَعْدَ هٰذِهِ الْمُدَّةِ فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ. فَمَضَى وَاشْتَرَاهُ بِسِتِّينَ دِينَارًا. ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ إِلَى سُوقِ الْعَطَّارِينَ فَصَادَفَهُ سِمْسَارٌ آخَرُ وَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ مِنْ نَصِيبِينَ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَاءُ وَرْدٍ فِي غَايَةِ الطِّيبَةِ وَمُرَادُهُ أَنْ يُسَافِرَ. فَلِعَجَلَةِ سَفَرِهِ يُمْكِنُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِيصًا وَأَنَا أَبِيعُهُ لَكَ فِيمَا بَعْدُ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ. فَمَضَى أَبُو الْقَاسِمِ وَاشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِّينَ دِينَارًا أُخْرَى وَمَلَأَهُ فِي الزُّجَاجِ الْمُذَهَّبِ. وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ رُفُوفِ بَيْتِهِ فِي الصَّدْرِ. ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَغْتَسِلُ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هٰذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ اللهِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ: الْحَقُّ مَعَكَ فَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ. ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ رَأَى بِجَانِبِ مَدَاسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ اشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبِسَهُ

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ. وَكَانَ ذٰلِكَ الْمَدَاسُ الْجَدِيدُ مَدَاسَ الْقَاضِي جَاءَ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَّامِ وَوَضَعَ مَدَاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحَمَّ. فَلَمَّا خَرَجَ فَتَّشَ عَلَى مَدَاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ: أَيَا إِخْوَانَنَا أَتَرَوْنَ أَنَّ الَّذِي لَبِسَ مَدَاسِي لَمْ يَتْرُكْ عِوَضَهُ شَيْئًا. فَفَتَّشُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى مَدَاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ. فَأَرْسَلَ الْقَاضِي خَدَمَهُ فَكَبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ. فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيبًا لَهُ وَحَبَسَهُ مُدَّةً وَغَرَّمَهُ بَعْضَ الْمَالِ وَأَطْلَقَهُ. فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْحَبْسِ وَأَخَذَ مَدَاسَهُ وَهُوَ غَضْبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى دِجْلَةَ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَغَاصَ فِي الْمَاءِ. فَأَتَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَلَعَ فِيهَا الْمَدَاسُ. فَلَمَّا رَآهُ الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ: هٰذَا مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي دِجْلَةَ. فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ. فَنَظَرَ فَرَأَى طَاقَةً نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ الْبَيْتِ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى الْبَيْتِ فَسَقَطَ عَلَى الرَّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاءُ الْوَرْدِ. فَوَقَعَ الزُّجَاجُ وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ. فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذٰلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ: وَافَقْرَاهُ أَفْقَرَنِي هٰذَا الْمَدَاسُ الْمَلْعُونُ. ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيَحْفِرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيَرْتَاحَ مِنْهُ. فَسَمِعَ الْجِيرَانُ حِسَّ الْحَفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْقُبُ عَلَيْهِمْ. فَرَفَعُوا الْأَمْرَ إِلَى الْحَاكِمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَاعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تَسْتَحِلُّ

أَنْ تَنْقُبَ عَلَى جِيرَانِكَ حَائِطَهُمْ وَحَبَسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضَ
الْمَالِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانُ مِنَ الْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ
إِلَى كَنِيفِ الْخَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَّ قَصَبَةَ الْكَنِيفِ فَفَاضَ وَضَجِرَ
النَّاسُ مِنَ الرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ . فَفَتَّشُوا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
فَتَأَمَّلُوهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِي وَأَخْبَرُوهُ
بِمَا وَقَعَ . فَأَحْضَرَ الْوَالِي أَبَا الْقَاسِمِ وَوَبَّخَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلِيحُ
الْكَنِيفِ فَغَرِمَ جُمْلَةَ مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِي مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيبًا لَهُ
وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُغْتَاظٌ مِنْهُ : وَاللهِ
مَا عُدْتُ أُفَارِقُ هٰذَا الْمَدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
حَتَّى يَجِفَّ . فَرَآهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ رُمَّةً فَحَمَلَهُ وَعَبَرَ بِهِ إِلَى سَطْحٍ آخَرَ
فَسَقَطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ فَأَلَمَّهُ وَجَرَحَهُ جُرْحًا بَلِيغًا . فَنَظَرُوا
وَفَتَّشُوا لِمَنِ الْمَدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَرَفَعُوا الْأَمْرَ
إِلَى الْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِالْعِوَضِ وَالْقِيَامِ بِلَوَازِمِ الْمَجْرُوحِ مُدَّةَ مَرَضِهِ .
فَنَفِدَ عِنْدَ ذٰلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِي وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِي أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هٰذَا الْمَدَاسِ مُبَارَأَةً
شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنَّ كُلًّا مِنَّا بَرِيٌّ مِنْ
صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا يَفْعَلْهُ هٰذَا الْمَدَاسُ لَا أُؤَاخَذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَضَحِكَ الْقَاضِي مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لطائف العرب)

أَلْبَابُ السَّادِسَ عَشَرَ
فِي النَّوَادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ الْحَسَدَةِ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنِ مُقْلَةَ الَّذِي
انْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بِعُلُوِّ الْخَطِّ وَحُسْنِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ غَدَرَ الْمَلِكَ فِي بَعْضِ
الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدِهِ فَلَمَّا فَعَلَ بِهِ هٰذَا الْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ
وَانْصَرَفَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْمُحِبُّونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .
فَتَبَيَّنَ لِلْمَلِكِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ الَّذِي وَشَى بِابْنِ
مُقْلَةَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانُهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا
لَهُ يُهَنُّونَهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَعْتَذِرُونَ . فَأَنْشَدَ :

تَحَالَفَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ فَحَيْثُ كَانَ الزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِيَ الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَانْكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا

وَمَكَثَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى بَقِيَّةَ عُمُرِهِ . وَلَمْ يَتَغَيَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ

معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ

٣٢٩ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ مِنْ إِشْبِيلِيَةَ قَاصِدًا بِلَادَ
الْأَدْفُنْشِ . فَنَزَلَ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٍ تُسَمَّى وَبْذَ . وَذٰلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ
أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَدْفُنْشِ وَوُجُوهَ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنِ اشْتَدَّ الْحِصَارُ وَبَرَّحَ بِهِمُ الْعَطَشُ . فَأَرْسَلُوا إِلَى أَمِيرِ

ٱلْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُونَ ٱلْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا لَهُ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ. فَأَبَى ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَطْمَعَهُ فِيهِمْ مَا نُقِلَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ عَطَشِهِمْ وَكَثْرَةِ مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ. فَلَمَّا يَئِسُوا مِمَّا عِنْدَهُ سُمِعَ لَهُمْ بَعْضَ ٱللَّيَالِي لَغَطٌ عَظِيمٌ وَجَلَبَةُ أَصْوَاتٍ. وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَنَاجِيلَهُمْ وَٱجْتَمَعَ قِسِّيسُوهُمْ وَرُهْبَانُهُمْ يَدْعُونَ وَيُؤَمِّنُ بَاقِيهِمْ. فَجَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ ٱلْقِرَبُ مَلَأَ مَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلصَّهَارِيجِ. فَشَرِبُوا وَٱرْتَوَوْا وَتَقَوَّوْا عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ. فَٱنْصَرَفَ عَنْهُمُ ٱلْخَلِيفَةُ رَاجِعًا إِلَى إِشْبِيلِيَةَ بَعْدَ أَنْ هَادَنَ ٱلْأَدْفُنْشَ (للمراكشي)

مشهد الحسين

٣٣٠ وَمِنْ عَجَائِبِ مَشَاهِدِ مِصْرَ ٱلْمَشْهَدُ ٱلْعَظِيمُ ٱلشَّأْنِ ٱلَّذِي بِٱلْقَاهِرَةِ حَيْثُ رَأْسُ ٱلْحُسَيْنِ. وَهُوَ فِي تَابُوتٍ مِنْ فِضَّةٍ مَدْفُونٌ قَدْ بُنِيَ عَلَيْهِ بُنْيَانٌ يَقْصُرُ ٱلْوَصْفُ عَنْهُ. مُجَلَّلٌ بِأَنْوَاعِ ٱلدِّيبَاجِ مَحْفُوفٌ بِأَمْثَالِ ٱلْعَمَدِ ٱلْكِبَارِ شَمْعًا بَيْضَاءَ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ فِي أَنْوَارِ ٱلْفِضَّةِ. وَحُفَّ أَعْلَاهُ كُلُّهُ بِأَمْثَالِ ٱلتَّفَافِيحِ ذَهَبًا فِي مَصْنَعِ شِبْهِ ٱلرَّوْضَةِ. يَبْهَرُ ٱلْأَبْصَارَ حُسْنًا وَجَمَالًا. وَفِيهِ أَنْوَاعُ ٱلرُّخَامِ ٱلْمُجَزَّعِ ٱلْغَرِيبِ ٱلصَّنْعَةِ ٱلْبَدِيعِ ٱلتَّرْصِيعِ مَا لَا يَتَخَيَّلُهُ ٱلْمُتَخَيِّلُونَ. وَٱلْمَدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ مَسْجِدٍ عَلَى مِثَالِهَا فِي ٱلتَّأَنُّقِ. حِيطَانُهُ كُلُّهَا رُخَامٌ. وَأَغْرَبُ مَا فِيهِ حَجَرٌ مَوْضُوعٌ فِي ٱلْجِدَارِ ٱلَّذِي يَسْتَقْبِلُهُ ٱلدَّاخِلُ شَدِيدُ ٱلسَّوَادِ وَٱلْبَصِيصِ يَصِفُ ٱلْأَشْخَاصَ كُلَّهَا كَأَنَّهُ ٱلْمِرْآةُ ٱلْهِنْدِيَّةُ. وَلِتَزَاحُمِ ٱلنَّاسِ عَلَى ٱلْقَبْرِ وَٱنْكِبَابِهِمْ عَلَيْهِ وَتَمَسُّحِهِمْ بِهِ وَبِٱلْكِسْوَةِ ٱلَّتِي عَلَيْهِ مَرْأًى هَائِلٌ (للشريشي)

٣٣١ نُسْخَةُ مُبَايَعَةِ مِلْكٍ كَتَبَهَا ٱلشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ ٱلْوَرْدِيِّ نَظْمًا:

بِٱسْمِ إِلٰهِ ٱلْخَلْقِ هٰذَا مَا ٱشْتَرَى ... مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ سَنْقَرَا
مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ ٱلْأَزْرَقِ ... كِلَاهُمَا قَدْ عُرِفَا مِنْ جِلَّقِ
فَبَاعَهُ قِطْعَةَ أَرْضٍ وَاقِعَهْ ... بِكُورَةِ ٱلْغُوطَةِ وَهْيَ جَامِعَهْ
لِشَجَرٍ مُخْتَلِفِ ٱلْأَجْنَاسِ ... وَٱلْأَرْضُ فِي ٱلْبَيْعِ مَعَ ٱلْغِرَاسِ
وَذَرْعُ هٰذِي ٱلْأَرْضِ بِٱلذِّرَاعِ ... عِشْرُونَ فِي ٱلطُّولِ بِلَا نِزَاعِ
وَذَرْعُهَا فِي ٱلْعَرْضِ مِنْهَا عَشَرَهْ ... وَهْوَ ذِرَاعٌ بِٱلْيَدِ ٱلْمُعْتَبَرَهْ
وَحَدُّهَا مِنْ قِبْلَةٍ مِلْكُ ٱلتَّقِي ... وَحَائِزُ ٱلرُّومِيِّ حَدُّ ٱلْمَشْرِقِ
وَمِنْ شِمَالٍ مِلْكُ أَوْلَادِ عَلِي ... وَٱلْغَرْبُ مِلْكُ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلِ
بَيْعًا صَحِيحًا لَازِمًا شَرْعِيًّا ... ثُمَّ شِرَاءً قَاطِعًا مَرْعِيًّا
لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ فَيُبْطِلُهْ ... وَلَا خِيَارَ لَهُمَا يُدَاخِلُهْ
بِثَمَنٍ مَبْلَغُهُ مِنْ فِضَّهْ ... دَرَاهِمٌ جَيِّدَةٌ مُبَيَّضَهْ
قَبَضَهَا ٱلْبَائِعُ مِنْهُ وَافِيَهْ ... وَعَادَتِ ٱلذِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَهْ
وَسَلَّمَ ٱلْأَرْضَ إِلَى مَنِ ٱشْتَرَى ... فَقَبَضَ ٱلْقِطْعَةَ مِنْهُ وَجَرَى
بَيْنَهُمَا بِٱلْبَدَنِ ٱلتَّفَرُّقُ ... وَمَا بَقِي لِأَحَدٍ تَعَلُّقُ
وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِذَاكَ فِي ... سَابِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ ٱلْأَشْرَفِ
مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَهْ ... مِنْ بَعْدِ خَمْسَةٍ تَلِي وَعَشَرَهْ

مروءة اسماعيل الهزرجي

٣٣٢ نَازَعَ ٱلْخَلِيفَةَ عَبْدَ ٱلْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِهِ قَوْمٌ مِنْ قَرَابَةِ ٱبْنِ تُومَرْتَ. وَٱنْتَهَوْا

فِي ذٰلِكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيَهُمْ وَرَأْيِي مَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى
أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خِبَاءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ. وَظَنُّوا أَنَّ ذٰلِكَ يُخْفِي
مِنْ أَمْرِهِمْ. وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا فُقِدَ وَلَمْ يُعْلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ الْأَمْرُ
إِلَيْهِمْ. لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذْ كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ وَقَرَابَتَهُ وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِ.
فَأُعْلِمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذٰلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ تُومَرْتَ مِنْ خِيَارِهِمْ
اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى الْهُزَرْجِيُّ. فَأَتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَجَمِيعُ حَوَائِجِكَ
عِنْدَنَا مَقْضِيَّةٌ. قَالَ: أَنْ تَخْرُجَ عَنْ هٰذَا الْخِبَاءِ وَتَدَعَنِي أَبِيتُ فِيهِ وَلَمْ
يُعْلِمْهُ بِمُرَادِ الْقَوْمِ. فَظَنَّ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِبُهُ الْخِبَاءَ لِأَنَّهُ
أَعْجَبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ. فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
أُولٰئِكَ الْقَوْمُ فَتَوَلَّوْهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى بَرَدَ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
يُصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَرُّوا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مُرَّاكِشَ وَرَامُوا الْقِيَامَ
بِهَا. فَأَتَوُا الْبَوَّابِينَ الَّذِينَ عَلَى الْقُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمُ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ.
فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِمْ وَفَرَّ بَاقِيهِمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ الْقُصُورِ.
ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةِ الْعَبِيدِ فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا
شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ. ثُمَّ إِنَّ الْعَبِيدَ غَلَبُوهُمْ
عَلَى أَمْرِهِمْ. وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَاثَرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أَخَذُوا قَبْضًا بِالْيَدِ
فَقَيَّدُوا وَجُعِلُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ إِلَى
مُرَّاكِشَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا. وَقُتِلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ هَرْغَةَ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ

قَادِحُونَ فِي مُلْكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ. وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ الْمُتَقَدِّمُ
الذِّكْرِ فِي الْخِبَاءِ مَقْتُولًا عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذٰلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرِطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّمَاسُكِ إِلَى حَيِّزِ الْجَزَعِ.
فَأَمَرَ بِغَسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَدَفَنَ (لعبد الواحد المراكشي)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ امْرَأَةُ حَاتِمٍ: أَصَابَتْنَا سَنَةٌ أَقْشَعَرَّتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَاغْبَرَّ أُفُقُ السَّمَاءِ. وَرَاحَتِ الْإِبِلُ حَدَابِيرَ. وَضَنَّتِ الْمَرَاضِعُ
عَلَى أَوْلَادِهَا فَمَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ وَأَيْقَنَّا بِالْهَلَاكِ. فَوَاللّٰهِ إِنَّا لَفِي لَيْلَةٍ صِنَّبِرٍ
بَعِيدَةِ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ إِذْ تَضَاغَى صَبِيَّتُنَا جُوعًا عَبْدُ اللّٰهِ وَعَدِيٌّ وَسَفَّانَةُ.
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيَّيْنِ وَقُمْتُ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ فَوَاللّٰهِ مَا سَكَتُوا إِلَّا بَعْدَ
هَدْأَةٍ مِنَ اللَّيْلِ. وَأَقْبَلَ يُعَلِّلُنِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَتَنَاوَمْتُ.
فَلَمَّا تَهَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كِسَرَ الْبَيْتِ ثُمَّ عَادَ. فَقَالَ: مَنْ
هٰذَا. قَالَتْ: جَارَتُكَ فُلَانَةُ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صِبْيَةٍ يَتَعَاوَوْنَ عُوَاءَ
الذِّئَابِ فَمَا وَجَدْتُ مُعَوَّلًا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِيٍّ. فَقَالَ: أَعْجِلْهِمْ فَقَدْ
أَشْبَعَكِ اللّٰهُ وَإِيَّاهُمْ. فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمْشِي جَنَائِبَهَا
أَرْبَعَةٌ كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ حَوْلَهَا رِئَالُهَا. فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَأَ لَبَّتَهُ بِمُدْيَةٍ
فَخَرَّ. ثُمَّ كَشَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدْيَةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا: شَأْنَكِ.
فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اللَّحْمِ نَشْوِي وَنَأْكُلُ. ثُمَّ جَعَلَ يَمْشِي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ بَيْتًا
بَيْتًا فَيَقُولُ: هُبُّوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ. فَاجْتَمَعُوا وَالْتَفَعَ فِي ثَوْبِهِ

نَاحِيَةً يَنْظُرُ إِلَيْنَا . فَلَا وَاللهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مُزْعَةً وَإِنَّهُ لَأَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا . فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْفَرَسِ إِلَّا عَظْمٌ وَحَافِرٌ . فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ :

مَهْلًا نَوَارُ أَقِلِّي اللَّوْمَ وَالْعَذَلَا ... وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ فَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مُهْلِكَهُ ... مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجِبَلَا
يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً ... إِنَّ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا

إيثار ابن مامة الايادي

٣٣٤ خَرَجَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِيُّ فِي قَفْلٍ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّمِرِ . وَكَانَ ذٰلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَشَحَّ مَاؤُهُمْ فَكَانُوا يَتَصَافَنُونَ الْمَاءَ . وَذٰلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْقَعْبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبَّ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ بِقَدْرِ مَا يَغْمُرُ الْحَصَاةَ . فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْرَ مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ . وَلَمَّا نَزَلُوا لِلشُّرْبِ وَدَارَ الْقَعْبُ بَيْنَهُمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى كَعْبٍ رَأَى الرَّجُلُ النَّمَرِيُّ يَحُدُّ نَظَرَهُ إِلَيْهِ . فَآثَرَهُ بِمَائِهِ وَقَالَ لِلسَّاقِي : اسْقِ أَخَاكَ النَّمَرِيَّ فَشَرِبَ النَّمَرِيُّ نَصِيبَ كَعْبٍ مِنَ الْمَاءِ ذٰلِكَ الْيَوْمَ . ثُمَّ نَزَلُوا مِنَ الْغَدِ مَنْزِلَهُمُ الْآخَرَ فَتَصَافَنُوا بَقِيَّةَ مَائِهِمْ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَنَظَرِهِ أَمْسِ . وَقَالَ كَعْبٌ كَقَوْلِهِ أَمْسِ . وَارْتَحَلَ الْقَوْمُ وَقَالُوا : يَا كَعْبُ ارْتَحِلْ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنُّهُوضِ وَكَانُوا قَدْ قَرُبُوا مِنَ الْمَاءِ . فَقَالُوا لَهُ : رِدْ يَا كَعْبُ إِنَّكَ وَارِدٌ . فَعَجَزَ عَنِ الْجَوَابِ . وَلَمَّا أَيِسُوا مِنْهُ خَيَّمُوا عَلَيْهِ بِثَوْبٍ يَمْنَعُهُ مِنَ السَّبُعِ أَنْ يَأْكُلَهُ . وَتَرَكُوهُ مَكَانَهُ فَمَاتَ . فَذَهَبَ ذٰلِكَ مَثَلًا فِي تَفْضِيلِ الرَّجُلِ صَاحِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ (اخبار العرب لابن قتيبة)

صنم سومناة

٣٣٥ مِنْ عَجَائِبِ مَدِينَةِ سُومَنَاةَ هَيْكَلٌ فِيهِ صَنَمٌ كَانَ وَاقِفًا فِي وَسَطِ الْبَيْتِ . لَا بِقَائِمَةٍ مِنْ أَسْفَلِهِ تَدْعَمُهُ وَلَا بِعَلَاقَةٍ مِنْ أَعْلَاهُ تُمْسِكُهُ . وَكَانَ أَمْرُ هٰذَا الصَّنَمِ عَظِيمًا عِنْدَ الْهِنْدِ مَنْ رَآهُ وَاقِفًا فِي الْهَوَاءِ تَعَجَّبَ . وَكَانَتِ الْهِنْدُ يَحُجُّونَ إِلَيْهِ وَيَحْمِلُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْهَدَايَا كُلَّ شَيْءٍ نَفِيسٍ وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوُقُوفِ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ قَرْيَةٍ . وَكَانَتْ سَدَنَتُهُ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ لِعِبَادَتِهِ وَخِدْمَةِ الْوُفُودِ . وَأَمَّا الْبَيْتُ فَكَانَ مَبْنِيًّا عَلَى سِتٍّ وَخَمْسِينَ سَارِيَةً مِنَ السَّاجِ الْمُصَفَّحِ بِالرَّصَاصِ . وَكَانَتْ قُبَّةُ الصَّنَمِ مُظْلِمَةً وَضَوْءُهَا كَانَ مِنْ قَنَادِيلِ الْجَوْهَرِ الْفَائِقِ . وَعِنْدَهُ سِلْسِلَةُ ذَهَبٍ كُلَّمَا مَضَتْ طَائِفَةٌ مِنَ اللَّيْلِ حُرِّكَتْ فَتُصَوِّتُ الْأَجْرَاسُ فَيَقُومُ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ لِلْعِبَادَةِ . حُكِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ يَمِينَ الدَّوْلَةِ لَمَّا غَزَا بِلَادَ الْهِنْدِ وَرَأَى ذٰلِكَ الصَّنَمَ أَعْجَبَهُ أَمْرُهُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَاذَا تَقُولُونَ فِي أَمْرِ هٰذَا الصَّنَمِ وَوُقُوفِهِ فِي الْهَوَاءِ بِلَا عِمَادٍ وَعَلَاقَةٍ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ عُلِّقَ بِعَلَاقَةٍ وَأُخْفِيَتِ الْعَلَاقَةُ عَنِ النَّظَرِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ : إِنِّي أَظُنُّ أَنَّ الْقُبَّةَ مِنْ حَجَرِ الْمَغْنَاطِيسِ وَالصَّنَمَ مِنَ الْحَدِيدِ . وَالصَّانِعَ بَالَغَ فِي تَدْقِيقِ صَنْعَتِهِ وَرَاعَى تَكَافُؤَ قُوَّةِ الْمَغْنَاطِيسِ مِنَ الْجَوَانِبِ . فَوَافَقَهُ قَوْمٌ وَخَالَفَهُ آخَرُونَ . فَلَمَّا رُفِعَ حَجَرَيْنِ مِنْ رَأْسِ الْقُبَّةِ مَالَ الصَّنَمُ إِلَى أَحَدِ الْجَوَانِبِ . فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ الْأَحْجَارَ وَالصَّنَمُ يَنْزِلُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ (للقزويني)

أَلْبَابُ ٱلسَّابِعَ عَشَرَ
فِي ٱلْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ ٱلصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ ٱلْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ. ٱلسَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ ٱلرِّجَالِ فَأَوْحِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي إِيحَاشِهِمْ أُنْسُكَ. وَٱهْجُرْ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتْ عَنْهُ نَفْسُكَ. رُبَّمَا أَسْفَرَ ٱلسَّفَرُ عَنِ ٱلظَّفَرِ. وَتَعَذَّرَ فِي ٱلْوَطَنِ قَضَاءُ ٱلْوَطَرِ (اليواقيت للثعالبي)

أَنْشَدَ شُكْرُ ٱلْعَلَوِيُّ:

قَوِّضْ خِيَامَكَ عَنْ أَرْضٍ تُهَانُ بِهَا ... وَجَانِبِ ٱلذُّلَّ إِنَّ ٱلذُّلَّ يُجْتَنَبُ
وَٱرْحَلْ إِذَا كَانَ فِي ٱلْأَوْطَانِ مَنْقَصَةٌ ... فَٱلْمَنْدَلُ ٱلرَّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطَبُ

قَالَ آخَرُ:

إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا ... وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ ٱلْأَهْلِ فِي حُرَقِ
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهَالِيهِ بِبَلْدَتِهِ ... فَٱلِٱغْتِرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ ٱلْخُلُقِ
أَلْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ ٱلْأَحْجَارِ مُنْطَرِحًا ... فِي أَرْضِهِ كَٱلثَّرَى يَبْدُو عَلَى ٱلطُّرُقِ
لَمَّا تَغَرَّبَ نَالَ ٱلْعِزَّ أَجْمَعَهُ ... وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ ٱلْجَفْنِ وَٱلْحَدَقِ

قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ ... تَرَحَّلْ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بِدَارِ ذُلٍّ ... وَأَرْضُ ٱللهِ مُتَّسِعٌ فَضَاهَا

فَذَاكَ مِنَ ٱلرِّجَالِ قَلِيلُ عَقْلٍ ... بَلِيدٌ لَيْسَ يَعْلَمُ مَا طَحَاهَا
فَنَفْسَكَ فُزْ بِهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا ... وَخَلِّ ٱلدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ ... وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا

٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ ٱلْكُتَّابِ: جَزَى ٱللهُ ٱلْفِرَاقَ خَيْرًا فَمَا هُوَ إِلَّا زَفْرَةٌ وَعَبْرَةٌ. ثُمَّ ٱعْتِصَامٌ وَتَوَكُّلٌ. ثُمَّ تَأْمِيلٌ وَتَوَقُّعٌ. وَقَبَّحَ ٱللهُ ٱلتَّلَاقِيَ. فَإِنَّمَا هُوَ مَسَرَّةُ لَحْظَةٍ وَمَسَاءَةُ أَيَّامٍ. وَٱبْتِهَاجُ سَاعَةٍ وَٱكْتِئَابُ زَمَانٍ. وَإِنِّي لَا أَكْرَهُ ٱلِٱجْتِمَاعَ وَلَا أَكْرَهُ ٱلْفِرَاقَ. لِأَنَّ مَعَ ٱلْفِرَاقِ غُمَّةً يُخَفِّفُهَا تَوَقُّعُ إِسْعَافٍ بِتَأْمِيلِ ٱلْأَوْبَةِ وَٱلرُّجْعَى. وَمَعَ ٱلِٱجْتِمَاعِ مُحَاذَرَةَ ٱلْفِرَاقِ وَقِصَرَ ٱلسُّرُورِ. قَالَ بَعْضُ ٱلظُّرَفَاءِ: لَوْ قُلْتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ لِلرَّحِيلِ أَلَمًا وَلِلْبَيْنِ حُرْقَةً لَقُلْتُ حَقًّا. لِأَنِّي نِلْتُ بِهِ مِنَ ٱلْعِنَاقِ وَأُنْسِ ٱللِّقَاءِ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ ٱلِٱجْتِمَاعِ وَبِهِ مُصَافَحَةُ ٱلتَّسْلِيمِ. وَرَجَاءُ ٱلْأَوْبَةِ. وَعِمَارَةُ ٱلْقَلْبِ بِٱلشَّوْقِ. وَٱلْأُنْسُ بِٱلْمُكَاتَبَةِ (للمقدسي)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ ٱلْأَوْبَاتِ إِلَّا ... بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ ٱلْوَدَاعِ

قَالَ ٱبْنُ ٱلنَّطْرُونِيِّ:

بَاتَتْ تَصُدُّ عَنِ ٱلنَّوَى ... وَتَقُولُ كَمْ تَتَغَرَّبُ
إِنَّ ٱلْحَيَاةَ مَعَ ٱلْقَنَا ... عَةِ لِلْمُقَامِ ٱلْأَطْيَبُ
فَأَجَبْتُهَا يَا هٰذِهِ ... غَيْرِي بِقَوْلِكِ خُلِّبُ
إِنَّ ٱلْكَرِيمَ مُفَارِقٌ ... أَوْطَانَهُ إِذْ تَجْدُبُ

وَالْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نُقْصَانُهُ يَتَغَيَّبُ

ذمّ السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ الْأَحْبَابِ. سَقَامُ الْأَلْبَابِ. حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ تَطِيرَ لَهُ الْقُلُوبُ. وَتَطِيشَ مَعَهُ الْعُقُولُ. وَتَطِيحَ عَلَيْهِ النُّفُوسُ. وَفِرَاقُ الْحَبِيبِ يُشَيِّبُ الْوَلِيدَ. وَيُذِيبُ الْحَدِيدَ. وَهَوْلُ السِّيَاقِ. أَهْوَنُ مِنَ الْفِرَاقِ. وَقَالَ النَّظَّامُ: لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَاعَتِ الْقُلُوبَ وَهَدَّتِ الْجِبَالَ. وَلَجْمُ الْغَضَا أَهْوَنُ تَوَهُّجًا مِنْ نَارِهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَمَنْ يَنْأَ عَنْ دَارِ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رُعُودٌ جَمَّةٌ وَبُرُوقُ

قَالَ ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ:

قَالُوا أَقَمْتَ وَمَا رُزِقْتَ وَإِنَّمَا بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ اللَّبِيبُ وَيُرْزَقُ
فَأَجَبْتُهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا أَلْحَظُّ يَنْفَعُ لَا الرَّحِيلُ الْمُلْقِقُ
كَمْ سَفْرَةٍ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلُهَا ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيصُ وَيُخْفِقُ
كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسَيْرِهِ وَبِهِ إِذَا حُرِمَ السَّعَادَةَ يُمْحَقُ

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هـ و ١١٨٧ م باختصار

ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هٰذِهِ الْمَدِينَةُ مَوْسِمُ التُّجَّارِ. وَمَقْصِدُ جَوَارِي الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ. كَثِيرَةُ الْإِرْفَاقِ بِرَخَاءِ الْأَسْعَارِ. لَا يَقِرُّ فِيهَا لِمُسْلِمٍ قَرَارٌ. مَشْحُونَةٌ بِعَبَدَةِ الصُّلْبَانِ تَغُصُّ بِقَاطِنِيهَا. وَتَكَادُ تَضِيقُ ذَرْعًا بِسَاكِنِيهَا. أَسْوَاقُهَا نَافِقَةٌ حَفِيلَةٌ. وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِإِرْغَادِ الْعَيْشِ كَفِيلَةٌ. لَا تَزَالُ

بِهَا لَيْلُكَ وَنَهَارُكَ فِي أَمَانٍ. وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ. مُسْتَنِدَةٌ إِلَى جِبَالٍ قَدِ انْتَظَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادِقُهَا. وَالْبَحْرُ يَعْتَرِضُ أَمَامَهَا فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا. وَمَرْسَاهَا أَعْجَبُ مَرَاسِي الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ لِأَنَّ الْمَرَاكِبَ الْكِبَارَ تَدْنُو فِيهِ مِنَ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادَ تُمْسِكُهُ. وَيُنْصَبُ مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ خَشَبَةٌ يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا. وَالْحَمَّالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى زَوَارِيقَ فِي وَسْقِهَا وَلَا فِي تَفْرِيغِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا يَسِيرًا. فَتَرَاهَا مُصْطَفَّةً مَعَ الْبَرِّ كَاصْطِفَافِ الْجِيَادِ فِي مَرَابِطِهَا وَإِصْطَبْلَاتِهَا وَذٰلِكَ لِإِفْرَاطِ عُمْقِ الْبَحْرِ فِيهَا. وَهُوَ زُقَاقٌ مُعْتَرِضٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمِقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ. وَيُقَابِلُهَا مِنْهُ بَلْدَةٌ تُعْرَفُ بِرِيَّةَ وَهِيَ عَمَالَةٌ كَبِيرَةٌ. وَهٰذِهِ الْمَدِينَةُ مَسِينَةُ رَأْسُ جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمُدُنِ وَالْعَمَائِرِ وَالضِّيَاعِ. وَطُولُ هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ. وَعَرْضُهَا مَسِيرَةُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ. وَبِهَا جَبَلُ الْبُرْكَانِ. وَهُوَ يَأْتَزِرُ بِالسُّحُبِ لِإِفْرَاطِ سُمُوِّهِ وَيَعْتَمُّ بِالثَّلْجِ شِتَاءً وَصَيْفًا دَائِمًا. وَخِصْبُ هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ. وَكَفَى بِأَنَّهَا ابْنَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخِصْبِ وَالرَّفَاهَةِ. مَشْحُونَةٌ بِالْأَرْزَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا. مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَأَصْنَافِهَا. وَجِبَالُهَا كُلُّهَا بَسَاتِينُ مُثْمِرَةٌ بِالتُّفَّاحِ وَالشَّاهْ بَلُّوطِ وَالْبُنْدُقِ وَالْإِجَّاصِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْفَوَاكِهِ. وَلَيْسَ فِي مَسِينَةَ هٰذِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرٌ مِنْ ذَوِي الْمِهَنِ وَلِذٰلِكَ مَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ.

وأحسن مُدنها قاعدة مُلكها . والمُسلمون يعرفونها بالمدينة والنصارى يعرفونها ببَلَرْمة . وفيها سكنى الحضريين من المسلمين

وببلرمة هذه مسكن ملكهم غليام . وهي أحفل مُدن صقلية وبعدها مسينة . وشأن ملكهم هذا عجيب في حسن السيرة . وهو كثير الثقة بالمسلمين هم أهل دولته والمُرتسمون بخاصته . وعليهم يلوح رونق مملكته . لأنهم متسعون في الملابس الفاخرة والمراكب الفارهة . وما منهم إلا من له الحاشية والخول والأتباع . ولهذا الملك القصور المشيدة والبساتين الأنيقة ولاسيما بحاضرة ملكه المدينة المذكورة . وله بمسينة قصر أبيض كالحمامة مطل على ساحل البحر . وليس في ملوك النصارى أترف في الملك ولا أتم ولا أرفه منه . وهو يتشبه في ترتيب قوانينه ووضع أساليبه وتقديم مراتب رجاله وتفخيم أبهة الملك وإظهار زينته بملوك المسلمين . وملكه عظيم جداً وله الأطباء والفقهاء وهو كثير الاعتناء بهم شديد الحرص عليهم . حتى إنه متى ذكر له أن طبيباً أو فقيهاً اجتاز ببلده أمر بإمساكه وأدر له أرزاق معيشته . ومن عجيب شأنه المتحدث به أنه يقرأ ويكتب بالعربية وعلامته على ما أعلمنا به أحد خدمته المختصين به : الحمد لله حق حمده

وبمدينة مسينة المذكورة دار صنعة تحتوي من الأساطيل على ما لا يحصى عدد مراكبه . فكان نزولنا في أحد الفنادق وأقمنا بها تسعة أيام . فلما كان ليلة الثلاثاء الثاني عشر لرمضان ركبنا في زورق

متوجهين إلى مدينة بلرمة . وسرنا قريباً من الساحل بحيث يبصره رأي العين . وأرسل الله علينا ريحاً شرقية رخاء طيبة زجت الزورق أهنأ تزجية . وسرنا نسرح اللحظ في عمائر وقرى متصلة وحصون ومعاقل في قنن الجبال مشرفة . وأبصرنا عن يميننا في البحر تسع جزائر قد قامت خيالاً مرتفعة على مقربة من بر الجزيرة اثنتان منها تخرج منهما النار دائماً . وأبصرنا الدخان صاعداً منهما ويظهر بالليل ناراً حمراء ذات ألسن تصعد في الجو . وهو البركان المشهور خبره . وأعلمنا أن خروجها من منافس في الجبلين المذكورين يصعد منها نفس ناري بقوة شديدة تكون عنه النار . وربما قذف فيها الحجر الكبير فتلقي به إلى الهواء بقوة ذلك النفس وتمنعه من الاستقرار والانتهاء إلى القعر . وهذا من أعجب المسموعات الصحيحة . وأما الجبل الشامخ الذي بالجزيرة المعروف بجبل النار فشأنه عجيب . وذلك أن ناراً تخرج منه كالسيل العرم . فلا تمر بشيء إلا أحرقته حتى تنتهي إلى البحر . فتركب ثبجه على صفحه حتى تغوص فيه . فسبحان المبدع في عجائب مخلوقاته

وحللنا عشي يوم الأربعاء مرسى مدينة شفلودى

(ومدينة شفلودى) هي مدينة ساحلية كثيرة الخصب واسعة المرافق . منتظمة أشجار الأعناب وغيرها . مرتبة الأسواق تسكنها طائفة من المسلمين . وعليها قنة جبل واسعة مستديرة فيها قلعة لم أر أمنع منها اتخذوها عدة لأسطول يفجأهم من جهة البحر من جهة

ٱلْمُسْلِمِينَ. وَكَانَ إِقْلَاعُنَا مِنْهَا نِصْفَ ٱللَّيْلِ فَجِئْنَا مَدِينَةَ ثَرْمَةَ ضُحْوَةَ يَوْمِ
ٱلْخَمِيسِ بِسَيْرٍ رُوَيْدٍ. وَبَيْنَ ٱلْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِيلًا. فَٱنْتَقَلْنَا
فِيهَا مِنْ ذٰلِكَ ٱلزَّوْرَقِ إِلَى زَوْرَقٍ ثَانٍ ٱكْتَرَيْنَاهُ لِكَوْنِ ٱلْبَحْرِيِّينَ
صَحِبُونَا فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا. وَثَرْمَةُ هٰذِهِ أَحْسَنُ وَضْعًا مِنَ ٱلَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا.
وَهِيَ حَصِينَةٌ تُرْكَبُ ٱلْبَحْرَ وَتُشْرِفُ عَلَيْهِ. وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رَبَضٌ كَبِيرٌ
لَهُمْ فِيهِ ٱلْمَسَاجِدُ. وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مَنِيعَةٌ. وَفِي أَسْفَلِ ٱلْبَلْدَةِ حَمَّةٌ قَدْ
أَغْنَتْ أَهْلَهَا عَنِ ٱتِّخَاذِ حَمَّامٍ. وَهٰذِهِ ٱلْبَلْدَةُ مِنَ ٱلْخِصْبِ وَسَعَةِ ٱلرِّزْقِ
عَلَى غَايَةٍ. وَٱلْجَزِيرَةُ بِأَسْرِهَا مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ ٱللهِ فِي ٱلْخِصْبِ وَسَعَةِ
ٱلْأَرْزَاقِ. فَأَقَمْنَا بِهَا يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ لِلشَّهْرِ ٱلْمَذْكُورِ وَنَحْنُ قَدْ
أَرْسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا. وَيَطْلُعُ فِيهِ ٱلْمَدُّ مِنَ ٱلْبَحْرِ ثُمَّ يَنْحَسِرُ عَنْهُ. وَبِتْنَا
بِهَا لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ. ثُمَّ ٱنْقَلَبَ ٱلْهَوَاءُ غَرْبِيًّا فَلَمْ نَجِدْ لِلْإِقْلَاعِ سَبِيلًا.
وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمَقْصُودَةِ ٱلْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ ٱلنَّصَارَى بِبَلَرْمَةَ خَمْسَةٌ
وَعِشْرُونَ مِيلًا. فَخَشِينَا طُولَ ٱلْمُقَامِ وَحَمِدْنَا ٱللهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
مِنَ ٱلتَّسْهِيلِ فِي قَطْعِ ٱلْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ. وَقَدْ تَلْبَثُ ٱلزَّوَارِقُ فِي
قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ ٱلْعِشْرِينَ يَوْمًا وَٱلثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَنَيِّفًا عَلَى ذٰلِكَ.
فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ مُنْتَصَفَ ٱلشَّهْرِ ٱلْمُبَارَكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ ٱلْمَسِيرِ فِي ٱلْبَرِّ
عَلَى أَقْدَامِنَا. فَتَحَمَّلْنَا بَعْضَ أَسْبَابِنَا وَخَلَّفْنَا بَعْضَ ٱلْأَصْحَابِ عَلَى ٱلْأَسْبَابِ
ٱلْبَاقِيَةِ فِي ٱلزَّوْرَقِ. وَسِرْنَا فِي طَرِيقٍ كَأَنَّهَا ٱلسُّوقُ عِمَارَةً وَكَثْرَةَ
صَادِرٍ وَوَارِدٍ. وَطَوَائِفُ ٱلنَّصَارَى يَتَلَقَّوْنَنَا فَيُبَادِرُونَ بِٱلسَّلَامِ عَلَيْنَا

وَيُؤْنِسُونَنَا. فَرَأَيْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَلِينِ مَقْصِدِهِمْ مَعَ ٱلْمُسْلِمِيَّةِ مَا يُوقِعُ
ٱلْعَجَبَ. حَتَّى ٱنْتَهَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْسَخٍ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ
بِنَا ٱلْإِعْيَاءُ فَمِلْنَا إِلَيْهِ وَبِتْنَا فِيهِ. وَهٰذَا ٱلْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ مُشَيَّدُ
ٱلْبِنَاءِ عَتِيقُ ٱلْوَضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلَكَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ لِلْجَزِيرَةِ. وَبِإِزَائِهِ
عَيْنٌ تُعْرَفُ بِعَيْنِ ٱلْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ ٱلْحَدِيدِ. وَدَاخِلَهُ مَسَاكِنُ
وَعَلَالِيُّ مُشْرِفَةٌ وَبُيُوتٌ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَامِلُ مَرَافِقِ ٱلسُّكْنَى وَفِي
أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ ٱلدُّنْيَا بَهَاءً. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَايَا
مَفْرُوشَةٍ بِحُصُرٍ لَطِيفَةٍ لَمْ يُرَ أَحْسَنُ مِنْهَا صَنْعَةً. وَقَدْ عُلِّقَ فِيهِ نَحْوُ
ٱلْأَرْبَعِينَ قِنْدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ ٱلصُّفْرِ وَٱلزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى ٱلْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ ٱلْقَصْرِ بِئْرٌ عَذْبَةٌ. فَبِتْنَا فِي هٰذَا
ٱلْمَسْجِدِ أَحْسَنِ مَبِيتٍ وَأَطْيَبِهِ. وَبِمَقْرُبَةٍ مِنْ هٰذَا ٱلْقَصْرِ نَحْوَ ٱلْمِيلِ إِلَى
جِهَةِ ٱلْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرُ عَلَى صِفَتِهِ يُعْرَفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلَهُ سِقَايَةٌ
تَفُورُ بِمَاءٍ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ كَنَائِسَ مُعَدَّةً
لِمَرْضَى ٱلنَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مُدُنِهِمْ مِثْلُ ذٰلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسْتَانَاتِ
ٱلْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بِعَكَّةَ وَبِصُورَ مِثْلَ ذٰلِكَ. فَعَجِبْنَا مِنِ ٱعْتِنَائِهِمْ
بِهٰذَا ٱلْقَدْرِ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا ٱلصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَمُنِعْنَا
وَحُمِلْنَا إِلَى ٱلْبَابِ ٱلْمُتَّصِلِ بِقُصُورِ ٱلْمَلِكِ ٱلْإِفْرَنْجِيِّ غِلْيَامَ وَأُدِّينَا إِلَى
ٱلْمُسْتَخْلَفِ لِيَسْأَلَنَا عَنْ مَقْصِدِنَا. وَكَذٰلِكَ فِعْلُهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ فَسِرْنَا فِي
سِكَكِ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلُوكِيَّةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنَ ٱلْقُصُورِ ٱلْمُشْرِفَةِ

وَالْمَيَادِينِ الْمُنْتَظِمَةِ وَالْبَسَاتِينِ وَالْمَرَاتِبِ الْمُتَّخَذَةِ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَا رَاعَ أَبْصَارَنَا . وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا . وَأَبْصَرْنَا فِيمَا أَبْصَرْنَاهُ مَجْلِسًا فِي سَاحَةٍ فَسِيحَةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَانْتَظَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بَلَاطَاتٌ . وَالْمَجْلِسُ قَدْ أَخَذَ اسْتِطَالَةَ تِلْكَ السَّاحَةِ كُلِّهَا . فَعَجِبْنَا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافِ مَنَاظِرِهِ . فَأُعْلِمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَتِلْكَ الْبَلَاطَاتُ وَالْمَرَاتِبُ حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعُمَّالَةُ أَمَامَهُ . فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ الْمُسْتَحْلِفُ يَتَهَادَى بَيْنَ خَدِيمَيْنِ يَخُفَّانِ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أَذْيَالَهُ . فَأَبْصَرْنَا شَيْخًا طَوِيلَ السَّبَلَةِ أَبْيَضَهَا ذَا أُبَّهَةٍ . فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيِّنٍ فَأَعْلَمْنَاهُ . فَأَظْهَرَ الْإِشْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِانْصِرَافِنَا بَعْدَ أَنْ أَحْفَى فِي السَّلَامِ وَالدُّعَاءِ فَعَجِبْنَا مِنْ شَأْنِهِ . وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ لَنَا عَنْ خَبَرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نُعْلِمُهُ بِهِ . وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْفَنَادِقِ فَنَزَلْنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِيَ وَالْعِشْرِينَ لِدِجَنْبَرَ . وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بَلَاطًا مُتَّصِلًا مَشَيْنَا فِيهِ مَسَافَةً طَوِيلَةً وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ عَظِيمَةِ الْبِنَاءِ . فَأُعْلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْبَلَاطَ مَمْشَى الْمَلِكِ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ

(ذِكْرُ بَلَرْمَةَ) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمُّ الْحَضَارَةِ . وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسْنَيَيْنِ غَضَارَةً وَنَضَارَةً . فَمَا شِئْتَ بِهَا مِنْ جَمَالِ مَخْبَرٍ وَمَنْظَرٍ . وَمُرَادِ عَيْشٍ يَانِعٍ أَخْضَرَ . عَتِيقَةٌ أَنِيقَةٌ . مُشْرِقَةٌ مُؤْنِقَةٌ . تَتَطَلَّعُ بِمَرْأًى فَتَّانٍ . وَتَتَخَايَلُ بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَائِطَ كُلُّهَا بُسْتَانٌ . فَسِيحَةُ السِّكَكِ وَالشَّوَارِعِ . تَرُوقُ

الْأَبْصَارَ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا الْبَارِعِ عَجِيبَةُ الشَّانِ . قُرْطُبِيَّةُ الْبُنْيَانِ . مَبَانِيهَا كُلُّهَا بِمَنْحُوتِ الْحَجَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَذَّانِ . يَشُقُّهَا نَهْرٌ مَعِينٌ وَيَطَّرِدُ فِي جَنَبَاتِهَا أَرْبَعُ عُيُونٍ قَدْ زُخْرِفَتْ فِيهَا لِمَلِكِهَا دُنْيَاهُ فَاتَّخَذَهَا حَاضِرَةَ مُلْكِهِ الْإِفْرَنْجِيِّ . تَنْتَظِمُ بِلَبَّتِهَا قُصُورُهُ انْتِظَامَ الْعُقُودِ فِي نُحُورِ الْكَوَاعِبِ . وَيَتَقَلَّبُ مِنْ بَسَاتِينِهَا وَمَيَادِينِهَا بَيْنَ نُزْهَةٍ وَمَلَاعِبَ . فَكَمْ لَهُ فِيهَا مِنْ مَقَاصِيرَ وَمَصَانِعَ . وَمَنَاظِرَ وَمَطَالِعَ . وَكَمْ لَهُ بِجِهَاتِهَا مِنْ دِيَارَاتٍ قَدْ زُخْرِفَ بُنْيَانُهَا . وَرُفِّهَ بِالْإِقْطَاعَاتِ الْوَاسِعَةِ رُهْبَانُهَا . وَكَنَائِسَ قَدْ صِيغَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صُلْبَانُهَا . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَرْبَاضٌ قَدِ انْفَرَدُوا فِيهَا بِسُكْنَاهُمْ عَنِ النَّصَارَى وَالْأَسْوَاقُ مَعْمُورَةٌ بِهِمْ وَهُمُ التُّجَّارُ فِيهَا وَيُصَلُّونَ الْأَعْيَادَ بِخُطْبَةٍ وَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا لِلْعَبَّاسِيِّينَ . وَلَهُمْ بِهَا قَاضٍ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَلِهَذِهِ الْمَدِينَةِ شَبَهٌ بِقُرْطُبَةَ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسَطِ الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ وَضْعُ قُرْطُبَةَ . وَبِهَذَا الْقَصْرِ دِيَارٌ كَأَنَّهَا الْقُصُورُ الْمُشَيَّدَةُ . لَهَا مَنَاظِرُ فِي الْجَوِّ مُظْلِمَةٌ تَحَارُ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا

(كَنِيسَةُ بَلَرْمَةَ) وَمِنْ أَعْجَبِ مَا شَاهَدْنَاهُ بِهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى كَنِيسَةٌ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِيِّ أَبْصَرْنَاهَا يَوْمَ الْمِيلَادِ وَهُوَ يَوْمُ عِيدٍ لَهُمْ عَظِيمٌ . وَقَدِ احْتَفَلُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرْنَا مِنْ بُنْيَانِهَا مَرْأًى يَعْجِزُ الْوَصْفُ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمُزْخَرَفَةِ . جُدْرُهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ أَلْوَاحِ الرُّخَامِ الْمُلَوَّنِ مَا لَمْ يُرَ

مِثْلُهُ قَطُّ قَدْ رُصِّعَتْ كُلُّهَا بِفُصُوصِ الذَّهَبِ وَكُلِّلَتْ بِأَشْجَارِ الْفُصُوصِ الْخُضْرِ وَنُظِمَ أَعْلَاهَا بِالشَّمْسِيَّاتِ الْمُذَهَّبَاتِ مِنَ الزُّجَاجِ. فَتَخْطَفُ الْأَبْصَارَ بِسَاطِعِ شُعَاعِهَا وَتُحْدِثُ فِي النُّفُوسِ فِتْنَةً. وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بَانِيَهَا الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيهَا قَنَاطِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرًا لِجَدِّ هٰذَا الْمَلِكِ. وَلِهٰذِهِ الْكَنِيسَةِ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْمِدَةِ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ وَعَلَيْهَا قُبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا فَتُعْرَفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِي وَهِيَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يُبْصَرُ مِنَ الْبُنْيَانِ. وَزِيُّ النَّصْرَانِيَّاتِ فِي هٰذِهِ الْمَدِينَةِ زِيُّ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ. فَصِيحَاتُ الْأَلْسُنِ مُلْتَحِفَاتٌ مُتَنَقِّبَاتٌ. خَرَجْنَ فِي هٰذَا الْعِيدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَبِسْنَ ثِيَابَ الْحَرِيرِ الْمُذَهَّبِ وَالْتَحَفْنَ اللُّحُفَ الرَّائِقَةَ وَانْتَقَبْنَ بِالنُّقَبِ الْمُلَوَّنَةِ. وَانْتَعَلْنَ الْأَخْفَافَ الْمُذَهَّبَةَ. وَبَرَزْنَ لِكَنَائِسِهِنَّ حَامِلَاتٍ جَمِيعَ زِينَةِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحَلِّي وَالتَّخَضُّبِ وَالتَّعَطُّرِ. وَكَانَ مُقَامُنَا بِهٰذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. وَنَزَلْنَا بِهَا فِي أَحَدِ فَنَادِقِهَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ ... وَخَرَجْنَا مِنْهَا صُبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ لِهٰذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دِجَنْبَرَ إِلَى مَدِينَةِ أَطْرَابُنْشَ بِسَبَبِ مَرْكَبٍ بِهَا أَحَدُهُمَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَالثَّانِي إِلَى سَبْتَةَ. فَسَلَكْنَا عَلَى قُرًى مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَأَبْصَرْنَا مَحَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ نَرَ مِثْلَ تُرْبَتِهَا طِيبًا وَكَرَمًا وَاتِّسَاعًا. فَشَبَّهْنَاهَا بِقُنْبَانِيَةِ قُرْطُبَةَ أَوْ هٰذِهِ أَطْيَبُ وَأَمْتَنُ. وَبِتْنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةً وَاحِدَةً فِي بَلْدَةٍ تُعْرَفُ بِعَلْقَمَةَ. وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَالزَّوَايَا

وَسُكَّانُ هٰذِهِ الضِّيَاعِ الَّتِي فِي هٰذَا الطَّرِيقِ كُلِّهَا مُسْلِمُونَ. وَقُمْنَا مِنْهَا سَحَرَ يَوْمِ السَّبْتِ فَأَجْتَزْنَا بِمَقْرُبَةٍ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْحَمَّةِ وَهُوَ بَلَدٌ كَبِيرٌ فِيهِ حَمَّامَاتٌ. وَقَدْ فَجَّرَهَا اللهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ وَأَسَالَهَا عَنَاصِرَ لَا يَكَادُ الْبَدَنُ يَحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا. فَأَجَزْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى الطَّرِيقِ. فَنَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرَحْنَا الْأَبْدَانَ بِالْاِسْتِحْمَامِ فِيهَا. وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابُنْشَ عَصْرَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ فَنَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارٍ اكْتَرَيْنَاهَا

(مَدِينَةُ أَطْرَابُنْشَ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةُ السَّاحَةِ. غَيْرُ كَبِيرَةِ الْمِسَاحَةِ. مُسَوَّرَةٌ بَيْضَاءُ كَالْحَمَامَةِ. مَرْسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَرَاسِي وَأَوْفَقِهَا لِلْمَرَاكِبِ. وَلِذٰلِكَ كَثِيرًا مَا يَقْصِدُ الرُّومُ إِلَيْهَا وَلَاسِيَّمَا الْمُقْلِعُونَ إِلَى بَرِّ الْعُدْوَةِ. فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونُسَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَالسَّفَرُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رَيْثَمَا تَهُبُّ الرِّيحُ الْمُوَافِقَةُ. فَمَجْرَاهَا فِي ذٰلِكَ مَجْرَى الْحِجَازِ الْقَرِيبِ. وَبِهٰذِهِ الْمَدِينَةِ السُّوقُ وَالْحَمَّامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمُدُنِ. لٰكِنَّهَا فِي لَهَوَاتِ الْبَحْرِ لِإِحَاطَتِهِ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَاتِّصَالِ الْبَرِّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ ضَيِّقَةٍ. وَالْبَحْرُ فَاغِرٌ فَاهُ لَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ. فَأَهْلُهَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْاِسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَاخَى مَدَى أَيَّامِهَا. وَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِرَخَاءِ السِّعْرِ بِهَا لِأَنَّهَا عَلَى مَحْرَثٍ عَظِيمٍ. وَسُكَّانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى وَلِكِلَا الْفَرِيقَيْنِ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكَنَائِسُ. وَبُرْكُنُهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ مَائِلًا إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرِطُ السُّمُوِّ مُتَّسِعٌ. فِي

أَعْلَاهُ قُنَّةٌ تَنْقَطِعُ عَنْهُ وَفِيهَا مَعْقِلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ قَنْطَرَةٌ وَيَتَّصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَبِهٰذَا الْجَبَلِ الْكُرُومُ وَالْمَزَارِعُ . وَأُعْلِمْنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةِ عَيْنٍ مُتَفَجِّرَةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ وَالصُّعُودُ إِلَيْهِ هَيِّنٌ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ فَتْحُ هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتْرُكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذٰلِكَ أَعَدُّوا فِيهِ ذٰلِكَ الْمَعْقِلَ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحَسُّوا بِحَادِثَةٍ حَصَّنُوا حَرِيمَهُمْ فِيهِ وَقَطَعُوا الْقَنْطَرَةَ . وَاعْتَرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ . وَشَأْنُ هٰذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الْمُتَفَجِّرَةِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنْشُ فِي هٰذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بِئْرٍ عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا آبَارٌ قَصِيرَةُ الْأَرْشِيَةِ مَاؤُهَا كُلُّهَا شَرِيبٌ لَا يُسَاغُ . وَأَفْنَيْنَا الْمَرْكَبَيْنِ اللَّذَيْنِ يَرُومَانِ الْإِقْلَاعَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا . وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ نُؤَمِّلُ رُكُوبَ أَحَدِهِمَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ . وَاللّٰهُ بِمَعْهُودِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ كَفِيلٌ بِمَنِّهِ . وَفِي غَرْبِيِّ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ أَطْرَابُنْشُ ثَلَاثُ جَزَائِرَ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرْسَخَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صِغَارٌ مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمَلِيطَةَ وَالْأُخْرَى بِبَابِسَةَ وَالثَّالِثَةُ تُعْرَفُ بِالرَّاهِبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءٍ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِصْنُ وَهُوَ مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَالْجَزِيرَتَانِ لَا عِمَارَةَ فِيهِمَا وَلَا يَعْمُرُ الثَّالِثَةَ سِوَى الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كِرَاؤُنَا فِي الْمَرْكَبِ الْمُتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللّٰهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لابن جبير)

أَلْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ
فِي عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ

فِي شَرْحِ عَجَبِ الْمَوْجُودَاتِ

٣٤٠ قَالَ الْقَزْوِينِيُّ : الْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ لِقُصُورِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النَّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهَدَهُ قَبْلُ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ فَاعِلِهِ . فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النَّحْلِ لَتَحَيَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ أَنَّ ذٰلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحْدَثَ هٰذِهِ الْمُسَدَّسَاتِ الْمُتَسَاوِيَةَ الْأَضْلَاعِ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَاذِقُ مَعَ الْفِرْجَارِ وَالْمِسْطَرَةِ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هٰذَا الشَّمْعُ الَّذِي اتَّخَذَتْ مِنْهُ بُيُوتَهَا الْمُتَسَاوِيَةَ الَّتِي لَا يُخَالِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَأَنَّهَا أُفْرِغَتْ فِي قَالَبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هٰذَا الْعَسَلُ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ فِيهَا ذَخِيرَةً لِلشِّتَاءِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشِّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَفْقِدُ فِيهِ الْغِذَاءَ . وَكَيْفَ اهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ خِزَانَةِ الْعَسَلِ بِغِشَاءٍ رَقِيقٍ لِيَكُونَ الشَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ فَلَا يُنَشِّفُهُ الْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبُهُ الْغُبَارُ . وَتَبْقَى كَالْبَرْنِيَّةِ الْمُضَمَّمَةِ الرَّأْسِ بِالْكَاغَدِ . فَهٰذَا مَعْنَى الْعَجَبِ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهٰذِهِ الْمَثَابَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْرِكُهُ فِي صِبَاهُ عِنْدَ فَقْدِ التَّجْرِبَةِ . ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِيزَةُ الْعَقْلِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَغْرَقُ الْهَمِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أَنِسَ بِمُدْرَكَاتِهِ

وَمَحْسُوساتِهِ فَسَقَطَ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأُنْسِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَغْتَةً حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارِقًا لِلْعَادَاتِ انْطَلَقَ لِسَانُهُ بِالتَّسْبِيحِ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمْرِهِ أَشْيَاءَ تَتَحَيَّرُ فِيهَا عُقُولُ الْعُقَلَاءِ وَتَدْهَشُ فِيهَا نُفُوسُ الْأَذْكِيَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هٰذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ إِلَى هٰذِهِ الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغَيُّرِ وَالْفَسَادِ فَإِنَّ الْأَرْضَ وَالْهَوَاءَ وَالْبِحَارَ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَحَقَائِقَ مُلْقَاةٍ فِي فَلَاةٍ . ثُمَّ يَنْظُرْ إِلَى دَوَرَانِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا رَحَوِيَّةً . وَبَعْضُهَا حَمَائِلِيَّةً . وَبَعْضُهَا دُولَابِيَّةً . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِيئًا . ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمَدٍ تَتَعَمَّدُ بِهِ أَوْ عَلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا وَاخْتِلَافِ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَمِيلُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَبَعْضَهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضَهَا إِلَى لَوْنِ الرَّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا كُلَّ يَوْمٍ لِاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنْ وَقْتِ الِاسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَالَتِهَا عَنْ وَسَطِ السَّمَاءِ إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشَّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْخَرِيفُ . ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى جِرْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ اكْتِسَابِهِ النُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِيَنُوبَ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى امْتِلَائِهِ وَانْمِحَاقِهِ . ثُمَّ إِلَى كُسُوفِ الشَّمْسِ وَخُسُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْمَجَرَّةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرُجُ السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكٍ يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا رَحَوِيَّةً . وَعَجَائِبُ السَّمَاوَاتِ لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَاءِ عُشْرِ عُشْرِهَا وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ تَبْصِرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ

ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنِ انْقِضَاضِ الشُّهُبِ وَالْغُيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالثُّلُوجِ وَالرِّيَاحِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِّ . وَلْيَتَأَمَّلِ السَّحَابَ الثَّقِيلَ الْكَثِيفَ الْمُظْلِمَ كَيْفَ اجْتَمَعَ فِي جَوٍّ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءَ . وَتَسْخِيرَ الرِّيَاحِ فَإِنَّهَا تَتَلَاعَبُ بِهِ وَتَسُوقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ فَتَرُشُّ بِالْمَاءِ وَجْهَ الْأَرْضِ وَتُرْسِلُهُ قَطَرَاتٍ مُتَفَاصِلَةً . لَا تُدْرِكُ قَطْرَةٌ مِنْهَا قَطْرَةً لِيُصِيبَ وَجْهَ الْأَرْضِ بِرِفْقٍ . فَلَوْ صَبَّهُ صَبًّا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِخَدْشِهِ وَجْهَ الْأَرْضِ . وَيُرْسِلُهَا مِقْدَارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنِ الْحَاجَةِ فَيُعَفِّنُ النَّبَاتَ . وَلَا نَاقِصًا فَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُوُّ . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَاحِ فَإِنَّ مِنْهَا مَا يَسُوقُ السُّحُبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَعْصِرُهَا . وَمِنْهَا مَا يُلَقِّحُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُرْبِي الزَّرْعَ وَالثِّمَارَ . وَمِنْهَا مَا يُجَفِّفُهَا

ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعْلِهَا وَقُورًا لِتَكُونَ فِرَاشًا وَمِهَادًا ثُمَّ إِلَى سَعَةِ أَكْنَافِهَا وَبُعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْآدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَعْلِ ظَهْرِهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقَرًّا لِلْأَمْوَاتِ . فَتَرَاهَا وَهِيَ مَيِّتَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَظْهَرَتْ

أَجْنَاسَ ٱلْمَعَادِنِ وَأَنْبَتَتْ أَنْوَاعَ ٱلنَّبَاتِ وَأَخْرَجَتْ أَصْنَافَ ٱلْحَيَوَانِ.
ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِٱلْجِبَالِ ٱلشَّامِخَةِ كَأَوْتَادِهَا لِمَنْعِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ.
ثُمَّ إِلَى إِيدَاعِ ٱلْمِيَاهِ فِي أَوْشَالِهَا كَٱلْخِزَانَاتِ لِتَخْرُجَ مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا فَتَتَفَجَّرَ
مِنْهَا ٱلْعُيُونُ وَتَجْرِي مِنْهَا ٱلْأَنْهَارُ. فَيَحْيَا بِهَا ٱلْحَيَوَانُ وَٱلنَّبَاتُ إِلَى وَقْتِ
نُزُولِ ٱلْأَمْطَارِ مِنَ ٱلسَّنَةِ ٱلْقَابِلَةِ. وَيَنْصَبُّ فَاضِلُهَا إِلَى ٱلْبِحَارِ دَائِمًا

ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى ٱلْبِحَارِ ٱلْعَمِيقَةِ ٱلَّتِي هِيَ خُلْجَانٌ مِنَ ٱلْبَحْرِ ٱلْأَعْظَمِ
ٱلْمُحِيطِ بِجَمِيعِ ٱلْأَرْضِ حَتَّى إِنَّ جَمِيعَ ٱلْمَكْشُوفِ مِنَ ٱلْبَوَادِي وَٱلْجِبَالِ
بِٱلْإِضَافَةِ إِلَى ٱلْمَاءِ كَجَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرٍ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةُ ٱلْأَرْضِ
مَسْتُورَةٌ بِٱلْمَاءِ. ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ ٱلْحَيَوَانِ وَٱلْجَوَاهِرِ. ثُمَّ لِيَنْظُرْ
إِلَى خَلْقِ ٱللُّؤْلُؤِ فِي صَدَفِهِ تَحْتَ ٱلْمَاءِ. ثُمَّ إِلَى إِنْبَاتِ ٱلْمَرْجَانِ فِي صَمِيمِ
ٱلصَّخْرِ تَحْتَ ٱلْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ يَنْبُتُ مِنَ ٱلْحَجَرِ. ثُمَّ إِلَى
مَا عَدَاهُ مِنَ ٱلْعَنْبَرِ وَأَصْنَافِ ٱلنَّفَائِسِ ٱلَّتِي يَقْذِفُهَا ٱلْبَحْرُ وَتُسْتَخْرَجُ
مِنْهُ. ثُمَّ إِلَى ٱلسُّفُنِ كَيْفَ سُيِّرَتْ فِي ٱلْبِحَارِ وَسُرْعَةِ جَرْيِهَا بِٱلرِّيَاحِ
وَإِلَى ٱتِّخَاذِ آلَاتِهَا وَمَعْرِفَةِ ٱلنَّوَاتِيِّ مَوَارِدَ ٱلرِّيَاحِ وَمَهَابِّهَا وَمَوَاقِيتَهَا.
وَعَجَائِبُ ٱلْبِحَارِ كَثِيرَةٌ لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَائِهَا

ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى أَنْوَاعِ ٱلْمَعَادِنِ ٱلْمُودَعَةِ تَحْتَ ٱلْجِبَالِ فَمِنْهَا مَا يَنْطَبِعُ
كَٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلنُّحَاسِ وَٱلرَّصَاصِ وَٱلْحَدِيدِ. وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ
كَٱلْفَيْرُوزَجِ وَٱلْيَاقُوتِ وَٱلزَّبَرْجَدِ. ثُمَّ إِلَى كَيْفِيَّةِ ٱسْتِخْرَاجِهَا وَتَنْقِيَتِهَا
وَٱتِّخَاذِ ٱلْحُلِيِّ وَٱلْآلَاتِ وَٱلْأَوَانِي مِنْهَا. ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ ٱلْأَرْضِ كَٱلنِّفْطِ

وَٱلْكِبْرِيتِ وَٱلْقِيرِ وَغَيْرِهَا وَأَجَلُّهَا ٱلْمِلْحُ فَلَوْ خَلَتْ مِنْهُ بَلْدَةٌ لَتَسَارَعَ
ٱلْفَسَادُ إِلَى أَهْلِهَا. ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى أَنْوَاعِ ٱلنَّبَاتِ وَأَصْنَافِ ٱلْفَوَاكِهِ
ٱلْمُخْتَلِفَةِ ٱلْأَشْكَالِ وَٱلْأَلْوَانِ وَٱلطُّعُومِ وَٱلْأَرَايِيحِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي ٱلْأَكْلِ مَعَ ٱتِّحَادِ ٱلْأَرْضِ وَٱلْهَوَاءِ وَٱلْمَاءِ.
فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاةٍ نَخْلَةٌ مُطَوَّقَةٌ بِعَنَاقِيدِ ٱلرُّطَبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلَ
فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ. ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى أَرْضِ ٱلْبَوَادِي وَتَشَابُهِ أَجْزَائِهَا
فَإِنَّهَا إِذَا نَزَلَ ٱلْقَطْرُ عَلَيْهَا ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ.
ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا وَٱخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ
مَنَافِعِهَا. فَلَمْ تَنْبُتْ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَرَقَةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنْفَعَةٌ أَوْ مَنَافِعُ يَقِفُ
فَهْمُ ٱلْبَشَرِ دُونَ إِدْرَاكِهَا. ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى أَصْنَافِ ٱلْحَيَوَانِ وَٱنْقِسَامِهَا إِلَى
مَا يَطِيرُ وَيَسْبَحُ وَيَمْشِي. وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُوَرِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى عَجَائِبَ
تَدْهَشُ مِنْهَا ٱلْعُقُولُ. بَلْ فِي ٱلْبَقَّةِ أَوِ ٱلنَّمْلِ أَوِ ٱلْعَنْكَبُوتِ أَوِ ٱلنَّحْلِ فَإِنَّهَا
مِنْ ضِعَافِ ٱلْحَيَوَانَاتِ. لِيَرَى مَا يَتَحَيَّرُ مِنْهُ مِنْ بِنَائِهَا ٱلْبَيْتَ وَجَمْعِهَا ٱلْغِذَاءَ
وَٱدِّخَارِهَا لِوَقْتِ ٱلشِّتَاءِ وَحِذْقِهَا فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَصْبِهَا ٱلشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ.
وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ ٱلْعَجَائِبِ مَا لَا يُحْصَى. وَإِنَّمَا سَقَطَ ٱلتَّعَجُّبُ
مِنْهَا لِلْأُنْسِ بِهَا بِكَثْرَةِ ٱلْمُشَاهَدَةِ

فِي جِرْمِ ٱلشَّمْسِ وَوَضْعِهَا

٣٤١ وَأَمَّا ٱلشَّمْسُ فَأَعْظَمُ ٱلْكَوَاكِبِ جِرْمًا وَأَشَدُّهَا ضَوْءًا. وَمَكَانُهَا

الطَّبيعيِّ الكُرةُ الرَّابعةُ (*). زعمَ المُنجِّمونَ أنَّ الشَّمسَ بينَ الكواكبِ كالمَلِكِ وسائرِ الكواكبِ كالأعوانِ والجُنودِ. والقمرَ كالوزيرِ ووليِّ العهدِ. وعُطارِدَ كالكاتبِ. والمِرّيخَ كصاحبِ الشُّرطةِ. والمُشتري كالقاضي. وزُحَلَ كصاحبِ الخزائنِ. والزُّهرةَ كالخَدَمِ والجواري. والأفلاكَ كالأقاليمِ. والبُروجَ كالبُلدانِ. والدَّرجاتِ كالعساكرِ. والدَّقائقَ كالمحالِّ. والثَّواني كالمنازلِ. وهذا تشبيهٌ جيِّدٌ

ومن عجائبِ لُطفِ اللهِ تعالى جعلُ الشَّمسِ في وسطِ الكواكبِ السَّبعةِ لتَبقى الطَّبائعُ والمطبوعاتُ في نظمِ العالَمِ بحركاتِها على حدِّها الاعتداليِّ. إذ لو كانتْ في فلكِ الثَّوابتِ لفسدتِ الطَّبائعُ بشدَّةِ البردِ. ولو أنَّها انحدرتْ إلى فلكِ القمرِ لاحترقَ هذا العالَمُ بالكُلِّيَّةِ. ولُطفٌ آخرُ من اللهِ تعالى أن خلقَها سائرةً غيرَ موقفةٍ وإلَّا لاشتدَّتِ السُّخونةُ في موضعٍ واشتدَّ البردُ في غيرِهِ فلا يخفى فسادُهما. لكنْ تطلعُ كلَّ يومٍ من المشرقِ (*) ولا تزالُ تغشى موضعًا بعدَ موضعٍ حتَّى تنتهيَ إلى المغربِ. فلا يبقى موضعٌ مكشوفٌ مُؤازٍ لها إلَّا ويأخذُ حظًّا من شعاعِها. وتميلُ في كلِّ سنةٍ مرَّةً إلى الجنوبِ ومرَّةً إلى الشِّمالِ لتعمَّ فائدتُها أمَّا إلى الجهةِ

(*) ذلك زعم الأقدمين أمَّا المتأخِّرون فعلى ان الشمس في جوف الفلك ومن حولها تدور سائر الأفلاك واقربها الى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المرّيخ ثم المشتري ثم زحل

(*) وهذا من آراء الأوائل. فقد ثبت الآن عند العلماء ان الأفلاك تدور حول الشمس وأبطل ما اعتقدهُ القدماء من ان الشمس تدور من حول الأفلاك

الجنوبيَّةِ فتميلُ حتَّى تنتهيَ إلى قريبٍ من مطلعِ قلبِ العقربِ. وهو مطلعُ أقصرِ يومٍ في السَّنةِ. وأمَّا إلى الجهةِ الشِّماليَّةِ فتميلُ حتَّى تنتهيَ إلى قريبٍ من مطلعِ السِّماكِ الرَّامحِ وهو مطلعُ أطولِ يومٍ في السَّنةِ. ثمَّ ترجعُ تميلُ إلى الجنوبِ

في كسوفِ الشَّمسِ وبعضِ خواصِّها

٣٤٢ وسببُ كونِ القمرِ حائلًا بينَ الشَّمسِ وبينَ أبصارِنا لأنَّ جرمَ القمرِ كمدٌ فيحجبُ ما وراءَهُ عنِ الأبصارِ. فإذا قارنَ الشَّمسَ وكانَ في إحدى نقطتَيِ الرَّأسِ أو الذَّنبِ أو قريبًا منهُ فإنَّهُ يمرُّ تحتَ الشَّمسِ فيصيرُ حائلًا بينَها وبينَ الأبصارِ. ثمَّ الشَّمسُ إذا انكسفتْ لا يكونُ لكسوفِها مكثٌ لأنَّ قاعدةَ مخروطِ الشُّعاعِ إذا انطبقَ على صفحةِ القمرِ انحرفَ عنهُ في الحالِ. فتبتدئُ الشَّمسُ بالانجلاءِ. لكنْ يختلفُ قدرُ الكسوفِ باختلافِ أوضاعِ المساكنِ بسببِ اختلافِ المنظرِ. وقد لا تنكسفُ في بعضِ البلادِ أصلًا

وأمَّا تأثيراتُ الشَّمسِ في العلويَّاتِ والسُّفليَّاتِ فعجيبةٌ. أمَّا في العلويَّاتِ فإخفاؤها جميعَ الكواكبِ بكمالِ شعاعِها وإعطاؤها للقمرِ النُّورَ. وأمَّا في السُّفليَّاتِ فمنها تأثيرُها في البحارِ. فإنَّها إذا أشرقتْ على الماءِ أصعدتْ منهُ أبخرةً بسببِ السُّخونةِ. فإذا بلغَ البخارُ إلى الهواءِ البارِدِ تكاثفَ من البردِ وانعقدَ سحابًا. ثمَّ تذهبُ بهِ الرِّياحُ إلى الأماكنِ البعيدةِ عنِ البحارِ فينزلُ اللهُ قطرًا يحيي بهِ الأرضَ بعدَ

موتها . وتظهر منه الأنهار والعيون فيصير سببا لبقاء الحيوان وخروج النبات . ومنها أمر النبات فإن الزروع والأشجار والنبات لا تثبت بنمو إلا في المواضع التي تطلع عليها الشمس . ولذلك لا ينبت تحت النخيل والأشجار العظام التي لها ظلال واسعة شيء من الزروع لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها . وحسبك ما ترى من تأثير الشمس بحسب الحركة اليومية في النيلوفر والأذريون وورق الخروع فإنها تنمو وتزداد عند أخذ الشمس في الارتفاع والصعود . فإذا زالت الشمس أخذت في الذبول حتى إذا غابت الشمس ضعفت وذبلت ثم عادت اليوم الثاني إلى حالها . ومنها تأثيرها في الحيوانات فإنا نرى الحيوانات إذا طلع نور الصبح خلق الله تعالى في أبدانها قوة فتظهر فيها فراهة وانتعاش قوة . وكلما كان طلوع نور الشمس أكثر كان ظهور قوة الحيوان في أبدانها أكثر إلى أن وصلت إلى وسط سمائها . فإذا مالت عن وسط سمائهم أخذت حركاتهم وقواهم في الضعف ولا تزال تزداد ضعفا إلى زمان غيوبها . فإذا غابت الشمس رجعت الحيوانات إلى أماكنها ولزمتها كالموتى فإذا طلعت عليها الشمس في اليوم الثاني عادوا إلى الحالة الأولى (للقزويني)

فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وأما القمر فهو كوكب مكانه الطبيعي الفلك الأسفل وهو جرم كثيف مظلم قابل للضياء إلا القليل منه على ما يرى في ظاهره .

فالنصف الذي يواجه الشمس مضيء أبدا فإذا قارنت الشمس كان النصف المظلم مواجها للأرض . فإذا بعد عن الشمس إلى المشرق ومال النصف المظلم من الجانب الذي يلي المغرب إلى الأرض فيظهر من النصف المضيء قطعة هي الهلال . ثم يتزايد الانحراف ويزداد بتزايده القطعة من النصف المضيء حتى إذا كان في مقابلة الشمس كان النصف المواجه للشمس هو النصف المواجه لنا . فنراه ثم يقرب من الشمس فينقص الضياء من الجانب الذي بدا به على الترتيب الأول . حتى إذا صار في مقارنة الشمس يمحق نوره ويعود إلى الموضع الأول

وسبب خسوفه توسط الأرض بينه وبين الشمس فإذا كان القمر في إحدى نقطتي الرأس والذنب أو قريبا منه عند الاستقبال توسط الأرض بينه وبين الشمس فيقع في ظل الأرض ويبقى على سواده الأصلي فيرى منخسفا . وتأثيراته عجيبة . زعموا أن تأثيراته كلها بواسطة الرطوبة كما أن تأثيرات الشمس بواسطة الحرارة . ويدل عليها اعتبار أهل التجارب . منها أمر البحار فإن القمر إذا صار في أفق من آفاق البحر أخذ ماؤه في المد مقبلا مع القمر ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر في وسط سماء ذلك الموضع . فإذا صار هناك انتهى المد منتهاه فإذا انحط القمر من وسط سمائه جزر الماء . ولا يزال كذلك راجعا إلى أن يبلغ القمر مغربه فعند ذلك ينتهي الجزر منتهاه . ومن كان في لجة البحر وقت ابتداء المد

أحسَّ للماء حركةً من أسفلهِ إلى أعلاهُ ويرى لهُ انتفاخاً وتهيجُ فيها رياحٌ عواصفُ وأمواجٌ. وإذا كان وقتُ الجزرِ ينقصُ جميعُ ذلكَ. ومن كانَ في الشطوطِ والسواحلِ فإنهُ يرى للماءِ زيادةً وانتفاخاً وجرياً وعلوّاً ولا يزالُ كذلكَ إلى أن يجزرَ ويرجعَ الماءُ إلى البحرِ. وابتداءُ قوةِ المدِّ في البحارِ إنما يكونُ في كلِّ موضعٍ عميقٍ واسعٍ كثيرِ الماءِ

في المجرّة والكواكب الثوابت

٣٤٤ وهي البياضُ الذي يُرى في السماءِ يقالُ لهُ شرجُ السماءِ إلى زماننا هذا لم يُسمَعْ في حقيقتها قولٌ شافٍ. زعموا أنها كواكبُ صغارٌ متقاربةٌ بعضُها من بعضٍ والعربُ تسميها أمَّ النجومِ لاجتماعِ النجومِ فيها. وزعموا أنَّ النجومَ تقاربتْ من المجرّةِ فطمسَ بعضُها بعضاً وصارتْ كأنها سحابٌ. وهي تُرى في الشتاءِ أولَ الليلِ في ناحيةٍ من السماءِ. وفي الصيفِ أولَ الليلِ في وسطِ السماءِ ممتدّةً من الشمالِ إلى الجنوبِ. وبالنسبةِ إلينا تدورُ دوراً رحويّاً فتراها نصفَ الليلِ ممتدّةً من المشرقِ إلى المغربِ وفي آخرِ الليلِ من الجنوبِ إلى الشمالِ...

وأما الكواكبُ الثوابتُ فإنَّ عددها مما يقصرُ ذهنُ الإنسانِ عن ضبطِها. لكنَّ الأوّلينَ قد ضبطوا منها ألفاً واثنينِ وعشرينَ كوكباً. ثمَّ وجدوا من هذا المجموعِ تسعمائةٍ وسبعةَ عشرَ كوكباً يلتظمُ منها ثمانٍ وأربعونَ صورةً. كلُّ صورةٍ منها تشتملُ على كوكبها. وهي الصورةُ التي أثبتَها بطليموسُ في كتابِ المجسطي بعضُها في النصفِ

الشماليِّ من الكرةِ وبعضُها على منطقةِ فلكِ البروجِ التي هي طريقةُ السيّاراتِ. وبعضُها في النصفِ الجنوبيِّ. فسمّى كلَّ صورةٍ باسمِ الشيءِ المشبَّهِ بها فوجدَ بعضُها على صورةِ الإنسانِ كالجوزاءِ. وبعضُها على صورةِ الحيواناتِ البحريّةِ كالسرطانِ. وبعضُها على صورةِ الحيواناتِ البريّةِ كالحملِ. وبعضُها على صورةِ الطيرِ كالعقابِ. وبعضُها خارجاً عن شبهِ الحيواناتِ كالميزانِ والسفينةِ. ووجدَ من هذهِ الصورِ ما لم يكنْ تامَّ الخلقةِ مثلَ الفرسِ ومنها ما بعضُهُ من صورةِ حيوانٍ والبعضُ الآخرُ من صورةِ حيوانٍ آخرَ كالرامي... وإنما ألّفوا هذهِ الصورَ وسمّوها بهذهِ الأسماءِ ليكونَ لكلِّ كوكبٍ اسمٌ يُعرفُ بهِ متى أشاروا إليهِ وذكروا موقعَهُ من الصورةِ وموقعَهُ من فلكِ البروجِ وبعدَهُ من الشمالِ أو الجنوبِ عن الدائرةِ التي تمرُّ بأوساطِ البروجِ لمعرفةِ أوقاتِ الليلِ والطالعِ في كلِّ وقتٍ

فصلٌ في ارباع السنة

٣٤٥ من جملةِ لطفِ اللهِ بعبادِهِ أن أعطى لكلِّ فصلٍ طبعاً مغايراً لما قبلَهُ في كيفيةٍ أخرى ليكونَ ورودُ الفصولِ على الأبدانِ بالتدريجِ. فلو انتقلَ من الصيفِ إلى الشتاءِ دفعةً لأدّى ذلكَ إلى تغييرٍ عظيمٍ في الأبدانِ. فحسبُكَ ما ترى من تغييرِ الهواءِ في يومٍ واحدٍ من الحرِّ إلى البردِ كيفَ يظهرُ مقتضاهُ في الأبدانِ. فكيفَ إذا كانَ مثلُ هذا التغييرِ في الفصولِ. فسبحانهُ ما أعظمَ شأنهُ. وأكثرَ امتنانهُ

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ نُزُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ بُرْجِ الْحَمَلِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقَالِيمِ وَاعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الْهَوَاءُ وَهَبَّ النَّسِيمُ . وَذَابَتِ الثُّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ وَنَبَعَتِ الْعُيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتَ الْعُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَأْلَأَ الزَّهْرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَانْفَتَحَ النَّوْرُ . وَاخْضَرَّ وَجْهُ الْأَرْضِ وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكَوَّنَتِ الْحَيَوَانَاتُ وَدَبَّ الدَّبِيبُ . وَنُتِجَتِ الْبَهَائِمُ وَدَرَّتِ الضُّرُوعُ . وَانْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي الْبِلَادِ عَنْ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَّةٌ تَجَلَّلَتْ وَتَزَيَّنَتْ لِلنَّاظِرِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذٰلِكَ دَأْبُهَا وَدَأْبُ أَهْلِهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْجَوْزَاءِ . فَحِينَئِذٍ انْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ

وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ نُزُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ السَّرَطَانِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَنَاهَى طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَاشْتَدَّ الْحَرُّ وَسَخُنَ الْهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . وَأَدْرَكَتِ الثِّمَارُ وَجَفَّتِ الْحُبُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَسَمِنَتِ الْبَهَائِمُ . وَاشْتَدَّتْ قُوَّةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرِّيفُ . وَانْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الْخَيْرِ وَكَثُرَتِ الدَّبِيبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السُّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ الْمِيَاهُ . وَيَبِسَ الْعُشْبُ وَأَدْرَكَ الْحَصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَاتَّسَعَ لِلنَّاسِ الْقُوتُ وَلِلطَّيْرِ الْحَبُّ وَلِلْبَهَائِمِ الْعَلَفُ . وَتَكَامَلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتِ

الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَرُوسٌ مُنَعَّمَةٌ بَالِغَةٌ كَامِلَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ وَرَوْنَقٍ . فَلَا يَزَالُ الْأَمْرُ كَذٰلِكَ حَتَّى تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السُّنْبُلَةِ فَحِينَئِذٍ أَقْبَلَ الْخَرِيفُ

وَأَمَّا الْخَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ نُزُولِ الشَّمْسِ الْمِيزَانَ فَعِنْدَ ذٰلِكَ اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ ابْتَدَأَ اللَّيْلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ الرَّبِيعَ زَمَنُ نُشُوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدْءِ النَّبَاتِ وَظُهُورِ الْأَزْهَارِ فَالْخَرِيفُ زَمَانُ ذُبُولِ النَّبَاتِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْرَاقِهَا . فَحِينَئِذٍ بَرَدَ الْمَاءُ وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَغَيَّرَ الزَّمَانُ وَنَقَصَتِ الْمِيَاهُ . وَجَفَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ الْعُيُونُ . وَيَبِسَتْ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَفَنِيَتِ الثِّمَارُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ وَالثَّمَرَ وَعَرِيَ وَجْهُ الْأَرْضِ مِنْ دَبِيبِهَا . وَمَاتَتِ الْهَوَامُّ وَانْجَحَرَتِ الْحَشَرَاتُ . وَانْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطَّبَ الْوَحْشُ الْبُلْدَانَ الدَّافِئَةَ وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوتَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبِسُوا الْجُلُودَ الْغَلِيظَةَ مِنَ الثِّيَابِ . وَتَغَيَّرَ الْهَوَاءُ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا كَهْلَةٌ قَدْ وَلَّتْ أَيَّامُ شَبَابِهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدِ انْتَهَى الْخَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ

وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ نُزُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ الْجَدْيِ فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَنَاهَى طُولُ اللَّيْلِ وَقِصَرُ النَّهَارِ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَاشْتَدَّ الْبَرْدُ . وَخَشُنَ الْهَوَاءُ وَتَعَرَّتِ الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْرَاقِ . وَفَنِيَتْ بُطُونُهَا وَمَاتَ أَكْثَرُ النَّبَاتِ . وَانْجَحَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُهُوفِ الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثْرَةِ الْأَنْدَاءِ . وَنَشَأَتِ الْغُيُومُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ وَكَلَحَ وَجْهُ الزَّمَانِ . وَهُزِلَتِ الْبَهَائِمُ وَضَعُفَتْ قُوَى الْأَبْدَانِ . وَمَنَعَ

ٱلْبَرْدُ ٱلنَّاسَ عَنِ ٱلتَّصَرُّفِ وَمَرْعَيْشُ أَكْثَرَ ٱلْحَيَوَانِ. وَطَالَ ٱللَّيْلُ ٱلَّذِي جَعَلَهُ ٱللهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرَدَ ٱلْمَاءُ ٱلَّذِي هُوَ مَادَّةُ ٱلْحَيَاةِ. وَٱنْقَطَعَ ٱلذُّبَابُ وَٱلْبَعُوضُ وَعُدِمَ ذَوَاتُ ٱلسُّمُومِ مِنَ ٱلْهَوَامِّ. وَيَطِيبُ فِيهِ ٱلْأَكْلُ وَٱلشُّرْبُ. وَهُوَ زَمَانُ ٱلرَّاحَةِ وَٱلِٱسْتِمْتَاعِ كَمَا أَنَّ ٱلصَّيْفَ زَمَانُ ٱلْكَدِّ وَٱلتَّعَبِ. حَتَّى قِيلَ: مَنْ لَمْ يَغْلُ دِمَاغُهُ صَائِفًا لَمْ تَغْلُ قِدْرُهُ شَاتِيًا. وَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرِمَةٌ دَنَا مِنْهَا ٱلْمَوْتُ. فَلَا يَزَالُ كَذٰلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ ٱلشَّمْسُ آخِرَ ٱلْحُوتِ وَقَدِ ٱنْتَهَى ٱلشِّتَاءُ وَأَقْبَلَ ٱلرَّبِيعُ مَرَّةً أُخْرَى

فصلٌ في تولُّد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْأَمْطَارُ وَٱلثُّلُوجُ عَلَى ٱلْجَبَلِ تَنْصَبُّ ٱلْأَمْطَارُ إِلَى ٱلْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ ٱلثُّلُوجُ وَتَفِيضُ إِلَى ٱلْأَهْوِيَةِ ٱلَّتِي فِي ٱلْجِبَالِ. فَتَبْقَى مَخْزُونَةً فِيهَا وَتَمْتَلِئُ ٱلْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي ٱلشِّتَاءِ. فَإِذَا كَانَ فِي أَسَافِلِ ٱلْجِبَالِ مَنَافِذُ ضَيِّقَةٌ تَخْرُجُ ٱلْمِيَاهُ مِنَ ٱلْأَوْشَالِ فِي تِلْكَ ٱلْمَنَافِذِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا جَدَاوِلُ. وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَيَحْصُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ. فَإِنْ كَانَتِ ٱلْخَزَانَاتُ فِي أَعَالِي ٱلْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جَرَيَانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا تَنْصَبُّ إِلَى سَفْحِ ٱلْجِبَالِ وَلَا تَنْقَطِعُ مَادَّتُهَا لِوُصُولِ مَدَدِهَا مِنَ ٱلْأَمْطَارِ. وَإِنْ كَانَتِ ٱلْخَزَانَاتُ فِي أَسَافِلِ ٱلْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا ٱلْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدَدِهَا وَتَنْقَطِعُ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْمَدَدِ. وَتَبْقَى ٱلْمِيَاهُ فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي ٱلْأَوْدِيَةِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ ثُمَّ

تَنْقَطِعُ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ مَادَّتِهَا. وَكُلُّ هٰذِهِ ٱلْأَنْهَارِ تَبْتَدِئُ مِنَ ٱلْجِبَالِ وَتَنْتَهِي إِلَى ٱلْبِحَارِ أَوِ ٱلْبَطَائِحِ. وَفِي مَمَرِّهَا تَسْقِي ٱلْمُدُنَ وَٱلْقُرَى وَمَا فَضَلَ يَنْصَبُّ إِلَى ٱلْبِحَارِ. ثُمَّ يَرِقُّ وَيَلْطُفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي ٱلْهَوَاءِ بُخَارًا وَيَتَرَاكَمُ مِنْهُ ٱلْغُيُومُ وَتَسُوقُهُ ٱلرِّيَاحُ إِلَى ٱلْجِبَالِ وَٱلْبَرَارِيِّ. وَيُمْطِرُ هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي ٱلْأَوْدِيَةِ وَٱلْأَنْهَارِ وَيَسْقِي ٱلْبِلَادَ وَيَرْجِعُ فَاضِلُهُ إِلَى ٱلْبَحْرِ. وَلَا يَزَالُ هٰذَا دَأْبُهُ وَيَدُورُ كَٱلرَّحَا فِي ٱلصَّيْفِ وَٱلشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيئتها

٣٤٧ ٱلْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طِبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَابِسًا. وَإِنَّمَا خُلِقَتْ بَارِدَةً يَابِسَةً لِأَجْلِ ٱلْغِلَظِ وَٱلتَّمَاسُكِ إِذْ لَوْلَاهُمَا لَمَا أَمْكَنَ قَرَارُ ٱلْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا. وَٱلْهَوَاءُ وَٱلْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا ٱلْمِقْدَارَ ٱلْبَارِزَ ٱلَّذِي جَعَلَهُ ٱللهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ. ثُمَّ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ ٱلْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي ٱلسَّمَاءَ. وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي ٱلْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ ٱلسَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا ٱنْتَقَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِقْدَارُ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ. ثُمَّ إِنَّ ٱلْبَحْرَ ٱلْمُحِيطَ ٱلْأَعْظَمَ أَحَاطَ بِأَكْثَرِ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ وَٱلْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاتِئٌ عَلَى ٱلْمَاءِ. عَلَى مِثَالِ بَيْضَةٍ غَائِصَةٍ فِي ٱلْمَاءِ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْمَاءِ مُحَدَّبُهَا. وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةً مَلْسَاءَ وَلَا مُصْمَتَةً بَلْ كَثِيرَةُ ٱلِٱرْتِفَاعِ وَٱلِٱنْخِفَاضِ مِنَ ٱلْجِبَالِ وَٱلتِّلَالِ وَٱلْأَوْدِيَةِ وَٱلْأَهْوِيَةِ وَٱلْكُهُوفِ وَٱلْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِذُ وَخُلْجَانٌ. وَكُلُّهَا

مُمْتَلِئَةٌ مِيَاهًا وَبُخَارَاتٍ وَرُطُوبَاتٍ دُهْنِيَّةً . وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِٱخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَصُوَرِهَا وَمِزَاجِهَا وَأَلْوَانِهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلَهَا غَيْرُ ٱللهِ تَعَالَى وَهُوَ صَانِعُهَا وَمُدَبِّرُهَا . مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ ٱلْأَرْضِ فَقَدِ ٱخْتَلَفَ آرَاءُ ٱلْقُدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي ٱلتَّسْطِيحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ ٱلتُّرْسِ وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَمَا ثَبَتَتْ عَلَيْهَا بِنَاءٌ وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَٱلَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ جَمَاهِيرُهُمْ أَنَّ ٱلْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَٱلْكُرَةِ . وَمِنَ ٱلْقُدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ فِثَاغُورُسَ مَنْ قَالَ : إِنَّ ٱلْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا عَلَى ٱلِٱسْتِدَارَةِ وَٱلَّذِي يُرَى مِنْ دَوَرَانِ ٱلْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ دَوْرُ ٱلْأَرْضِ لَا دَوْرُ ٱلْكَوَاكِبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زَعَمُوا أَنَّ ٱلشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى ٱلْمَاءِ حَلَّلَتْ مِنَ ٱلْمَاءِ أَجْزَاءً لَطِيفَةً مَائِيَّةً تُسَمَّى بُخَارًا وَمِنَ ٱلْأَرْضِ أَجْزَاءً لَطِيفَةً أَرْضِيَّةً تُسَمَّى دُخَانًا . فَإِذَا ٱرْتَفَعَ ٱلْبُخَارُ وَٱلدُّخَانُ فِي ٱلْهَوَاءِ وَتَدَافَعَهُمَا ٱلْهَوَاءُ إِلَى ٱلْجِهَاتِ وَتَكُونُ مِنْ قُدَّامِهِمَا جِبَالٌ شَامِخَةٌ مَانِعَةٌ وَمِنْ فَوْقِهَا بَرْدُ ٱلزَّمْهَرِيرِ وَمِنْ أَسْفَلِهَا مَادَّةُ ٱلْبُخَارِ مُتَّصِلَةٌ فَلَا يَزَالُ ٱلْبُخَارُ وَٱلدُّخَانُ يَكْثُرَانِ وَيَغْلُظَانِ فِي ٱلْهَوَاءِ وَتَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى يَثْخُنَ فَيَتَكَوَّنَ مِنْهَا سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَاكِمٌ . ثُمَّ إِنَّ ٱلسَّحَابَ كُلَّمَا ٱرْتَفَعَ ٱنْضَمَّتْ أَجْزَاءُ ٱلْبُخَارِ

ثُمَّ تَلْتَئِمُ تِلْكَ ٱلْأَجْزَاءُ ٱلْمَائِيَّةُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ قَطْرًا . فَثَقُلَتْ وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى أَسْفَلُ . فَإِنْ كَانَ صُعُودُ ذٰلِكَ ٱلْبُخَارِ بِٱللَّيْلِ وَٱلْهَوَاءُ شَدِيدُ ٱلْبَرْدِ مَنَعَهُ مِنَ ٱلصُّعُودِ وَأَجْمَدَهُ أَوَّلًا فَصَارَ سَحَابًا رَقِيقًا . وَإِنْ كَانَ ٱلْبَرْدُ مُفْرِطًا أَجْمَدَ ٱلْبُخَارَ فِي ٱلْغَيْمِ وَكَانَ ذٰلِكَ ثَلْجًا لِأَنَّ ٱلْبَرْدَ يُجْمِدُ ٱلْأَجْزَاءَ ٱلْمَائِيَّةَ فَتَخْتَلِطُ بِٱلْأَجْزَاءِ ٱلْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِٱلرِّفْقِ فَلِذٰلِكَ لَا يَكُونُ لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَقْعٌ شَدِيدٌ كَٱلْمَطَرِ وَٱلْبَرَدِ . وَإِنْ كَانَ ٱلْهَوَاءُ دَافِئًا ٱرْتَفَعَ ٱلْبُخَارُ فِي ٱلْغُيُومِ وَتَرَاكَمَ ٱلسُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ ٱلرَّبِيعِ وَٱلْخَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ مَنْدُوفٍ . فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدُ ٱلزَّمْهَرِيرِ مِنْ فَوْقُ غَلُظَ ٱلْبُخَارُ وَصَارَ مَاءً وَٱنْضَمَّتْ أَجْزَاؤُهَا فَصَارَ قَطْرًا . وَعَرَضَ لَهَا ٱلثِّقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ سَمْكِ ٱلسَّحَابِ وَمِنْ تَرَاكُمِهَا تَلْتَئِمُ تِلْكَ ٱلْقَطَرَاتُ ٱلصِّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا صَارَتْ قَطْرًا كَثِيرًا . فَإِنْ عَرَضَ لَهَا بَرْدٌ مُفْرِطٌ فِي طَرِيقِهَا جَمَدَتْ وَصَارَتْ بَرَدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ ٱلْأَرْضَ . وَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ ٱلْأَبْخِرَةُ إِلَى ٱلْهَوَاءِ ٱلْبَارِدِ فَإِنْ كَثُرَتْ صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ قَلَّتْ وَتَكَاثَفَتْ فَإِنْ لَمْ تَنْجَمِدْ نَزَلَتْ طَلًّا وَإِنِ ٱنْجَمَدَتْ نَزَلَتْ صَقِيعًا

في الرعد والبرق وما يتعلق بذلك

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ ٱلشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى ٱلْأَرْضِ حَلَّلَتْ مِنْهَا أَجْزَاءً نَارِيَّةً تُخَالِطُهَا أَجْزَاءٌ أَرْضِيَّةٌ وَيُسَمَّى ذٰلِكَ ٱلْمَجْمُوعُ دُخَانًا . ثُمَّ ٱلدُّخَانُ يُمَازِجُهُ ٱلْبُخَارُ وَيَرْتَفِعَانِ مَعًا إِلَى ٱلطَّبَقَةِ ٱلْبَارِدَةِ مِنَ ٱلْهَوَاءِ . فَيَنْعَقِدُ

ٱلْبُخَارُ سَحَابًا وَيَحْتَبِسُ ٱلدُّخَانُ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصَدَ ٱلصُّعُودَ وَإِنْ صَارَ بَارِدًا قَصَدَ ٱلنُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يُمَزِّقُ ٱلسَّحَابَ تَمْزِيقًا عَنِيفًا فَيَحْدُثُ مِنْهُ ٱلرَّعْدُ وَرُبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لِشِدَّةِ ٱلْمُحَاكَّةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ ٱلْبَرْقُ إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَٱلصَّاعِقَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتُحْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ فَرُبَّمَا تُذَوِّبُ ٱلْحَدِيدَ عَلَى ٱلْبَابِ وَلَا تَضُرُّ ٱلْخَشَبَةَ وَرُبَّمَا تُذَوِّبُ ٱلذَّهَبَ فِي ٱلْخِرْقَةِ وَلَا تَضُرُّ ٱلْخِرْقَةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى ٱلْجَبَلِ فَتَشُقُّهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى ٱلْمَاءِ فَيَحْرَقُ فِيهِ حَيَوَانُهُ . وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلرَّعْدَ وَٱلْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَحْدُثَانِ مَعًا لٰكِنْ تَرَى ٱلْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ ٱلرَّعْدَ وَذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلرُّؤْيَةَ تَحْصُلُ لِمُحَاذَاةِ ٱلنَّظَرِ وَأَمَّا ٱلسَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُصُولِ ٱلصَّوْتِ إِلَى ٱلصِّمَاخِ وَذٰلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَمَوُّجِ ٱلْهَوَاءِ . وَذَهَابُ ٱلنَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُصُولِ ٱلصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلْقَصَّارَ إِذَا ضَرَبَ ٱلثَّوْبَ عَلَى ٱلْحَجَرِ فَإِنَّ ٱلنَّظَرَ يَرَى ضَرْبَ ٱلثَّوْبِ عَلَى ٱلْحَجَرِ . ثُمَّ ٱلسَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِزَمَانٍ . وَٱلرَّعْدُ وَٱلْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي ٱلشِّتَاءِ لِقِلَّةِ ٱلْبُخَارِ ٱلدُّخَانِيِّ . وَلِهٰذَا لَا يُوجَدَانِ فِي ٱلْبِلَادِ ٱلْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ نُزُولِ ٱلثَّلْجِ لِأَنَّ ٱلْبَرْدَ يُطْفِئُ ٱلْبُخَارَ ٱلدُّخَانِيَّ . وَٱلْبَرْقُ ٱلْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِتَكَاثُفِ أَجْزَاءِ ٱلْغَمَامِ . فَإِنَّهَا إِذَا تَكَاثَفَتِ ٱنْحَصَرَ ٱلْمَاءُ فَإِذَا نَزَلَ نَزَلَ بِشِدَّةٍ كَمَا إِذَا ٱحْتَبَسَ ٱلْمَاءُ ثُمَّ ٱنْطَلَقَ فَإِنَّهُ يَجْرِي جَرْيًا شَدِيدًا (كُلُّهُ من عجائب المخلوقات للقزويني)

(*) قد اتضح الآن للطبيعيين المحدثين ان البروق والرعود مسبَّبة عن الكهربائيَّة وقد أتوا على شرح ذلك في كتبهم

أَلْبَابُ ٱلتَّاسِعَ عَشَرَ
فِي ٱلْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب المحق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد سنة ٦٥٥هـ (١٢٥٢م)

٣٥٠ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ نَزَلْنَا بَغْدَادَ فَسَاءَ صَبَاحُ ٱلْمُنْذَرِينَ فَدَعَوْنَا مَالِكَهَا إِلَى طَاعَتِنَا فَأَبَى . فَحَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا وَقَدْ دَعَوْنَاكَ إِلَى طَاعَتِنَا فَإِنْ أَتَيْتَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ . وَإِنْ أَبَيْتَ فَلَا سُلْطَانَ مِنْكَ عَلَيْكَ . فَلَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ . وَٱلْجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ . وَٱلسَّلَامُ

ذكر مراسلة تيمور سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع

٣٥١ إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى سَلَّطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ ٱلْحُكَّامِ وَٱلْجَائِرِينَ مِنْ مُلُوكِ ٱلْأَنَامِ . وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَنِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي . وَقَدْ رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَإِنْ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فَبِهَا وَنَعِمْتَ . وَإِلَّا فَٱعْلَمْ أَنَّ قُدَّامَ قَدَمِي ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ ٱلْخَرَابَ وَٱلْقَحْطَ وَٱلْوَبَاءَ . وَإِثْمُ كُلِّ ذٰلِكَ عَائِدٌ عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (اخبار تيمور لابن عربشاه)

كتاب الحسن بن ذكرويه الى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ . مِنْ عِنْدِ ٱلْمَهْدِيِّ ٱلْمَنْصُورِ ٱلنَّاصِرِ لِدِينِ ٱللهِ ٱلْقَائِمِ بِأَمْرِ ٱللهِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ حُمَيْدٍ ٱلْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ . فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ ٱللهَ ٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَنْهَى إِلَيْنَا مَا حَدَثَ قِبَلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ ٱللهِ ٱلْكَفَرَةِ وَمَا فَعَلُوهُ بِنَاحِيَتِكَ مِنَ

الظُّلْمِ وَالْعَيْثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ . فَأَعْظَمْنَا ذٰلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ إِلَى مَا هُنَالِكَ مِنْ جُيُوشِنَا مَنْ يَنْتَقِمُ لَنَا اللّٰهُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِنَا الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا . فَأَنْفَذْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ حِمْصَ وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْمَصِيرِ إِلَى نَاحِيَتِكَ لِطَلَبِ أَعْدَاءِ اللّٰهِ حَيْثُ كَانُوا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجْرِيَنَا اللّٰهُ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْثَالِهِمْ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ وَقُلُوبُ مَنْ أَتْبَعَكَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا وَثِيقًا بِاللّٰهِ وَبِنَصْرِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُعَوِّدُنَا فِي كُلِّ مَنْ مَرَقَ مِنَ الطَّاعَةِ وَانْحَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ . وَتُبَادِرَ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِ النَّاحِيَةِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهَا وَلَا تُخْفِيَ عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا . سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (تاريخ حلب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراكش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صَدَرَ هٰذَا الْمَكْتُوبُ الْعَلِيُّ الْإِمَامِيُّ عَنِ الْأَمْرِ الْعَلَوِيِّ الَّذِي دَانَتْ لِطَاعَتِهِ الْكَرِيمَةِ مَمَالِكُهُ الْإِسْلَامِيَّةُ . وَانْقَادَتْ لِدَعْوَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْأَقْطَارُ الْمَغْرِبِيَّةُ . وَخَضَعَتْ لِأَوَامِرِهِ الْعَلِيَّةِ جَبَابِرَةُ الْمُلُوكِ السُّودَانِيَّةِ . وَأَقْطَارُهَا الْقَاصِيَةُ وَالدَّانِيَةُ . إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ بَيْنَ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ وَالْمِلَلِ الْمَسِيحِيَّةِ الرُّتْبَةُ الْعَالِيَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ السَّامِيَةُ . سُلْطَانِ فَرَانْصَةَ لُوِيزَ ابْنِ السَّلَاطِينِ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَكَانَةُ السَّامِيَةُ الْمَنَارِ

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللّٰهِ مَوْلَى الْحَمْدِ وَمُسْتَحِقِّهِ فَكِتَابُنَا هٰذَا إِلَيْكُمْ مِنْ حَاضِرَتِنَا الْعَلِيَّةِ مَدِينَةِ مُرَّاكِشَ وَلَا زَائِدَ إِلَّا مَا سَنَّاهُ لِأَيَالَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ عَوَائِدِ

النَّصْرِ وَالْإِقْبَالِ . وَصَنَائِعِ اللّٰهِ الْجَمِيلَةِ الْمُفْعَمَةِ السِّجَالِ . الْمُتَنَالَةِ فِي الْبُكَرِ وَالْآصَالِ . لِلّٰهِ الْمِنَّةُ وَالشُّكْرُ . هٰذَا مُوجِبُهُ إِلَيْكُمُ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ خَدِيمُكُمُ الْمَرْعِيُّ الْمَحْفُوظُ الرَّزِيلِّيُّ عَلَى مُرْسَى ثَغْرِ أَسْفِي الْمَحْرُوسِ بِاللّٰهِ وَأَسْلَمَ كِتَابَكُمُ الْمَصْحُوبَ مَعَهُ لِخُدَّامِنَا الَّذِينَ بِالثَّغْرِ بَادَرُوا بِوُصُولِهِ إِلَيْنَا فِي الْفُورِ . فَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْدَعْتُمْ فِيهِ مِنْ تَقْرِيرِ الْمَحَبَّةِ وَتَأْسِيسِ الْهُدْنَةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ . إِلَى مَا أَشَرْتُمْ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأُسَارَى الْفَرَانْصِيِّينَ الَّذِينَ رَغِبْتَ مِنْ مَقَامِنَا الْعَلِيِّ تَسْرِيحَهُمْ . فَأَخَذْنَا فِي ذٰلِكَ أَتَمَّ الْأَخْذِ وَأَكْمَلَهُ . إِلَى أَنِ اسْتَوْفَى ذٰلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ وَأَجْمَلِهِ . وَأَجَبْنَاكُمْ عَنْ فُصُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ وَبِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ صُحْبَةَ خَدِيمِنَا الْوَجِيهِ الْأَثِيرِ النَّبِيلِ النَّبِيهِ الْقَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَنَاتِيِّ . قَصْدَ أَنْ يَلْتَقِيَ مَعَ خَدِيمِكُمُ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأَتَّى لَهُ الِاجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ . وَإِنْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ ذٰلِكَ يَبْعَثُ لِخَدِيمِنَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ وَبِمَثَابَتِهِ فِي أَغْرَاضِكُمْ لِيُسَلِّمَ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أَغْرَاضِ الْجَانِبَيْنِ . ثُمَّ إِنَّ خَدِيمَنَا الْمَذْكُورَ لَمَّا بَلَغَ ثَغْرَ أَسْفِي فَقَدَ خَدِيمَكُمْ مِنَ الْمُرْسَى فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ : قَدْ أَقْلَعَ مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ . فَاقْتَصَّ بَعْضُ الْخُدَّامِ أَثَرَهُ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا . هٰذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيمُكُمْ عَلَى عِلْمٍ وَيَقِينٍ أَنَّ خَدِيمَنَا الْمَذْكُورَ قَادِمٌ إِلَيْهِ وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فَتَلَاقَى قَبْلَ وُصُولِهِ . وَالْخَدِيمُ الَّذِي يَكُونُ بِصَدَدِ أَغْرَاضِ سَيِّدِهِ لَا يَسْتَفِزُّهُ شَيْءٌ عَنْ قَضَائِهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهُ الِانْزِعَاجُ قَبْلَ اسْتِيفَائِهَا . فَعَرَّفْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

لِتُوقِنُوا أَنَّنَا لَمْ نُقَصِّرْ فِي أَغْرَاضِكُمُ ٱلْمُتَلَقَّاةِ لَدَيْنَا بِٱلْقَبُولِ وَبِهِ وَجَبَ ٱلْكَتْبُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَبِيعٍ ٱلنَّبَوِيِّ سَنَةَ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراكش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسة

٣٥٤ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلرَّحِيمِ لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ. عَنْ أَمْرِ ٱلسُّلْطَانِ ٱلْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مُرَّاكِشَ وَفَاسٍ وَكَافَّةِ ٱلْأَقَالِيمِ ٱلْمَغْرِبِيَّةِ خَلَّدَ ٱللهُ نَصْرَهُ. وَأَعَزَّ أَمْرَهُ. وَأَدَامَ سُمُوَّهُ وَفَخْرَهُ. وَأَشْرَقَ فِي فَلَكِ ٱلسَّعَادَةِ شَمْسُهُ وَبَدْرُهُ. إِلَى عَظِيمِ جِنْسِ ٱلْإِفْرَنْصِيصِ ٱلْمُتَوَلِّي أَمْرَهُمُ ٱلرِّي لُوِيزَ ٱلسَّادِسَ عَشَرَ مِنِ ٱسْمِهِ. سَلَامٌ عَلَى مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَى حَضْرَتِنَا ٱلْعَلِيَّةِ بِٱللهِ كِتَابُكَ ٱلَّذِي تَأْرِيخُهُ ثَانِي عَشَرَ مِنْ مَايَهْ عَامَ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ ٱلْمُتَضَمِّنِ ٱلْإِخْبَارَ بِمَوْتِ جَدِّكَ ٱلرِّي لُوِيزَ ٱلْخَامِسَ عَشَرَ عَلَى يَدِ نَائِبِ قُونْصُوكُمْ بَرْطُلْمِي دِبُطْنِيرَ. وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوِيزُ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي جَانِبِنَا ٱلْعَلِيِّ وَكَانَ مِمَّنْ يُحْسِنُ ٱلسِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ. وَلَهُ حَنَانَةٌ فِي رَعِيَّتِهِ وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَفَرِحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَخْلُفُهُ فِي ٱلْمَمْلَكَةِ وَٱلْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ ٱلْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ. وَمَا زَالَتْ تَسْعَدُ بِكَ رَعِيَّتُكَ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكَ عَلَى ٱلْمُهَادَنَةِ وَٱلصُّلْحِ كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ. ثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ سُفُنًا مِنْ سُفُنِ ٱلْفَرَنْصِيصِ حَرَّثُوا بِأَقْصَى أَيَالَتِنَا ٱلْمُبَارَكَةِ فِي ٱلصَّحْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعُ مَنْ سَلِمَ مِنَ ٱلْغَرَقِ مِنَ ٱلنَّصَارَى فِي أَيْدِي ٱلْعَرَبِ. وَحَيْثُ بَلَغَنَا ذٰلِكَ سَيَّرْنَا بَعْضَ

خُدَّامِنَا لِلصَّحْرَاءِ لِتُوَجِّهَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ٱلْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعْيًا لِلْمُهَادَنَةِ وَٱلصُّلْحِ ٱلَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. وَيَصِلُكَ سِتَّةٌ مِنَ ٱلْخَيْلِ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِنَا صِلَةً مِنَّا إِلَيْكُمْ. وَخَدِيمُنَا ٱلْمَذْكُورُ لَا تُبْطِؤُوهُ عِنْدَكُمْ وَوَجِّهُوهُ إِلَيْنَا عَزْمًا بَعْدَ قَضَاءِ ٱلْغَرَضِ ٱلَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى ٱلْمُهَادَنَةِ وَٱلصُّلْحِ. ٱنْتَهَى. صَدَرَ ٱلْأَمْرُ بِكَتْبِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مِكْنَاسَةِ ٱلزَّيْتُونِ فِي عَاشِرِ جُمَادَى ٱلثَّانِيَةِ عَامَ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥ للمسيح)

في الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبٌّ إِلَيْكَ سَامِي ٱلطَّرْفِ نَحْوَكَ وَذِكْرُكَ مُلْصَقٌ بِلِسَانِي. وَٱسْمُكَ حُلْوٌ عَلَى لَهَوَاتِي وَشَخْصُكَ مَاثِلٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ. وَأَنْتَ أَقْرَبُ ٱلنَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَآخِذُهُمْ بِمَجَامِعِ هَوَايَ. صَادَفْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي فَأَنَا غَيْرُ مَحْمُودٍ عَلَى ٱلْإِنْقِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ ٱلنَّفْسَ يَقُودُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ:

وَلِلْقَلْبِ عَلَى ٱلْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ ٱلنَّاسِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ

كتاب لحسين بن سهل الى صديق له يدعوه الى مأدبة

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَأْدُبَةٍ لَنَا تُشْرِفُ عَلَى رَوْضَةٍ تُضَاحِكُ ٱلشَّمْسَ حُسْنًا قَدْ بَاتَتِ ٱلسَّمَاءُ تُعْلِيهَا فَهِيَ مُشْرِقَةٌ بِمَائِهَا. حَالِيَةٌ بِنُوَّارِهَا. فَرَأْيُكَ فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سَوَاءٍ مِنِ ٱسْتِمْتَاعِ بَعْضِنَا بِبَعْضٍ

(فكتب إليه): هذه صفة لو كانت في أقاصي الأطراف لوجب انتجاعها وحث المطي في ابتغائها. فكيف في موضع أنت تسكنه وتجمع إلى أنيق منظره حسن وجهك وطيب شمائلك. وأنا الجواب

٣٥٧ كتب إبرهيم بن العباس إلى بعض أصحابه: المودة تجمعنا محبتها. والصناعة تؤلفنا أسبابها. وما بين ذلك من تراخ في لقاء أو تخلف في مكاتبة موضوع بيننا يوجب العذر فيه

كتاب اسحاق بن ابرهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشوق إليك وإلى عهد أيامنا التي حسنت كأنها أعياد. وقصرت كأنها ساعات لفوت الصفاء. ومما يجدده ويكثر دواعيه تصاقب الديار وقرب الجوار. تمم الله لنا النعمة المجددة فيك بالنظر إلى الغرة المباركة التي لا وحشة معها ولا أنس بعدها (لابن عبد ربه)

٣٥٩ (كتب بعض الكتاب إلى أخ له): أما بعد فإنه من عانى الظمأ بفرقتك استوجب الري من رؤيتك. وإن رأيت أن تجرد لي ميعادا بزيارتك أتوق به إلى وقت رؤيتك ويؤنسني إلى حين لقائك فعلت. (فأجابه): أخاف أن أعدك وعدا يعترض دون الوفاء به ما لا أقدر على دفعه فتكون الحسرة أعظم من الفرقة

٣٦٠ (وكتب في بابه): يومنا طاب أوله وحسن مستقبله وأتت السماء بقطارها. فحيت الأرض بأنوارها. وبك تطيب الشمول ويشفى الغليل. فإن تأخرت فرقت شملنا. وإن تعجلت إلينا نظمت أمرنا

٣٦١ كتب بعضهم إلى أمير: ضعني أكرمك الله من نفسك حيث وضعت نفسي من رجائك. أصاب الله بمعروفك مواضعه وبسط بكل خير يدك (للقيرواني)

كتاب زبيدة الى المأمون بعد قتله ابنها الامين

٣٦٢ كل ذنب يا أمير المؤمنين وإن عظم صغير في جنب عفوك. وكل زلل وإن جل حقير عند صفحك. وذلك الذي عودك الله فأطال مدتك وتمم نعمتك. وأدام بك الخير ودفع بك الشر. هذه رقعة الوالهة التي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر. وفي الممات لجميل الذكر. فإن رأيت أن ترحم ضعفي واستكانتي وقلة حيلتي وأن تصل رحمي وتحتسب فيما جعلك الله له طالبا وفيه راغبا فافعل. وتذكر من لو كان حيا لكان شفيعي إليك

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأمين ورق لها وكتب اليها الجواب:)

٣٦٣ وصلت رقعتك يا أماه (حاطك الله وتولاك بالرعاية) ووقفت عليها. ساءني شهد الله جميع ما أوضحته فيها. لكن الأقدار نافذة والأحكام جارية والأمور متصرفة والمخلوقون في قبضتها لا يقدرون على دفاعها. والدنيا كلها إلى شتات. وكل حي إلى ممات والغدر والبغي حتف الإنسان والمكر راجع إلى صاحبه. وقد أمرت برد جميع ما أخذ لك. ولم تفقدي ممن مضى إلى رحمة الله إلا وجهه وأنا بعد ذلك لك على أكثر مما تختارين والسلام

ثم أمر بردّ ضياعها وجميع ما أُخذ منها واقطعها ما كان في يدها واعادها الى حالتها الاولى في الكرامة والحشمة (حديقة الأفراح لليمني)

فصول في الهدايا

كتب رجلٌ الى المتوكل وقد اهدى اليهِ قارورةً من دهن الأُتْرُجّ:

٣٦٤ إِنَّ ٱلْهَدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ ٱلصَّغِيرِ إِلَى ٱلْكَبِيرِ كُلَّمَا لَطُفَتْ وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ. وَإِذَا كَانَتْ مِنَ ٱلْكَبِيرِ إِلَى ٱلصَّغِيرِ كُلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعَ وَأَوْقَعَ. وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصَّرَتْ بِي هِمَّةٌ أَصَارَتْنِي إِلَيْكَ وَلَا أُحْرِيَ إِرْشَادٌ دَلَّنِي عَلَيْكَ وَأَقُولُ:

مَا قَصَّرَتْ هِمَّةٌ بَلَغْتُ بِهَا بَابَكَ يَا ذَا ٱلنَّدَاءِ وَٱلْكَرَمِ
حَسْبِي بِوِدِّكَ أَنْ ظَفِرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَعِزًّا يَا وَاحِدَ ٱلْأُمَمِ

٣٦٥ كتب احمد بن ابي طاهر مع هديةٍ:

مِنْ سُنَّةِ ٱلْأَمْلَاكِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ ٱلدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هَدِيَّةُ ٱلْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَّةِ ٱلدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أُهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِّلْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أُهْدِ نَفْسِي فَهْيَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أُهْدِ مَالِي فَهْوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا ٱلْحَمْدُ وَٱلشُّكْرُ وَٱلْمَدْحُ ٱلَّذِي يَبْقَى لِأَمْثَالِهِ

أهدت جاريةٌ من جواري المأمون تفّاحةً لهُ وكتبت اليهِ:

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ ٱلرَّعِيَّةِ فِي ٱلْهَدَايَا إِلَيْكَ وَتَوَاتُرَ أَلْطَافِهِمْ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تَخِفُّ مُؤْنَتُهَا وَتَهُونُ كُلْفَتُهَا وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجِلُّ مَوْقِعُهَا. فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هٰذَا ٱلنَّعْتُ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هٰذَا ٱلْوَصْفُ إِلَّا ٱلتُّفَّاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي ٱلْعَدَدِ كَثِيرَةً فِي ٱلتَّقَرُّبِ. وَأَحْبَبْتُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُعْرِبَ لَكَ عَنْ فَضْلِهَا وَأَكْشِفَ لَكَ عَنْ مَحَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا. وَمَا قَالَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ فِيهَا وَتَفَنَّنَ ٱلشُّعَرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمُقَهَا بِعَيْنِ ٱلْجَلَالَةِ وَتَلْحَظَهَا بِمُقْلَةِ ٱلصِّيَانَةِ. فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ ٱلرَّشِيدُ: أَحْسَنُ ٱلْفَاكِهَةِ ٱلتُّفَّاحُ ٱجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ ٱلْفِضَّةِ وَلَوْنُ ٱلتِّبْرِ. يَلَذُّ بِهَا مِنَ ٱلْحَوَاسِّ ٱلْعَيْنُ بِبَهْجَتِهَا وَٱلْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَٱلْفَمُ بِطَعْمِهَا

كتب بعض الشعراء الى بعض أهل السلطان في المهرجان:

٣٦٧ هٰذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا ٱلْعَادَةُ بِإِلْطَافِ ٱلْعَبِيدِ لِلسَّادَةِ. وَإِنْ كَانَتِ ٱلصِّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا تَبْلُغُهُ ٱلْهِمَّةُ فَكَرِهْتُ أَنْ أُهْدِيَ فَلَا أَبْلُغَ مِقْدَارَ ٱلْوَاجِبِ. فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ وَهِيَ:

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي ٱلتَّصَابِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا ٱلْمِهْرَجَانِ
جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وُدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ ٱلْحَوَادِثِ وَٱلزَّمَانِ
وَعَبْدًا حِينَ تُكْرِمُهُ ذَلِيلًا وَلٰكِنْ لَا يَعِزُّ عَلَى ٱلْهَوَانِ
يَزِيدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِٱلْأَمَانِي

فصول في التهنئة

كتاب السلطان العزيز الى ابن مقشّر الطبيب النصراني يهنئهُ ببرئهِ من مرضهِ

٣٦٨ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبِنَا سَلَّمَهُ ٱللهُ سَلَامُ ٱللهِ ٱلطَّيِّبُ وَأَتَمُّ ٱلنِّعْمَةِ عَلَيْهِ. وَصَلَتْ إِلَيْنَا ٱلْبِشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ ٱللهُ مِنْ عَافِيَةِ ٱلطَّيِّبِ

وبرئه . والله العظيم لقد عدل عندنا ما رزقناه نحن من الصحة في جسمنا أقالك الله العثرة . وأعادك إلى أفضل ما عودك من صحة الجسم وطيبة النفس وخفض العيش بحوله وقوته (لابي الفرج)

في التوصية

كتاب ابي بكر الى يزيد ابن ابي سفيان

٣٦٩ إذا سرت فلا تعنف على أصحابك في السير ولا تغضب قومك وشاورهم في الأمر . واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور . فإنه ما أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم . وإذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله . وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا وليدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا . ولا تقربوا نخلا ولا تحرقوا زرعا . ولا تقطعوا شجرا مثمرا . ولا تعقروا بهيمة إلا بهيمة المأكول . ولا تغدروا إذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم . وستمرون على أقوام في الصوامع رهبان ترهبوا لله فدعوهم وما انفردوا إليه وارتضوه لأنفسهم فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم والسلام (تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧٠ أما بعد فإنه من اتقى الله وقاه . ومن توكل عليه كفاه ومن شكر له زاده . ومن أقرضه جزاه . فاجعل التقوى عماد قلبك وجلاء

بصرك . فإنه لا عمل لمن لا نية له . ولا أجر لمن لا حسبة له . ولا جديد لمن لا خلق له (للقيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أما بعد فقد أصبحت أميرا تقول فيسمع لك وتأمر فينفذ أمرك . فيالها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتطغيك على من دونك فاحترس من النعمة أشد من احتراسك من المصيبة . وإياك أن تسقط سقطة لا شوى لها وتعثر عثرة لا لعالها (أي لا إقالة) . والسلام

كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد

٣٧٢ أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال . فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب . وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم . فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم . فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة . وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا . فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم . واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم . أسأل الله ذلك لنا ولكم . وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم . ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم . والسفر لم ينقص

قُوَّتَهُمْ فَإِنَّهُمْ سَائِرُونَ إِلَى عَدُوٍّ مُقِيمٍ حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكُرَاعِ . وَأَقِمْ بِمَنْ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً . حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةٌ يُحْيُونَ فِيهَا أَنْفُسَهُمْ وَيَرْمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتِعَتَهُمْ . وَنَحِّ مَنَازِلَهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ الصُّلْحِ وَالذِّمَّةِ فَلَا يَدْخُلَهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ . وَلْيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نُصْحِهِ وَصِدْقِهِ . فَإِنَّ الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبَرُهُ وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ . وَلْيَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دُنُوِّكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تُكَثِّرَ الطَّلَائِعَ وَتَبُثَّ السَّرَايَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَذْكِ أَحْرَاسَكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَتَيَقَّظْ مِنَ الْبَيَاتِ جُهْدَكَ . وَاللهُ وَلِيُّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ وَوَلِيُّ النَّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ . وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ

فصول في الذم

فصل لاحمد بن يوسف

٣٧٣ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ لِلْمَعْرُوفِ طَرِيقًا أَوْعَرَ مِنْ طَرِيقِهِ إِلَيْكَ . فَالْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَهْجُورٌ . وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي الْمَعْرُوفِ أَنْ تَحْقِرَهُ . وَفِي وَلِيِّهِ أَنْ تَكْفُرَهُ

كتاب ابي العتاهية الى الفضل بن معن بن زائدة

٣٧٤ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي تَوَسَّلْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ نَائِلِكَ بِأَسْبَابِ الْأَمَلِ وَذَرَائِعِ الْحَمْدِ فِرَارًا مِنَ الْفَقْرِ وَرَجَاءً لِلْغِنَى وَازْدَدْتُ بِهِمَا بُعْدًا مِمَّا فِيهِ تَقَرَّبْتُ وَقُرْبًا مِمَّا فِيهِ تَبَعَّدْتُ . وَقَدْ قَسَمْتُ اللَّائِمَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِأَنِّي أَخْطَأْتُ فِي سُؤَالِكَ وَأَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي . أُمِرْتُ بِالْيَأْسِ مِنْ

أَهْلِ الْبُخْلِ فَسَأَلْتُهُمْ . وَنُهِيتَ عَنْ مَنْعِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فَمَنَعْتَهُمْ

فصل لابرهيم بن المهدي

٣٧٥ إِنَّ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذِّلَّةِ وَالصَّغَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتَنْصَرِفُ فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أُحِلُّ مَوَدَّتَكَ بِالْمَحَلِّ النَّفِيسِ وَأُنْزِلُهَا بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذِلَّتَكَ عِنْدَ الضَّعَةِ وَضَرَاعَتَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَغَيُّرَكَ عِنْدَ الِاسْتِغْنَاءِ وَاطِّرَاحَكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَفَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ لَا تَمِيلُ إِلَى هَوًى وَلَا تَرَى الْقَبِيحَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَنِي الشَّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . ابْتَدَأْتَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ وَأَعْقَبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأَطْمَعَنِي أَوَّلُكَ فِي إِخَائِكَ وَآيَسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَفَائِكَ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقَمْنَا عَلَى ائْتِلَافٍ وَافْتَرَقْنَا عَلَى اخْتِلَافٍ

ولهُ ايضًا في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتِ الشُّكُوكُ تَحْتَجِبُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَتْبِي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَاحْتِبَاسِ جَوَابَاتِهَا عَنِّي . لَكِنَّ الثِّقَةَ بِمَا تَقَدَّمَ عِنْدِي تَعْذِرُكَ وَتُحَسِّنُ مَا يُقَبِّحُهُ جَفَاؤُكَ . وَاللهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

فصل لابن المدبّر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ ٱلْمُفْتَتَحُ بِٱلْعِتَابِ ٱلْجَمِيلِ وَٱلتَّقْرِيعِ ٱللَّطِيفِ فَلَوْلَا مَا غَلَبَ عَلَيَّ مِنَ ٱلسُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَقَطَّعْتُ غَمًّا بِعِتَابِكَ ٱلَّذِي لَطُفَ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنْ أَهْلِ ٱلرِّقَّةِ وَٱلْفِطْنَةِ. وَغَلُظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ أَهْلُ ٱلْجَهْلِ وَٱلْبَلَهِ. فَلَا أَعْدَمَنِي ٱللهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَى مَا ٱسْتَحَقَّهُ عَتْبُكَ. فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِيَ ٱلْمَخْرَجُ مِنْهُ (لابن عبد ربّه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِٱلصَّيْدِ وَإِدْمَانِ ٱللَّذَّاتِ عَنِ ٱلنَّظَرِ فِي أُمُورِ ٱلرَّعِيَّةِ

فلما قرأهُ الرشيد رمى بهِ الى يحيى وقال لهُ : يا أبي أقرأ هذا الكتاب واكتب اليهِ بما يردهُ عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفِظَكَ ٱللهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَعَ بِكَ. قَدِ ٱنْتَهَى إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلتَّشَاغُلِ بِٱلصَّيْدِ وَمُدَاوَمَةِ ٱللَّذَّاتِ عَنِ ٱلنَّظَرِ فِي أُمُورِ ٱلرَّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ فَعَاوِدْ مَا هُوَ أَزْيَنُ بِكَ. فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ يَشِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَٱلسَّلَامُ (لابن خاكان)

كتاب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابرهيم بن المهديّ

٣٨٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَيْتِ ٱلْخِلَافَةِ بِغَيْرِ كَلَامِ ٱلْإِمْرَةِ وَسَلَامِهَا. غَيْرَ أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَائِلُ ٱلْهَوَى وَٱلرَّأْيِ لِلنَّاكِثِ ٱلْمَخْلُوعِ. فَإِنْ كَانَ كُلُّمَا بَلَغَنِي فَقَلِيلٌ مَا كَتَبْتُ بِهِ لَكَ. وَإِنْ يَكُنْ غَيْرُ ذٰلِكَ فَٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ ٱللهِ

وَبَرَكَاتُهُ. وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي أَبْيَاتًا فَتَدَبَّرْهَا :

رُكُوبُكَ ٱلْهَوْلَ مَا لَمْ تَلْقَ فُرْصَتَهُ ... جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِٱلْإِقْحَامِ تَغْرِيرُ
أَهْوِنْ بِدُنْيَا يُصِيبُ ٱلْمُخْطِئُونَ بِهَا ... حَظَّ ٱلْمُصِيبِينَ وَٱلْمَغْرُورُ مَغْرُورُ
فَٱزْرَعْ صَوَابًا وَخُذْ بِٱلْحَزْمِ حِيطَتَهُ ... فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ ٱلْحَزْمِ تَدْبِيرُ
فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ ... فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي ٱلْأَلْبَابِ مَعْذُورُ
وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَفُزْتَ بِهِ ... قَالُوا جَهُولٌ أَعَانَتْهُ ٱلْمَقَادِيرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ ٱلْوَفَاءِ طَرِيقَةً مَحْمُودَةً وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا وَشُهِرْتَ بِمَحَاسِنِهَا. فَتَنَافَسَ ٱلْإِخْوَانُ فِيكَ يَبْتَدِرُونَ وُدَّكَ وَيَتَمَسَّكُونَ بِحَبْلِكَ. فَمَنْ أَثْبَتَ لَهُ عِنْدَكَ وُدًّا وَضَعَ حُلَّتَهُ مَوْضِعَ حِرْزِهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المدبر :

٣٨٢ إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنُظَرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ ٱلْفَضْلَ فَإِذَا ٱنْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقَرُّوا لَكَ. وَيَتَنَافَسُونَ ٱلْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ. فَزَادَكَ ٱللهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ. وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ. وَيُقْدِمُهُ ٱخْتِيَارُكَ. وَيَقَعُ مِنَ ٱلْأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوَافَقَتِكَ. وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ. (وَلَهُ). إِنَّ مِمَّا يُطْمِعُنِي فِي بَقَاءِ ٱلنِّعْمَةِ عِنْدَكَ. وَيَزِيدُنِي بَصِيرَةً فِي ٱلْعِلْمِ بِدَوَامِهَا لَدَيْكَ أَنَّكَ أَخَذْتَهَا بِحَقِّهَا وَٱسْتَوْجَبْتَهَا بِمَا فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا. وَمِنْ شَأْنِ ٱلْأَجْنَاسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ. وَشَأْنِ ٱلْأَشْكَالِ

أَنْ تَتَقَاوَمَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلْقَلُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَحِنُّ إِلَى عُنْصُرِهِ . فَإِذَا صَادَفَ مَنْبِتَهُ وَنَزَلَ فِي مَغْرِسِهِ ضَرَبَ بِعِرْقِهِ وَسَبَقَ بِفَرْعِهِ . وَتَمَكَّنَ تَمَكُّنَ الْإِقَامَةِ وَتَفَتَّكَ تَفَتُّكَ الطَّبِيعَةِ

فصل لهُ ايضًا

٣٨٣ أَلسَّيْفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَأُ اسْتَغْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيَظْهَرَ فِرِنْدُهُ لِلِينِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عُجْبًا بَلْ شُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ:

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرْ
تَتَنَاسَاهُ كَأَنْ لَمْ تَأْتِهِ وَهْوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرْ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ الْمَسْدُودِ بِهِ ثَلْمُهُمُ الْمُجَدَّدِ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَالْمُحْيَا بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ . وَإِنَّهُ لَمْ يَخْمُلْ مَنْ كُنْتَ وَارِثَهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكَ سَبِيلِهِ . وَلَا انْمَحَتْ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُتْبَتِهِ

فصول في التعازي

فصل لعمرو بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِيَ بَعْدَكَ الْمَأْجُورُ فِيكَ . وَإِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

فِي اللهِ الْعَزَاءَ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَالْخَلَفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ اللهِ تَقَطَّعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسَرَةً . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الصَّبْرَ يُعْقِبُهُ الْأَجْرَ وَالْجَزَعَ يُعْقِبُهُ الْهَلَعَ . فَتَمَسَّكْ بِحَظِّكَ مِنَ الصَّبْرِ تَنَلْ بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتُدْرِكْ بِهِ الَّذِي تَأْمُلُ (لابن عبد ربّه)

كتب ابن السمّاك الى هارون الرشيد يعزّيه بولدٍ :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ فَافْعَلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ لَكَ هِبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَلَهُّفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرَضِيتَ الدَّارَ لِنَفْسِكَ فَتَرْضَاهَا لِابْنِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكَدَرِ وَبَقِيتَ أَنْتَ مُتَعَلِّقًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامُ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزّى شبيب بن شبّة المنصور على اخيهِ ابي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ اللهُ ثَوَابَ مَا رُزِئْتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا . وَخَتَمَ ذٰلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَّةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صُبِرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ

رسائل الى عليل

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللهُ فِي الِاغْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ الْمُشَارِكِ فِيهَا بِأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلِ اجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَنِّي مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَلَّمٌ مِنْهَا بِمَا يُؤْلِمُكَ . فَأَنَا عَلِيلٌ مَصْرُوفُ الْعِنَايَةِ إِلَى عَلِيلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يَخُصَّنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هٰذَا ٱلْبَابِ) : إِنَّ ٱلَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى ٱلْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَائِكَ . فَلَوْ قُلْتَ إِنَّ ٱلْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ بِذٰلِكَ شَاهِدُ عَدْلٍ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَادٍ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ . وَأَصْدَقُ ٱلْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ ٱلْأَثَرُ وَأَفْضَلُ ٱلْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وصاة

كتب لحسن بن وهب الى مالك بن طوق يوصي بابن ابي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَّغْتُ لَهُ ذِهْنِي . فَمَا ظَنُّكَ بِحَاجَةٍ هٰذَا مَوْقِعُهَا مِنِّي . أَتُرَانِي أَقْبَلُ ٱلْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أُقَصِّرُ فِي ٱلشُّكْرِ عَلَيْهَا . وَٱبْنُ أَبِي ٱلشِّيصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصِفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا تَنْبَسِطُ بِبِرِّهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَٱكْتَفَى بِهٰذَا مِنَّا . (وَلَهُ) كِتَابِي إِلَيْكَ كِتَابُ مَعْنِيٍّ بِمَنْ كَتَبَ لَهُ وَاثِقٍ بِمَنْ كُتِبَ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ ٱلثِّقَةِ وَٱلْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فُلَانٌ قَدِ ٱسْتَغْنَى بِٱصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِي إِيَّاكَ فِي أَمْرِهِ . فَإِنَّ ٱلصَّنِيعَةَ حُرْمَةٌ لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةٌ إِلَى مُصْطَنِعِهِ . فَبَسَطَ ٱللهُ يَدَكَ بِٱلْخَيْرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَلَهُ) مُوصِلُ كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِعَيْنِ مُشَاهَدَتِي وَخَلَّتِي . فَلِسَانُهُ أَشْكَرُ مَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصَّرْتَ فِيهِ (لابن عبد ربه)

ٱلْبَابُ ٱلْعِشْرُونَ
فِي تَارِيخِ ٱلْعَرَبِ

نظر في امة العرب وطباعهم وسكناهم

٣٩١ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْعَرَبَ مِنْهُمُ ٱلْأُمَّةُ ٱلرَّاحِلَةُ ٱلنَّاجِعَةُ . أَخْيَامُ لِسُكْنَاهُمْ وَٱلْخَيْلُ لِرُكُوبِهِمْ وَٱلْأَنْعَامُ لِكَسْبِهِمْ . يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَقْتَاتُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا . وَيَتَّخِذُونَ ٱلدِّفْءَ وَٱلْأَثَاثَ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا . وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا . يَتَنَازَلُونَ حِلَالًا مُفْتَرِقَةً وَيَبْتَغُونَ ٱلرِّزْقَ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ مِنَ ٱلْقَنْصِ وَتَخَطُّفِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلسُّبُلِ . وَيَتَقَلَّبُونَ دَائِمًا فِي ٱلْمَجَالَاتِ فِرَارًا مِنْ حَمَارَّةِ ٱلْقَيْظِ تَارَةً وَصَبَارَّةِ ٱلْبَرْدِ أُخْرَى . وَٱنْتِجَاعًا لِمَرَاعِي غَنَمِهِمْ . وَٱرْتِيَادًا لِمَصَالِحِ إِبِلِهِمُ ٱلْكَفِيلَةِ بِمَعَاشِهِمْ وَحَمْلِ أَثْقَالِهِمْ وَدِفْئِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فَٱخْتَصُّوا لِذٰلِكَ بِسُكْنَى ٱلْإِقْلِيمِ ٱلثَّالِثِ . فَعَمَرُوا ٱلْيَمَنَ وَٱلْحِجَازَ وَنَجْدًا وَتِهَامَةَ وَمَا وَرَاءَ ذٰلِكَ لِٱخْتِصَاصِ هٰذِهِ ٱلْبِلَادِ بِٱلرِّمَالِ وَٱلْقِفَارِ ٱلْمُحِيطَةِ بِٱلْأَرْيَافِ ٱلْآهِلَةِ بِمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ ٱلْأُمَمِ فِي فَصْلِ ٱلرَّبِيعِ وَزُخْرُفِ ٱلْأَرْضِ لِرَعْيِ ٱلْكَلَإِ وَٱلْعُشْبِ فِي مَنَابِتِهَا وَٱلتَّنَقُّلِ فِي نَوَاحِيهَا إِلَى فَصْلِ ٱلصَّيْفِ لِمُدَّةِ ٱلْأَقْوَاتِ فِي سَنَتِهِمْ مِنْ حُبُوبِهَا . وَرُبَّمَا يَلْحَقُ أَهْلَ ٱلْعُمْرَانِ أَثْنَاءَ ذٰلِكَ مَعَرَّاتٌ مِنْ أَضْرَارِهِمْ بِإِفْسَادِ ٱلسَّابِلَةِ وَرَعْيِ ٱلزَّرْعِ مُخْضَرًّا وَٱنْتِهَابِهِ قَائِمًا وَحَصِيدًا . إِلَّا مَا حَاطَتْهُ ٱلدَّوْلَةُ وَذَادَتْ عَنْهُ ٱلْحَامِيَةُ فِي ٱلْمَمَالِكِ ٱلَّتِي لِلسُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ

فيها . ثُمَّ يَنْحدِرُونَ فِي فَصْلِ الْخَرِيفِ إِلَى الْقِفَارِ لِرَعْيِ شَجَرِهَا وَنِتَاجِ إِبِلِهِمْ فِي رِمَالِهَا وَمَا أَحَاطَ بِهِ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا . وَفِرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ وَظِعَائِنِهِمْ مِنْ أَذَى الْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ مَشَاتِيهَا . فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرِّيفِ وَالصَّحْرَاءِ مَا بَيْنَ الْإِقْلِيمِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ صَاعِدِينَ وَمُنْحَدِرِينَ عَلَى مَمَرِّ الْأَيَّامِ . شِعَارُهُمْ لُبْسُ الْمِخْيَطِ فِي الْغَالِبِ وَلُبْسُ الْعَمَائِمِ تِيجَانًا عَلَى رُؤُوسِهِمْ . لُقِّنُوا مِنْ أُمَمِ الْبَرْبَرِ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ اعْتِقَالَ الرِّمَاحِ الْخَطِّيَّةِ وَهَجَرُوا تَنَكُّبَ الْقِسِيِّ (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قَالَ الْمُطَرِّزِيُّ : اخْتُلِفَ فِي نِسْبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ اسْمَهُمْ اشْتُقَّ مِنَ الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ . وَالْأَصَحُّ أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةَ فَهِيَ مِنْ تِهَامَةَ وَدُعِيَ جِيلُهُمْ جِيلَ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالْكِبْرِ وَالتَّجَبُّرِ . وَقَدْ قَسَمَ الْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَارِبَةٍ وَمُتَعَرِّبَةٍ وَمُسْتَعْرِبَةٍ . أَمَّا الْعَارِبَةُ فَهُمُ الْعَرَبُ الْأُوَلُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنَّا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ لِتَقَادُمِ عَهْدِهِمْ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرِّبَةُ فَهُمْ عَرَبُ الْيَمَنِ مِنْ وُلْدِ قَحْطَانَ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرِبَةُ فَهُمْ وُلْدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الارب للنويري)

اخبار العرب العاربة او البائدة وهم القسم الاوّل

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ عَادٌ وَثَمُودُ وَطَسْمٌ وَجَدِيسٌ وَجُرْهُمُ الْأُولَى . وَقَدْ تَسَمَّى هٰذَا الْجِيلُ الْعَرَبَ الْبَائِدَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُ لَمْ

يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ سُمِّيَ أَهْلُ هٰذَا الْجِيلِ الْعَارِبَةَ إِمَّا بِمَعْنَى الرَّسَاخَةِ بِالْعُرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلٌ أَلْيَلُ وَصَوْمٌ صَائِمٌ أَوْ بِمَعْنَى الْفَاعِلَةِ لِلْعُرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا

وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَحْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ الْيَمَنِ وَعُمَانَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ وَالشِّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادٌ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ الْعَرَبِ . وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ شَدَّادٌ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي الْمَمَالِكِ وَاسْتَوْلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا اتَّصَلَ مُلْكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعُتُوُّهُمْ انْتَحَلُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ فَأَبَادَهُمُ اللهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ

وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الْقُرَى فِيمَا بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ بُيُوتَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَغْيٍ . فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يُصْغُوا إِلَى دُعَائِهِ . فَهَلَكَ جَمِيعُهُمْ حَيْثُ كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي الْغَابِرِينَ

وَأَمَّا جَدِيسٌ وَطَسْمٌ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةَ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَخْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرِهَا وَأَكْثَرِهَا ثِمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ طَسْمٍ غَشُومًا مُصَارًّا لِجَدِيسٍ مُسْتَذِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتَلَهُ غِيلَةً

وَأَمَّا جُرْهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلِتَقَادُمِ انْقِرَاضِهِمْ ذَهَبَتْ عَنَّا حَقَائِقُ أَخْبَارِهِمْ وَانْقَطَعَتْ عَنَّا أَسْبَابُ الْعِلْمِ بِآثَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ الثَّانِيَةُ

فَلَيْسُوا مِنَ ٱلْبَائِدَةِ بَلْ هُمْ مِنْ وُلْدِ قَحْطَانَ وَبِهِمِ ٱتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَسُمِّيَ هٰذَا ٱلْجِيلُ ٱلْعَرَبَ ٱلْمُتَعَرِّبَةَ لِنُزُولِهِمْ بِٱلْبَادِيَةِ مَعَ ٱلْعَرَبِ ٱلْعَارِبَةِ وَتَخَلُّقِهِمْ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَهُمْ بَنُو قَحْطَانَ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالِحِ بْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامٍ . وَقَحْطَانُ هٰذَا مُعَرَّبُ يُقْطَانَ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ أَرْضَ ٱلْيَمَنِ وَلَبِسَ ٱلتَّاجَ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قَحْطَانَ مُعَاصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ ٱلْعَرَبِ ٱلْعَارِبَةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ . وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ ٱلْبَادِيَةِ مُبْعِدِينَ عَنْ رُتْبَةِ ٱلْمُلْكِ وَتَرَفِّهِ ٱلَّذِي كَانَ لِأُولَئِكَ فَأَصْبَحُوا بِمَنْجَاةٍ مِنَ ٱلْهَرَمِ ٱلَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ ٱلتَّرَفُ وَٱلنَّضَارَةُ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ ٱلْفَضَاءِ فَصَائِلُهُمْ وَتَعَدَّدَ فِي جَوِّ ٱلْقَفْرِ أَفْخَاذُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ . وَنَمَى عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ ٱلْعَمَالِقَةِ فِي آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَاحَمُوهُمْ بِمَنَاكِبِهِمْ وَٱسْتَجَدُّوا خُلُقَ ٱلدَّوْلَةِ بِمَا ٱسْتَأْنَفُوهُ مِنْ عِزِّهِمْ . وَكَانَتِ ٱلدَّوْلَةُ لِبَنِي قَحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لابن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَعْرُبُ بْنُ قَحْطَانَ مِنْ أَعَاظِمِ مُلُوكِ ٱلْعَرَبِ وَيُسَمَّى يَمَنًا وَبِهِ سُمِّيَتِ ٱلْيَمَنُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وُلْدُهُ بِٱلتَّحِيَّةِ : أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ وَأَنْعِمْ صَبَاحًا . وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِٱلْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ٱلْأَنْصَارِيُّ :

تَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنْطِقِ ٱلشَّيْخِ يَعْرُبٍ ... أَبِينَا فَصِرْتُمْ مُعْرِبِينَ ذَوِي نَفْرِ
وَكُنْتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عُجْمَةٍ ... كَلَامٌ وَكُنْتُمْ كَٱلْبَهَائِمِ فِي ٱلْقَفْرِ

وَمَلَكَ بَعْدَ يَعْرُبَ ٱبْنُهُ يَشْجُبُ . وَكَانَ وَاهِيَ ٱلْعَزِيمَةِ وَٱسْتَبَدَّ أَعْمَامُهُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ ٱلْمَمَالِكِ . وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ٱبْنُهُ عَبْدُ ٱلشَّمْسِ وَأَكْثَرَ ٱلْغَزْوَ فِي أَقْطَارِ ٱلْبِلَادِ فَسُمِّيَ سَبَأً . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ وَمِنْ مُدُنِهِ مَأْرِبُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْهَا (للنويري وابن الاثير)

سدّ مأرب وتفرع بني سبا

٣٩٦ فَبَنَى سَبَأٌ فِي مَأْرِبَ سُدًّا مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِٱلصَّخْرِ وَٱلْقَارِ فَحَقَنَ بِهِ مَاءَ ٱلْعُيُونِ وَٱلْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا عَلَى قَدْرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ . وَهُوَ ٱلَّذِي يُسَمَّى ٱلْعَرِمَ وَمَاتَ قَبْلَ إِتْمَامِهِ فَأَتَمَّهُ مُلُوكُ حِمْيَرَ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَّاتِهِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشِّمَالِ . وَدَوْلَتُهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَتْرَفُ وَأَبْذَخُ وَأَعْلَى يَدًا وَأَظْهَرُ . فَلَمَّا طَغَوْا وَأَعْرَضُوا أَجْحَفَهُمُ ٱلسَّيْلُ وَأَغْرَقَ جَنَّاتِهِمْ وَخَرِبَتْ أَرْضُهُمْ وَتَمَزَّقَ مُلْكُهُمْ وَصَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هٰؤُلَاءِ ٱلتَّبَابِعَةُ مُلُوكًا عِدَّةً فِي عُصُورٍ مُتَعَاقِبَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ لَمْ يَضْبِطْهُمُ ٱلْحَصْرُ وَلَا تَقَيَّدَتْ مِنْهُمُ ٱلشَّوَارِدُ . وَرُبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مُلْكَ ٱلْيَمَنِ إِلَى مَا بَعُدَ عَنْهُمْ مِنَ ٱلْعِرَاقِ وَٱلْهِنْدِ وَٱلْمَغْرِبِ . فَٱخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ ٱللَّبْسُ فِي نَقْلِ أَيَّامِهِمْ . فَلْنَأْتِ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَحَرِّيًا جُهْدَ ٱلِٱسْتِطَاعَةِ عَنْ طُمُوسٍ مِنَ ٱلْفِكْرِ وَٱقْتِفَاءً ٱلتَّقَايِيدِ ٱلْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَٱلْأُصُولِ ٱلْمُعْتَمَدِ عَلَى نَقْلِهَا وَعَدَمِ ٱلْوُقُوفِ عَلَى أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةً فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَإٍ مِنَ ٱلْوَلَدِ كَثِيرٌ وَأَشْهَرُهُمْ حِمْيَرُ وَعَمْرٌو وَكَهْلَانُ فَيُعْزَى ٱلتَّبَابِعَةُ إِلَى حِمْيَرَ وَٱلْمَنَاذِرَةُ إِلَى عَمْرٍو وَيَنْتَمِي

ٱلْغَسَاسِنَةُ إِلَى كَهْلَانَ . وَسَنُورِدُ بِٱلتَّلْخِيصِ أَخْبَارَهُمْ (لابن خلدون)

ملك التبابعة بني حمير في اليمن
(ذكر حمير وشدّاد وتبع الاول)

٣٩٧ قَالَ ٱلْمَسْعُودِيُّ : قِيلَ لِمُلُوكِ ٱلْيَمَنِ تَبَابِعَةٌ لِأَنَّهُ يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرُ . وَلَمْ يَكُونُوا يُسَمُّونَ ٱلْمَلِكَ مِنْهُمْ بِتُبَّعٍ حَتَّى يَمْلِكَ ٱلْيَمَنَ وَٱلشِّحْرَ وَحَضْرَمَوْتَ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هٰذَا فَيُسَمَّى مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ تُبَّعٌ . وَأَمَّا حِمْيَرُ فَقَدْ يُعْرَفُ أَيْضًا بِٱلْعَرَنْجَجِ (١٤٣٠ ق م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَتَوَّجَ بِٱلذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثَمُودَ مِنَ ٱلْيَمَنِ إِلَى ٱلْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ وَائِلٌ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى ٱلْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ ٱلْأَمْرُ إِلَى شَدَّادٍ فَغَزَا ٱلْبِلَادَ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى ٱلْمَغْرِبِ وَبَنَى ٱلْمَدَائِنَ وَٱلْمَصَانِعَ وَأَبْقَى ٱلْآثَارَ ٱلْعَظِيمَةَ . ثُمَّ ٱضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ حِمْيَرَ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنِ ٱسْتَقَرَّ فِي ٱلْحَارِثِ وَهُوَ تُبَّعٌ ٱلْأَوَّلُ وَفِي بَنِيهِ ٱلتَّبَابِعَةِ . وَقَدْ لُقِّبَ ٱلْحَارِثُ بِٱلرَّائِشِ لِأَنَّهُ رَاشَ ٱلنَّاسَ بِٱلْعَطَاءِ مِمَّا كَانَ أَصَابَهُ فِي غَزَوَاتِهِ مِنَ ٱلسَّلَبِ وَٱلْغَنَائِمِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك افريقس وذي الاذعار وشرحبيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَبْرَهَةُ ذُو ٱلْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ بِقَبَائِلِ ٱلْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَبِهِ سُمِّيَتْ وَسَاقَ ٱلْبَرْبَرَ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَنْزَلَهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ ٱلَّذِي سَمَّى ٱلْبَرَابِرَةَ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا ٱفْتَتَحَ ٱلْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رَطَانَتَهُمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرْبَرَتَهُمْ . فَسُمُّوا ٱلْبَرَابِرَةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقُسَ أَخُوهُ عَمْرٌو ذُو ٱلْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ ٱلسِّيرَةَ فِي ٱلرَّعِيَّةِ . وَلَمَّا يَعِبْ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَبْرَهَةَ وَكَانَ أَنْشَدَهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ :

يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جَهِلْتَ وَصِيَّتِي ... إِيَّاكَ فَٱحْفَظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشَدُ
يَا عَمْرُو لَا وَٱللهِ مَا سَادَ ٱلْوَرَى ... فِيمَا مَضَى إِلَّا ٱلْمُعِينُ ٱلْمُرْفِدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي ٱلْعُلَى بِنَوَالِهِ ... كَرَمًا يُقَالُ لَهُ ٱلْجَوَادُ ٱلسَّيِّدُ
كُلُّ ٱمْرِئٍ يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ ... وَٱلزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُحْصَدُ

وَلَمَّا ذُعِرَتْ حِمْيَرُ مِنْ جَوْرِهِ خَلَعَتْ طَاعَتَهُ وَقَلَّدَتِ ٱلْمُلْكَ شَرَحْبِيلَ . فَجَرَى بَيْنَ شَرَحْبِيلَ وَذِي ٱلْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ . وَٱسْتَقَلَّ شَرَحْبِيلُ بِٱلْمُلْكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ ٱلْهُدْهَادُ . (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش ومزيقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ٱبْنَةُ ٱلْهُدْهَادِ وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَفَدَتْ عَلَيْهِ بِنَفِيسِ ٱلْهَدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ ٱلْيَمَنِ عِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا بِٱلْمُلْكِ مَالِكٌ نَاشِرُ ٱلنِّعَمِ . لِأَنَّهُ قَلَّدَ أَعْنَاقَ رَعِيَّتِهِ أَطْوَاقَ ٱلْإِنْعَامِ وَٱلْمِنَنِ وَسَارَ غَازِيًا إِلَى ٱلْمَغْرِبِ فَبَلَغَ وَادِيَ ٱلرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكَثْرَةِ ٱلرَّمْلِ وَعَبَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرْجِعُوا . فَأَمَرَ بِصَنَمٍ مِنْ نُحَاسٍ نُصِبَ عَلَى شَفِيرِ ٱلْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِٱلْخَطِّ ٱلْمُسْنَدِ : هٰذَا ٱلصَّنَمُ لِنَاشِرِ ٱلنِّعَمِ ٱلْحِمْيَرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ . فَلَا يَتَكَلَّفْ أَحَدٌ ذٰلِكَ فَيَعْطَبَ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرٍ هٰذَا ٱبْنُهُ شَمِرُ مَرْعَشٌ سُمِّيَ بِذٰلِكَ لِٱرْتِعَاشٍ كَانَ بِهِ وَهٰذَا هُوَ تُبَّعُ ٱلْآخَرُ . وَهُوَ ٱلْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ ٱلتَّبَابِعَةِ ذُو ٱلْمَغَازِي

وَالْآثَارِ الْبَعِيدَةِ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدِهِمْ مَغَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ وَفَارِسَ وَخُرَاسَانَ افْتَتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصُّغْدِ وَرَاءَ جَيْحُونَ . فَقَالَتِ الْعَجَمُ تِمِّرْ كَنْدْ أَيْ تِمِّرْ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَالِكَ فَسُمِّيَتْ بِاسْمِهِ هَذَا وَعَرَّبَتْهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمَرْقَنْدَ . وَشَخَصَ مِنَ الْيَمَنِ غَازِيًا وَمَرَّ بِالْحِيرَةِ فَتَحَيَّرَ عَسْكَرُهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْيَمَنِ وَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ وَهَادَنُوهُ . وَأَخَذَ بِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ بِإِغْرَاءِ بَعْضِ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَّأَ الْمَمَالِكَ وَذَلَّلَهَا وَعَمَدَ إِلَى الصِّينِ . قَالَ النُّوَيْرِيُّ : وَكَانَ لِمَلِكِ الصِّينِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ الْبَأْسِ سَامِي الْهِمَّةِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ الْيَمَنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحِقَ بِأَبِي كَرِبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصِّينِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ أَبَا كَرِبٍ عَلَى خَلَلٍ يُمَكِّنُهُ الْفُرْصَةَ لِإِلْقَاءِ بِلَادِهِمْ بِأَلْقِيَادِ وَفَتْحِهَا . فَسُرَّ بِهِ تُبَّعٌ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاخَ لِقَوْلِهِ . فَنَهَضَ الْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ يَقْدُمُهُمْ حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى أَرْضٍ سَبَخَةٍ . فَتَوَغَّلُوا فِي فَلَوَاتٍ سَحِيقَةٍ لَا مَاءَ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ وَهَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . ثُمَّ انْتَقَلَ الْمُلْكُ مُدَّةً إِلَى بَنِي كَهْلَانَ حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ الْأَزْدِيُّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيْقِيَا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ كُلَّ يَوْمٍ بَدْلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فَمُزِّقَتْ لِئَلَّا يَجِدَ أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ الْعَرِمِ (١٠٢ ب م).

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سَدِّ مَأْرِبَ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ فَتَفَرَّقَتِ الْقَبَائِلُ الْمُجَاوِرَةُ لَهُ أَيْدِيَ سَبَا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ وَلَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى الْمُلُوكُ عَلَى حِمْيَرَ حَتَّى صَارَ الْمُلْكُ إِلَى ذِي نُوَاسٍ . (٤٩٠ ب م) وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نُوَاسٍ هُوَ ابْنُ تُبَّانَ أَسْعَدَ وَاسْمُهُ زُرْعَةُ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ التَّبَابِعَةِ تَسَمَّى يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلَ الْيَمَنِ . فَاسْتَجْمَعَتْ مَعَهُ حِمْيَرُ عَلَى ذَلِكَ . وَأَرَادَ أَهْلَ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي الدِّينِ وَاسْتِقَامَةٌ عَلَى حُكْمِ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ . وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ ثَامِرٍ . وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْحَوَارِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَقَطَ لَهُمْ مِنْ مُلُوكِ التُّبَّعِيَّةِ يُقَالُ لَهُ فِيمُونُ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابَ الدَّعْوَةِ وَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكَرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْمَرْضَى . وَكَانَ يَطْلُبُ الْخَفَاءَ عَنِ النَّاسِ جُهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ وَيُعَظِّمُ يَوْمَ الْأَحَدِ فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا . فَفَطِنَ لِشَأْنِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ اسْمُهُ صَالِحٌ فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا فَارِّينَ بِأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطِئَا بِلَادَ الْعَرَبِ . فَاخْتَطَفَتْهُمَا سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَ نَخْلَةً لَهُمْ طَوِيلَةً وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدِ ابْتَاعَ فِيمُونَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَابْتَاعَ

صالحًا آخر . فكان فيمون إذا قام في الليل في بيت له أسكنه إياه سيده استسرج له البيت نورًا وهو في غير مصباح حتى يصبح الصباح . فأعجب سيده ما رأى منه فسأله عن دينه . فأخبره به وقال له : إنما أنتم على باطل وهذه الشجرة لا تضر ولا تنفع . ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبده لأهلكها وهو وحده لا ند له . فقال له سيده : افعل فإنك إذا فعلت هذا دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه . فدعا فيمون فأرسل الله ريحًا فجعفت النخلة من أصلها . وأطبق أهل نجران على اتباع دين عيسى فمن هناك كانت النصرانية بنجران . وأما عبد الله بن ثامر فكان يجلس إلى فيمون كل يوم ويسمع منه شرائع النصرانية حتى فقه فيها وظهرت على يده الخوارق والمعجزات ودان الكل بدينه . فسار إليهم ذو نواس بجنوده واستدعى رأسهم عبد الله ابن ثامر فأحذره وقال له : أفسدت علي أهل بلدي وخالفت ديني ودين آبائي . ثم أمر به فقتل وعرض على أهل نجران القتل فلم يزدهم إلا جماحا . فخدد لهم الأخاديد وأوقد لهم نارا ثم امتحنهم . فجعل يقول للرجل والمرأة : إما أن تترك دينك وإما أن نقذفك في النار فيقول : ما أنا تارك ديني لشيء فيقذف فيها فيحرق . فبقيت امرأة ومعها صبي رضيع عمره سبعة أشهر فجزعت وتهيبت . فقال لها الغلام : يا أماه لا تنافقي فإنك على الحق ولم يكن يتكلم من ذي قبل . فاحترقت . وقتل وحرق ذو نواس حتى أهلك منهم فيما قال ابن إسحاق

عشرين ألفا أو يزيدون . وأفلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو ثعلبان فسلك الرمل على فرسه فأعجزهم . فقدم على قيصر صاحب الروم يستنصره على ذي نواس (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٤٠١ فبعث قيصر إلى ملك الحبشة يأمره بنصره . فجاءته السفن وأجاز فيها العساكر من الحبشة وأمر عليهم أرياط رجلا منهم . وعهد إليه بقتلهم وسبيهم وخراب بلادهم . فركبوا البحر ونزلوا ساحل اليمن فلقيهم ذو نواس فيمن معه فانهزم . فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه بفرسه إلى البحر وخاض ضحضاحه . ثم أفضى به إلى غمرة فأقحمه فيها فكان آخر العهد به وانقرض أمر التبابعة (٥٢٩ ب م) . ووطئ من ثم أرياط اليمن بالحبشة وأذل رجالات حمير وهدم حصون الملك . ثم انتقض على أرياط أبرهة أحد رؤساء جيشه وجذب معه رعاع الحبشة وعصى أرياط ودعاه للحرب فانحاز إلى أرياط عظماء الحبشة وغطاريفهم فاقتتلوا . فحمل أرياط على أبرهة وعلا وجهه بالحربة فشرم أنفه وبذلك لقب بالأشرم . وحمل أبرهة على أرياط بالسيف وعلا به رأسه فأسرع السيف في دماغه وسقط عن جواده . فمالوا حينئذ جميعا وصاروا مع أبرهة وأقاموه ملكا . وكان أبرهة رجلا قصيرا حادرا لحيما دحداحا ذا دين في النصرانية . فبنى بصنعاء إلى جانب غمدان كنيسة محكمة العمل وسماها

ٱلْقُلَيْسَ (*) فَٱنْتَشَرَ خَبَرُ بِنَاءِ هٰذَا ٱلْبَيْتِ فِي ٱلْعَرَبِ . وَلَمَّا هَلَكَ أَبْرَهَةُ
(٥٧١ ب م) مَلَكَ مَكَانَهُ ٱبْنُهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَٱسْتَحْلَ مُلْكَهُ
وَأَذَلَّ حِمْيَرَ وَقَبَائِلَ ٱلْيَمَنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَٱسْتَخْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
يَكْسُومُ فَمَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عَسْفُهُ (للازرقي)

اخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ وَلَمَّا طَالَ بَلَاءُ ٱلْحَبَشَةِ عَلَى أَهْلِ ٱلْيَمَنِ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنٍ
ٱلْحِمْيَرِيُّ مِنَ ٱلْأَذْوَاءِ بَقِيَّةُ ذٰلِكَ ٱلسَّلَفِ وَعَقِبُ أُولٰئِكَ ٱلْمُلُوكِ . وَدِيَالُ
ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمُوفِضُ لِلْخُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (مُوريقي) يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى
ٱلْحَبَشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : ٱلْحَبَشَةُ عَلَى دِينِ ٱلنَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى
وَقَدِمَ ٱلْحِيرَةَ عَلَى ٱلنُّعْمَانِ بْنِ ٱلْمُنْذِرِ عَامِلِ فَارِسَ عَلَى ٱلْحِيرَةِ وَمَا يَلِيهَا
مِنْ أَرْضِ ٱلْعَرَبِ فَشَكَا إِلَيْهِ . وَٱسْتَمْهَلَهُ ٱلنُّعْمَانُ إِلَى حِينِ وَفَادَتِهِ عَلَى
كِسْرَى وَأَوْفَدَ مَعَهُ وَسَأَلَهُ ٱلنَّصْرَ عَلَى ٱلْحَبَشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ .
فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالُ حَبَسْتَهُمْ لِلْقَتْلِ . ٱبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(*) وكان القُلَيس مربّعاً مستوي التربيع وجعل طولهُ في السماء ستّين ذراعاً وحولهُ سورٌ بينهُ وبين القُلَيس مائتا ذراعٍ مطيفٌ بهِ من كل جانب وجعل بين ذلك كلّهِ حجارة تسميها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين اطباقها الابرة مطبقة بهِ . وكان لهُ باب من نحاس يفضي الى بيت في جوفهِ طولهُ ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً معلّق العمل بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضة وعقودهُ مضروبة بالفسيفساء مشجّرة بين اضعافها كواكب الذهب ظاهرة . ثم يدخل من البيت الى قبّة جُدُرها بالفسيفساء وفيها صُلبٌ منقوشة بالذهب والفضة وفيها رُخامة مما يلي مطلع الشمس من البَلَق مربعة تغشي عين مَن نظر اليها من بطن القبة . تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة . وكان تحت الرخامة منبر من خشب اللبخ وهو الابنوس مفصل بالعاج ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة (لابن اسحاق)

ٱلَّذِي أَرَدْتَ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكُوا كَانَ مُلْكًا ٱزْدَدْتَهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأَحْصَوْا
ثَمَانِمِائَةٍ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَأَكْبَرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ
وَهْزَرَ ٱلدَّيْلَمِيَّ . فَتَوَاقَفُوا لِلْحَرْبِ وَأَمَّرَ وَهْزَرُ ٱبْنَهُ أَنْ يُنَاوِشَهُمُ ٱلْقِتَالَ
فَقَتَلُوهُ وَأَحْفَظَهُ ذٰلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فِيلٍ عَلَيْهِ
تَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَّ ٱلْيَاقُوتَةَ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَتَغَلْغَلَ فِي دِمَاغِهِ وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارُوا بِهِ . فَحَمَلَ ٱلْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
وَٱنْهَزَمَ ٱلْحَبَشَةُ فِي كُلِّ وَجْهٍ . وَفَنِيَ مُلْكُهُمْ فِي ٱلْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَثَهُ مِنْهُمْ
أَرْبَعَةٌ فِي ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً (٦٠١) . وَٱنْصَرَفَ وَهْزَرُ إِلَى كِسْرَى
بَعْدَ أَنْ خَلَّفَ سَيْفًا عَلَى ٱلْيَمَنِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْفُرْسِ ضَمَّهُمْ إِلَيْهِ عَلَى
فَرِيضَةٍ يُؤَدِّيهَا كُلَّ عَامٍ . وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ ٱبْنِ ذِي يَزَنٍ وَأَنْزَلَهُ بِصَنْعَاءَ .
وَٱنْفَرَدَ ٱبْنُ ذِي يَزَنٍ بِسُلْطَانِهِ وَنَزَلَ قَصْرَ ٱلْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ غُمْدَانَ .
يُقَالُ إِنَّ ٱلضَّحَّاكَ بَنَاهُ عَلَى ٱسْمِ ٱلزُّهَرَةِ وَهُوَ أَحَدُ ٱلْبُيُوتِ ٱلسَّبْعَةِ ٱلْمَوْضُوعَةِ
عَلَى أَسْمَاءِ ٱلْكَوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا ٱسْتَوْثَقَ
لِذِي يَزَنٍ ٱلْمُلْكُ جَعَلَ يَعْتَسِفُ ٱلْحَبَشَةَ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
ٱلْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوَلًا وَٱتَّخَذَ مِنْهُمْ طَوَابِيرَ يَسْعَوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِٱلْحِرَابِ .
فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعَوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا ٱنْفَرَدُوا بِهِ عَنِ ٱلنَّاسِ رَمَوْهُ
بِٱلْحِرَابِ فَقَتَلُوهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى ٱلْيَمَنِ وَٱسْتَمَرَّتْ عُمَّالُهُ إِلَى أَنْ
كَانَ آخِرُهُمْ بَاذَانَ فَأَسْلَمَ وَصَارَتِ ٱلْيَمَنُ لِلْإِسْلَامِ (لابن خلدون)

٢ خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق

تملك ملك بن فهم وجذيمة الابرش

٤٠٣ أَمَّا أَخْبَارُ ٱلْعَرَبِ بِٱلْعِرَاقِ فِي ٱلْجِيلِ ٱلْأَوَّلِ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا تَفَاصِيلُهَا وَشَرْحُ حَالِهَا. إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا حَدَثَ سَيْلُ ٱلْعَرِمِ تَمَزَّقَتْ عَرَبُ ٱلْيَمَنِ مِنْ مَدِينَةِ مَأْرِبَ إِلَى ٱلْعِرَاقِ وَٱلشَّامِ. فَكَانَتْ تَنُوخُ وَقُضَاعَةُ وَهُمَا حَيَّانِ مِنْ أَحْيَاءِ ٱلْأَزْدِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ مِمَّنْ تَمَزَّقَ إِلَى ٱلْعِرَاقِ. فَقَالَ مَلِكُ بْنُ فَهْمٍ ٱلْأَزْدِيُّ لِمَالِكٍ ٱلْقُضَاعِيِّ: نُقِيمُ بِٱلْبَحْرَيْنِ وَنَتَحَالَفُ عَلَى مَنْ نَوَانَا فَتَحَالَفُوا. فَسُمُّوا تَنُوخَ وَذٰلِكَ فِي أَيَّامِ مُلُوكِ ٱلطَّوَائِفِ فَنَظَرُوا إِلَى ٱلْعِرَاقِ وَعَلَيْهَا طَائِفَةٌ مِنْ مُلُوكِهَا وَهِيَ شَاغِرَةٌ فَخَرَجُوا عَنِ ٱلْبَحْرَيْنِ وَسَارَتِ ٱلْأَزْدُ إِلَى ٱلْعِرَاقِ مَعَ مَلِكِ بْنِ فَهْمٍ ٱلْأَزْدِيِّ. وَسَارَتْ قُضَاعَةُ إِلَى ٱلشَّامِ مَعَ مَالِكٍ ٱلْقُضَاعِيِّ

٤٠٤ وَأَوَّلُ مَنْ تَمَلَّكَ عَلَى تَنُوخَ فِي ٱلْعِرَاقِ مَلِكُ بْنُ فَهْمٍ (١٩٥ للمسيح) وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِٱلْأَنْبَارِ فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ رَمَاهُ سُلَيْمَةُ بْنُ مَالِكٍ رَمْيَةً بِٱللَّيْلِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ. فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ سُلَيْمَةَ رَامِيهِ قَالَ:

جَزَانِي لَا جَزَاهُ ٱللّٰهُ خَيْرًا ... سُلَيْمَةُ إِنَّهُ شَرًّا جَزَانِي
أُعَلِّمُهُ ٱلرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا ٱشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

فَلَمَّا قَالَ هٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ فَاظَ وَهَرَبَ سُلَيْمَةُ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ مَلِكٍ جَذِيمَةُ ٱلْأَبْرَشُ. (٢١٥ ب م) وَكَانَ ثَاقِبَ ٱلرَّأْيِ بَعِيدَ ٱلْمَغَارِ شَدِيدَ ٱلنِّكَايَةِ ظَاهِرَ ٱلْحَزْمِ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَزَا بِٱلْجُيُوشِ وَشَنَّ ٱلْغَارَاتِ عَلَى

قَبَائِلِ ٱلْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ فَأَكْبَرَتْهُ ٱلْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْعَتَهُ بِهِ إِعْظَامًا فَسَمَّتْهُ جَذِيمَةَ ٱلْأَبْرَشَ وَجَذِيمَةَ ٱلْوَضَّاحَ. وَٱسْتَوْلَى عَلَى ٱلسَّوَادِ مَا بَيْنَ ٱلْحِيرَةِ وَٱلْأَنْبَارِ وَسَائِرِ ٱلْقُرَى ٱلْمُجَاوِرَةِ لِبَادِيَةِ ٱلْعَرَبِ وَكَانَ يَجْبِي أَمْوَالَهَا. وَغَزَا طَسْمًا وَجَدِيسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنَ ٱلْيَمَامَةِ. وَفِيهِ قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

أَضْحَى جَذِيمَةُ فِي ٱلْأَنْبَارِ مَنْزِلُهُ ... قَدْ حَازَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ

فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكَ سَابُورَ بْنِ أَشَكَ. وَكَانَ جَذِيمَةُ مَلِكَ مَعَدٍّ وَبَعْضِ ٱلْيَمَنِ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمُرِهِ ٱلشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرَو بْنَ حَسَّانَ ٱبْنِ أُذَيْنَةَ وَالِدَ ٱلزَّبَّاءِ مَلِكَةِ ٱلطَّوَائِفِ. فَٱنْطَوَتْ لَهُ ٱلزَّبَّاءُ عَلَى طَلَبِ ٱلثَّأْرِ حَتَّى قَتَلَتْهُ. وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ نَحْوَ سِتِّينَ سَنَةً بِٱلتَّقْرِيبِ (الحمزة الاصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٤٠٥ فَوَرِثَ ٱلْمُلْكَ مِنْ بَعْدِهِ ٱبْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ رَقَاشُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنِ ٱتَّخَذَ ٱلْحِيرَةَ مَنْزِلًا مِنْ مُلُوكِ ٱلْعَرَبِ. وَأَوَّلُ مَلِكٍ يَعُدُّهُ ٱلْحِيرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ ٱلْعِرَاقِ وَمُلُوكُ ٱلْعِرَاقِ إِلَيْهِ يَنْتَسِبُونَ وَهَمَّ عَمْرٌو بِطَلَبِ ٱلثَّأْرِ مِنَ ٱلزَّبَّاءِ بِخَالِهِ جَذِيمَةَ. فَلَمَّا أَحَسَّتِ ٱلزَّبَّاءُ بِنِيَّتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَعْقِلٍ فَصَارَتْ أَمْنَعَ مِنْ عُقَابٍ. فَعَمَدَ عَمْرٌو إِلَى قَصِيرٍ وَزِيرِهِ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمُوَاطَأَةٍ مِنْهُ عَلَى ذٰلِكَ. فَلَحِقَ بِٱلزَّبَّاءِ يَشْكُو مَا أَصَابَهُ مِنْ عَمْرٍو وَأَنَّهُ ٱتَّهَمَهُ بِمُدَاخَلَةِ ٱلزَّبَّاءِ فِي أَمْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ: وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَمَا فَعَلَ بِي أَنْكَى لَهُ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكِ. فَأَكْرَمَتْهُ وَقَرَّبَتْهُ حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ ٱلْوُثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرٍو. فَلَحِمَهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَانْكَفَأَ رَاجِعًا. فَبَقِيَ عَمْرٌو مَلِكًا مُدَّةَ عُمْرِهِ مُنْفَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَغْزُو الْمَغَازِيَ وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ وَتُجْبَى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَتَفِدُ عَلَيْهِ الْوُفُودُ دَهْرَهُ الْأَطْوَلَ. لَا يَدِينُ لِمُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَزْدَشِيرُ بْنُ بَابَكَ فِي أَهْلِ فَارِسَ أَرْضَ الْعِرَاقِ. فَضَبَطَهَا وَقَهَرَ مَنْ كَانَ لَهُ بِهَا مُنَاوِئًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا أَرَادَ مِمَّا يُوَافِقُهُمْ وَمِمَّا لَا يُوَافِقُهُمْ. فَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ تَنُوخَ مُجَاوَرَةَ الْعِرَاقِ عَلَى الصَّغَارِ. فَخَرَجَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا مَعَ مَلِكٍ فَلَحِقُوا بِالشَّامِ وَانْضَمُّوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ. فَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ يُحْدِثُونَ أَحْدَاثًا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَعِيشَتُهُمْ فَيَخْرُجُونَ إِلَى رِيفِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحِيرَةَ فَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هُجْنَةً. فَصَارَ أَهْلُ الْحِيرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ. أَثْلُثُ الْأَوَّلُ تَنُوخُ وَهُمْ مَنْ كَانَ يَسْكُنُ الْمَظَالَّ وَبُيُوتَ الشَّعَرِ وَالْوَبَرِ فِي غَرْبِيِّ الْفُرَاتِ مَا بَيْنَ الْحِيرَةِ إِلَى الْأَنْبَارِ فَمَا فَوْقَهَا. وَالثُّلُثُ الثَّانِي الْعِبَادُ وَهُمُ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ الْحِيرَةِ فَابْتَنَوْا بِهَا. وَالثُّلُثُ الثَّالِثُ الْأَحْلَافُ. وَعَمَرَتِ الْحِيرَةُ أَيَّامَ مُلْكِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ بِاتِّخَاذِهِ مَنْزِلًا إِيَّاهَا. وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتِ الْكُوفَةُ وَنَزَلَهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ (للنويري وحمزة الاصفهاني)

ملك امرئ القيس البدء والمحرق والنعمان الاعور السائح

٤٠٦ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ امْرُؤُ الْقَيْسِ الْبَدْءُ وَهُوَ الْأَوَّلُ فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ـ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ آلِ

نَصْرٍ وَعُمَّالِ الْفُرْسِ. ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ عَمْرٌو (٣٣٨ـ٣٦٣) ثُمَّ عَقِبَهُ أَوْسُ بْنُ قُلَّامٍ الْعِمْلِيقِيُّ خَمْسَ سِنِينَ. ثُمَّ ثَارَ بِهِ حُجْبَا أَحَدُ بَنِي فَازَانَ فَقَتَلَهُ. (٣٦٨ ب م) وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ امْرُؤُ الْقَيْسِ (الثَّانِي). (٣٦٨ـ٣٩٠ ب م) وَيُعْرَفُ امْرُؤُ الْقَيْسِ هٰذَا بِالْمُنْذِرِ وَالْمُحَرِّقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسْوَدُ ابْنُ يَعْفُرَ فِي قَوْلِهِ: مَاذَا أُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ. ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ النُّعْمَانُ الْأَعْوَرُ السَّائِحُ وَهُوَ بَانِي الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ (*) وَكَانَ النُّعْمَانُ هٰذَا فِي أَيَّامِ يَزْدَجِرْدَ فَدَفَعَ إِلَيْهِ ابْنَهُ بَهْرَامَ لِيُرَبِّيَهُ وَأَمَرَ بِبِنَاءِ الْخَوَرْنَقِ مَسْكَنًا لِابْنِهِ فَأَسْكَنَهُ إِيَّاهُ. وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ. وَجَاءَهُ بِمَنْ يُلَقِّنُهُ الْخِلَالَ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْفُرُوسِيَّةِ حَتَّى اشْتَمَلَ عَلَى ذٰلِكَ بِمَا رَضِيَهُ. وَكَانَ النُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدِهِمْ مَغَارًا قَدْ أَتَى الشَّامَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَأَكْثَرَ الْمَصَائِبَ فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَغَنِمَ. وَكَانَ مَلِكُ فَارِسَ يُنْفِذُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءَ وَأَهْلُهَا الْفُرْسُ وَدَوْسَرَ وَأَهْلُهَا تَنُوخُ. فَكَانَ يَغْزُو بِهِمَا مَنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنَ الْعَرَبِ. وَكَانَ صَارِمًا حَازِمًا ضَابِطًا لِمُلْكِهِ قَدِ اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخَوَلِ وَالرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْحِيرَةِ. وَالْحِيرَةُ يَوْمَئِذٍ سَاحِلُ الْفُرَاتِ. وَلَمَّا أَتَى عَلَى النُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَنَصَّرَ عَلَى يَدِ بَعْضِ وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهِدَ وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَبِسَ الْمُسُوحَ وَذَهَبَ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*)

(*) (راجع الوجه ٢٢١ من الجزء الثاني) (*) (راجع الوجه ١٦ من هذا الجزء)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود وامرؤ القيس الثالث

٤٠٧ وَلَمَّا تَزَهَّدَ ٱلنُّعْمَانُ تَوَلَّى ٱلْأَمْرَ ٱبْنُهُ ٱلْمُنْذِرُ ٱلْأَوَّلُ (٤٢٠ ب م) وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ وَلَّوْا عَلَيْهِمْ شَخْصًا مِنْ وُلْدِ أَزْدَشِيرَ وَعَدَلُوا عَنْ بَهْرَامَ لِنَشْئِهِ بَيْنَ ٱلْعَرَبِ وَخُلُوِّهِ مِنْ آدَابِ ٱلْعَجَمِ. وَٱسْتَنْجَدَ بَهْرَامُ بِٱلْعَرَبِ فَجَهَّزَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلْعَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِطَلَبِ مُلْكِهِ. وَحَاصَرَ مَدِينَةَ ٱلْمُلْكِ فَأَذْعَنَ لَهُ فَارِسُ وَأَطَاعُوهُ. وَٱسْتَوْهَبَ ٱلْمُنْذِرُ ذُنُوبَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَعَفَا عَنْهُمْ وَٱجْتَمَعَ أَمْرُهُ. وَرَجَعَ ٱلْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشُغِلَ بِٱللَّهْوِ إِلَى مَوْتِهِ (٤٦٢ ب م). وَمَلَكَ مَكَانَهُ ٱلنُّعْمَانُ ٱلثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ ٱلنَّصْرَانِيَّ فَنَصَّرَهُ * وَتَزَهَّدَا (٤٦٩). وَمَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ ٱلْأَسْوَدُ وَهُوَ ٱلَّذِي ٱنْتَصَرَ عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ ٱلشَّامِ وَأَسَرَ عِدَّةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١). وَمَلَكَ أَخُوهُ مُنْذِرُ ٱلثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ٱبْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) نُعْمَانُ ٱلثَّالِثُ. ثُمَّ ٱسْتُخْلِفَ أَبُو يَعْفُرَ بْنُ عَلْقَمَةَ ٱلذُّمَيْلِيُّ (٥٠٣) وَذُمَيْلُ بَطْنٌ مِنْ لَخْمٍ. ثُمَّ مَلَكَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ ٱلثَّالِثُ (٥٠٦) هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي غَزَا بَكْرًا يَوْمَ أُوَارَةَ فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بَكْرٌ قَبْلَهُ تُقِيمُ أَوَدَ مُلُوكِ ٱلْحِيرَةِ وَتَعْضُدُهُمْ. وَهُوَ أَيْضًا بَانِي ٱلْعُذَيْبِ وَٱلصَّنَبَرِ وَفِيهِمَا يَقُولُ جُبَيْرُ بْنُ بُلُوغٍ:

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخُبُّ بِنَا ٱلنَّا قَةُ نَحْوَ ٱلْعُذَيْبِ وَٱلصَّنَبْرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَلَمَّا هَلَكَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ ٱلثَّالِثُ مَلَكَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلثَّالِثُ ٱبْنُهُ وَهُوَ ذُو

(*) (راجع وجه ١٧ من هذا الجزء)

ٱلْقَرْنَيْنِ لِضَفِيرَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأُمُّهُ مَاءُ ٱلسَّمَاءِ. قَالَ ٱلْجَنَابِيُّ: وَكَانَ هٰذَا لَقَبًا لِأَبِي عَامِرٍ ٱلْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ مَقَامَ ٱلْقَطْرِ أَيْ عَطَاءً وَجُودًا فَغَلَبَ عَلَى بَنِيهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفٌ مِنْهُ. وَذُكِرَ أَنَّ مُرَّةَ بْنَ كُلْثُومٍ قَتَلَهُ لِخَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ (٥٦٢ ب م). ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ ٱلْمُلَقَّبُ بِٱلْمُحَرِّقِ وَهِنْدٌ أُمُّهُ. وَكَانَ شَدِيدَ ٱلسُّلْطَانِ غَزَا تَمِيمًا فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةً يَوْمَ أُوَارَةَ ٱلثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنِ ٱلْمُنْذِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً (٥٧٨). ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ أَرْبَعَ سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنُوشَرْوَانَ. وَكَانَ فِيهِ لِينٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِينًا قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ (٥٨٢). ثُمَّ مَلَكَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلرَّابِعُ أَخُوهُ سَنَةً وَاحِدَةً مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ (٥٨٢). ثُمَّ مَلَكَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلرَّابِعُ أَخُوهُ سَنَةً وَاحِدَةً ثُمَّ ٱلنُّعْمَانُ ٱلرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ ـ ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ ٱلنَّابِغَةِ ٱلذُّبْيَانِيِّ ٱلَّذِي بَنَى ٱلْغَرِيَّيْنِ وَتَنَصَّرَ (للنويري والمسعودي)

خبر تنصر النعمان

٤٠٩ كَانَ ٱلنُّعْمَانُ بْنُ مَاءِ ٱلسَّمَاءِ ٱلْمُلَقَّبُ بِأَبِي قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ ٱلْمُضَلَّلِ وَٱلْآخَرُ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودٍ فَأَغْضَبَاهُ فِي بَعْضِ ٱلْمَنْطِقِ. فَأَمَرَ بِأَنْ يُحْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ حُفَيْرَةٌ بِظَهْرِ ٱلْحِيرَةِ ثُمَّ يُجْعَلَا فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَا فِي ٱلْحُفْرَتَيْنِ. فَفُعِلَ ذٰلِكَ بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَأُخْبِرَ بِهَلَاكِهِمَا. فَنَدِمَ عَلَى ذٰلِكَ وَغَمَّهُ وَفِي عَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ ٱلْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ:

يَا قَبْرَ بَيْنَ بُيُوتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدٌ وَبُرُوقُ

أَمَّا ٱلْبُكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَئِنْ بَكَيْتَ فَلِلْبُكَاءِ خَلِيقُ

ثُمَّ رَكِبَ ٱلنُّعْمَانُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِبِنَاءِ ٱلْغَرِيَّيْنِ عَلَيْهِمَا. فَبُنِيَا وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي ٱلسَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ ٱلْغَرِيَّيْنِ يُسَمَّى أَحَدُهُمَا يَوْمَ نَعِيمٍ وَٱلْآخَرُ يَوْمَ بُؤْسٍ. فَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ مِائَةً مِنَ ٱلْإِبِلِ شُؤْمًا أَيْ سُودًا. وَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ يُعْطِيهِ رَأْسَ ظَرِبَانٍ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيُذْبَحُ وَيُغَرَّى بِدَمِهِ ٱلْغَرِيَّانِ. فَلَبِثَ بِذٰلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَيِّئٍ يُقَالُ لَهُ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ. كَانَ آوَى ٱلنُّعْمَانَ فِي خِبَائِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى ٱلصَّيْدِ وَٱنْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ ٱلْمَطَرِ. فَرَحَّبَ بِهِ حَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ ٱلنُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَاءَهُ ذٰلِكَ وَقَالَ لَهُ: يَا حَنْظَلَةُ هَلَّا أَتَيْتَ فِي غَيْرِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ. فَقَالَ: أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَنْتَ فِيهِ. فَقَالَ لَهُ: أَبْشِرْ بِقَتْلِكَ. فَقَالَ لَهُ: وَٱللّٰهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَلِأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ مَأْرَبًا فَلَا تَكُنْ مِيرَتُهُمْ قَتْلِي. فَقَالَ: لَا بُدَّ مِنْ ذٰلِكَ فَٱسْأَلْ حَاجَةً أَقْضِيهَا لَكَ. فَقَالَ: تُوَجِّلُنِي سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأُحْكِمُ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذُ فِي حُكْمِكَ. فَقَالَ: وَمَنْ يَكْفُلُ بِكَ حَتَّى تَعُودَ فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ جُلَسَائِهِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرٍو فَأَنْشَدَ:

يَا شَرِيكَ يَا ٱبْنَ عَمْرٍو يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَهْ
يَا أَخَا شَيْبَانَ فُكَّ ٱلْـ ـيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَالَهْ

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحَيَا مَنْ لَا حَيَالَهْ
إِنَّ شَيْبَانَ قَبِيلٌ أَكْرَمَ ٱللّٰهُ رِجَالَهْ
وَأَبُوكَ ٱلْخَيْرُ عَمْرٌو وَشَرَاحِيلُ ٱلْحُمَالَهْ
رَقَّيَاكَ ٱلْيَوْمَ فِي ٱلْمَجْـ ـدِ وَفِي حُسْنِ ٱلْمَقَالَهْ

فَوَثَبَ شَرِيكٌ وَقَالَ: أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ وَأَمَرَ لِلطَّائِيِّ بِخَمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ. وَقَدْ جُعِلَ ٱلْأَجَلُ عَامًا كَامِلًا مِنْ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ ٱلْقَابِلِ. فَلَمَّا حَالَ ٱلْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ ٱلْأَجَلِ يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ ٱلنُّعْمَانُ لِشَرِيكٍ: مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا فِدَاءً لِحَنْظَلَةَ. فَقَالَ شَرِيكٌ: فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هٰذَا ٱلْيَوْمِ وَلَّى فَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ. فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَثَلًا. وَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ ٱلنُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرَيْ نَدِيمَيْهِ وَأَمَرَ بِقَتْلِ شَرِيكٍ. فَقَالَ لَهُ وُزَرَاؤُهُ: لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ يَوْمَهُ. فَتَرَكَهُ ٱلنُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيُنَجِّيَ ٱلطَّائِيَّ. فَلَمَّا كَادَتِ ٱلشَّمْسُ تَغِيبُ قَامَ شَرِيكٌ مُجَرَّدًا فِي إِزَارٍ عَلَى ٱلنَّطْعِ وَٱلسَّيَّافُ إِلَى جَانِبِهِ. وَكَانَ ٱلنُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَاكِبٍ قَدْ ظَهَرَ فَإِذَا هُوَ حَنْظَلَةُ ٱلطَّائِيُّ قَدْ تَكَفَّنَ وَتَحَنَّطَ وَجَاءَ بِنَادِبَتِهِ. فَلَمَّا رَآهُ ٱلنُّعْمَانُ قَالَ: مَا ٱلَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَفْلَتَّ مِنَ ٱلْقَتْلِ. قَالَ: ٱلْوَفَاءُ. قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى ٱلْوَفَاءِ. قَالَ: إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ ٱلْغَدْرِ. قَالَ: وَمَا دِينُكَ. قَالَ: ٱلنَّصْرَانِيَّةُ. قَالَ: فَأَعْرِضْهَا عَلَيَّ. فَعَرَضَهَا فَتَنَصَّرَ ٱلنُّعْمَانُ. وَتَرَكَ تِلْكَ ٱلسُّنَّةَ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَعَفَا عَنْ شَرِيكٍ وَٱلطَّائِيِّ.

وقال : ما أدري أيكما أكرم وأوفى أهذا الذي نجا من السيف فعاد إليه أم هذا الذي ضمنه. وأنا لا أكون ألأم الثلاثة. قال الميداني : وتنصر مع النعمان أهل الحيرة أجمعون وبنى النعمان في حاضرة ملكه الكنائس العظيمة . وقتله كسرى بن هرمز أبرويز (٦٠٤ ب م) وانقطع الملك عن لخم . ولم يلبث أن ظهر الإسلام بعد زمان (الاغاني)

٣ الغساسنة ملوك الشام بنو كهلان

٤١٠ كان آل جفنة عمال القياصرة على عرب الشام كما كان المناذرة آل نصر في آخر أمرهم عمالا للأكاسرة على عرب العراق. وأصلهم من اليمن من الأزد بني كهلان لأن الأزد لما أحست بمأرب انتقاض العرم وخشيت السيل تفرقت . فتشاءم قوم فنزلوا على ماء يقال له غسان فصيروه شربهم فسموا غسان . ثم أنزلهم ثعلبة ابن عمرو الغساني بادية الشام والملوك بها من قبل القياصرة . وكانوا يدينون بالنصرانية . ولما نزلت غسان في أرض الشام كان بها قوم من سليح فضربوا على الغساسنة الإتاوة وكان الذي يلي جبايتها سبيط منهم فاستبطأهم سبيط وقصد ثعلبة رأسهم وقال : لتعجلن لي الإتاوة أو لآخذن أهلك . وكان ثعلبة حليما فقال : هل لك في من يزيح علتك بالإتاوة قال : نعم. قال : عليك بأخي جذع بن عمرو . وكان جذع فاتكا . فأتاه سبيط وخاطبه بما كان خاطب به ثعلبة فخرج عليه ومعه سيف مذهب وقال فيه عوض من حقك إلى أن أجمع لك الإتاوة . قال :

نعم . قال : فخذه . فتناول سبيط جفن السيف واستل جذع نصله وضربه به قائلا : خذ من جذع ما أعطاك فذهبت مثلا . فوقعت الحرب بين سليح وغسان فأخرجت غسان سليحا من الشام وصاروا ملوكا . واستقر ملك الغساسنة ٤٠٠ سنة بنيف (*) (لحمزة الاصفهاني)

ملوك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب اضفنا اليها اخبار كندة) هم بنو زيد بن كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليهم بغير ملك تأكل القوي الضعيف حتى ملك حجر وكان تبع حين أقبل سائرا الى العراق استعمله عليهم . فسدد أمورهم وساسهم احسن سياسة وانتزع من اللخميين ارضهم وبقي وحده في مملكته مطاعا لحسن سيرته (٥٠٣ ب م). ثم ملك بعده ابنه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . ثم استخلفه الحارث وعظم شأنه حتى ولاه قياد ملك المعجم على العراق مدة ثم طرده انوشروان وارجع المنذر الثالث فهرب الحارث من وجهه ودخل ديار بني كلب ولم يلبث ان مات عندهم . وكان للحارث اربعة بنين ولاهم على قبائل كندة . وكان حجر اكبرهم متوليا على بني اسد فنقضوا امره وقتلوه. فقام امرؤ القيس واستنجد ببكر وتغلب على بني اسد فانجدوه وهربت بنو اسد منهم وتبعهم فلم يظفر بهم . ثم تخاذلت عنه بكر وتغلب وتطلبه المنذر بن ماء السماء . فتفرقت جموع امرئ القيس خوفا من المنذر وخاف امرؤ القيس من المنذر . وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من أناس الى أناس حتى قصد السموءل بن عادياء اليهودي فاكرمه وأنزله . وأقام امرؤ القيس عند السموءل ما شاء الله . ثم سار امرؤ القيس الى قصر ملك الروم مستنجدا به وأودع أدراعه عند السموءل بن عادياء المذكور. ومر على حماة وشيزر وقال في مسيره قصيدته المشهورة

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
ففلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

فمات امرؤ القيس بعد عوده من عند قيصر عند جبل يقال له عسيب . ولما علم بموته هناك قال:

أجارتنا إن الخطوب تنوب ... وإني مقيم ما أقام عسيب

ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شمر الغساني الى السموءل وطالبه بادرع امرئ القيس وما له عنده وكانت الأدراع مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموءل . فلما امتنع السموءل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث : إما أن تسلم الأدراع وإما قتلت ابنك . فقال السموءل : لست أخفر ذمتي فاصنع ما شئت . فذبح ابنه والسموءل ينظر اليه

ذكر العرب المستعربة بني اسماعيل وهم القسم الثالث

٤١١ وهم بنو عدنان بن إسماعيل نزلوا الحجاز وتولّوا سدانة الكعبة. وإنّما الحجاز وتهامة كانا ديار العمالقة. وكان لهم ملك هنالك وكانت جرهم من تلك الطبقة. وكانت ديارهم اليمن مع إخوانهم من حضرموت. وأصاب اليمن قحط فقروا نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى وعثروا في طريقهم بإسماعيل مع أمه هاجر. فاحتلوا أسفل مكة واقتتلوا مع العمالقة فأبادوهم. ونشأ إسماعيل بين جرهم وتكلّم بلغتهم وتزوّج منهم ودعاهم إلى التوحيد وتوفي لمائة وثلاثين سنة من عمره. ولم يزل أمر جرهم يعظم بمكة ويستفحل حتى ولوا البيت الحرام. وكانوا ولاته وحجابه وولاة الأحكام بمكة. ولما طالت ولاية جرهم استحلوا من الحرم أمورا عظاما واستخفوا بحرمة البيت العتيق قطع الله دابرهم لأنه لما خرب سد مأرب سار عمرو ابن عامر وقومه من بلد إلى بلد لا يطأون بلدا إلا غلبوا عليه. فلما قاربوا مكة أبت جرهم أن تفسح لهم واستكبروا في أنفسهم وقالوا: ما نحب أن تنزلوا فتضيقوا علينا مراتعنا وموارد نا فارحلوا عنا حيث

وانصرف الملك على يأس. فضرب العرب به المثل في الوفاء. وقال السموءل:

وفيتُ بأدرع الكنديّ إنّي ... إذا ما خانَ أقوامٌ وفيتُ
بنى لي عاديا حصنًا حصينًا ... وبئرًا كلّما شئتُ استقيتُ
رفيعًا تزلق العقبان عنهُ ... إذا ما نابني ضيمٌ أبيتُ
وأوصى عاديا قِدمًا بألّا ... تهدّم يا سموءل ما بنيتُ (لابي الفداء)

أحببتم فلا حاجة لنا بجواركم. فاقتتلوا ثلاثة أيام وانهزم جرهم فلم يفلت منهم إلا الشريد فهدر دمه (٢٠٧م). ثم تفرقت قبائل اليمن وانخزعت خزاعة بمكة فولوا أمر مكة وحجابة الكعبة. وسأل بنو إسماعيل السكنى معهم فأذنوا لهم. وتملّك عليهم لحيّ وهو ربيعة ابن حارثة وكان فيهم شريفا سيدا مطاعا وبلغ بمكة من الشرف ما لم يبلغ عربي قبله. وكان قد ذهب اسمه في العرب كل مذهب وقوله فيهم دينا متبعا. وكان أول من أطعم الحاج بمكة سدائف الإبل ولحمانها على الثريد. وعم في تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن وهو الذي بحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحسام وسيب السائبة ونصب الأصنام حول الكعبة. فكانت قريش والعرب تستقسم عنده بالأزلام. وهو أول من غير الحنيفية دين إبرهيم. وأقامت خزاعة ثلاث مائة سنة في سدانة البيت حتى قام قصي القرشي من بني إسماعيل. وعظم شرفه فرأى أنه أحق بالكعبة وبأمر مكة. وكانت ولاية الكعبة لأبي غبشان الخزاعي فباعها من قصي بزق خمر فقيل فيه أخسر من صفقة أبي غبشان. ثم دعا قصي إليه رجالات قريش وأجمع لحرب خزاعة فتناجزوا وكثر القتل. ثم صالحوه على أن يحكموه الكعبة (٥٠٧ ب م). فصار لقصي لواء الحرب وحجابة البيت وتيممت قريش برأيه وصرفوا مشورتهم إليه في قليل أمورهم وكثيرها. فاتخذوا دار الندوة إزاء

الْكَعْبَةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعَ الْمَلَإِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ . ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَاجًا يُؤَدُّونَهُ . ثُمَّ هَلَكَ قُصَيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ (ملخَّص عن كتاب اخبار مكَّة للازرقي)

(ملحق بتأريخ العرب)

١ ادیان العرب

٤١٢ كانت العرب في أوَّل أمرها على دين ابرهيم واسماعيل حتى قدِم عمرو بن لُحَيّ بصنم يقال لهُ هُبَل . وكان من أعظم اصنام قُريش عندها فكان الرجل اذا قدِم من سفرٍ بدأ بهِ على أهلهِ بعد طوافهِ بالبيت وحلق راسهُ عندهُ . وكان هُبَل من خرز العقيق على صورة انسان وكانت يدهُ اليمنى مكسورةً فأدركتهُ قريش فجعلت لهُ يدًا من ذهب . وكانت لهُ خزانة للقربان . وكانت لهُ سبعة قِداح يضربون بها اذا مسَّتهم الحاجة ويقولون :

إنَّا اختلفنا فهبِ السَراحا ان لم تقلهُ فمُر القداحا

وكان بالكعبة على يمينها حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظَّمًا في الجاهليَّة والاسلام . تتبرَّك الناس بهِ وتمُرُّ دونهُ وتقبِّلهُ . وكان بأسفل مكَّة قد نُصب صنم يُعرَف بالخَلَصة فكانوا يُلبسونها القلائد ويُهدون اليها الشعير والحِنطة . ويصبّون عليها اللبن ويذبحون لها ويعلّقون عليها بيض النَّعام . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم السيَّارات من الكواكب . وهي المشتري وقيل ان اصل اسمهِ ذوشراء اي ساطع النور . والزُهرة وزُحَل والمرّيخ وغيرها من الثوابت . ومن معبوداتهم أيضًا المَناة واللات وعُزّى . وكانت المناة على ساحل البحر مما يلي قُديد . وكانت صخرةً تُراق عليها دماء الذبائح ويلتمسون منها المطر في الجَدب . وكانت اللات ايضًا صخرةً صنمًا للشمس اذا مرَّ عليها الحاج يلتّونها بالسَويق . وقيل أصلها من لاهَ اي علا وعظُم ومنهُ اسم الجلالة . وأمَّا العزّى فكانت شجرة يعظمها قريش وبنو كِنانة . ويطوفون بها بعد طَوافهم بالكعبة ويعكفون عندها يومًا . قال الكلبيُّ : وكانت اللات والعُزّى ومَناة في كل واحدة منهنَّ شيطان يكلمهم . وتراءى للسدَنة وهم الحَجَبَة وذلك من صنيع إبليس وأمرهِ . وكان بنو حنيفة في الجاهلية اتخذوا الهًا عبدوهُ دهرًا طويلًا ثم أصابهم مجاعةٌ فأكلوهُ . فقيل في ذلك :

اكلت حنيفةُ ربَّها زمن التقحّم والمجاعه
لم يحذروا من ربّهم سوء العقوبة والتّباعه

ومن اديانهم المجوسيَّة والصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئيَّة اصنام الذهب للشمس وأصنام الفضة للقمر . وقسموا المعادن والأقاليم للكواكب . وزعموا ان قُوى الكوكب تفيض على تلك الأصنام . فتتكلم تلك الأصنام وتفهم وتوحي للناس اعني الأصنام . وتعلم الناس منافعهم وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب . إذا أُفردت تلك الشجرة لذلك الكوكب وغُرست لهُ وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حمير وكنانة وبني الحارث ابن كعب وكندة . واما النصرانيَّة فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزابادي : ان قبائل شتَّى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانيَّة بالحيرة وهم العباد . وإن كثيرًا من ملوك اليمن والحيرة تنصَّروا . وأمَّا ملوك غسَّان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانيَّة في ربيعة وقُضاعة وجرا وتنوخ وتغلب وبعض طي . وكانت قريش نصبت في جملة أصنامها في الكعبة تمثال مريم مزوَّقًا وابنها عيسى في حجرها قاعدًا مزوَّقًا . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تُطمَس صورتهما بل بقيتا الى عهد ابن زُبير فهلكتا في الحريق (للنوبري والازرقي)

٢ علوم العرب وآدابهم

٤١٣ فامَّا علم العرب الذي كانوا يتفاخرون بهِ فعلم لسانهم واحكام لغتهم ونظم الأشعار وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلمٌ بانواء الكواكب وامطارها . على حسب ما أدركوهُ بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في اسباب المعيشة لا على طريق تعلّم الحقائق . وامَّا علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئًا منهُ ولا هيَّأ طبائعهم للعناية بهِ . وكان الشعر ديوان خاصَّة العرب ومنتهى حكمتها والمنظوم من كلامها والمقيّد لأيامها والشاهد على حكامها . بهِ يأخذون وإليهِ يصيرون . وكانوا لا يُهنِئون الَّا بغلام يولد او شاعرٍ ينبغ فيهم او فرس تُنتَج . قال الصفديُّ : بل ما كان للعرب ما تفتخر بهِ الَّا السيف والضيف والبلاغة . وكانوا كل حول يتفاطرون الى سوق عكاظ ويتبايعون ويتناشدون ويتفاخرون ويتعاكظون . ولقد بلغ من كَلَف العرب بالشعر وتفضيلها لهُ أن عمدت الى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطيّ المُدرجة . فقيل لها مذهّبات وقد يقال لها معلّقات لانها عُلقت في أستار الكعبة . أمَّا الكتابة فحكموا أنَّ ثلاثة نفرٍ من طيّءٍ كانوا على دين عيسى فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربيَّة على هجاء السريانيَّة . فتعلَّمهُ قومٌ من الأنبار وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربيَّة غير بضعة عشر إنسانًا . ولقلّة القراطيس عندهم عمدوا الى كتف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتين أهل الكتاب والاميّون . والاميُّ من كان لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميّون بمكَّة (لابي الفرج والجوهري)

تمَّ بحولهِ تعالى

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

	وجه
الباب الاوّل في التديُّن	٣
في كمالاتهِ تعالى	٣
الدعاء لله	٤
منتخب من قصيدة عليّ بن ابي طالب	٧
محبة الله والثقة بهِ	٩
الاستغفار الى الله	١٢
العالم العقلي	١٥
الباب الثاني في الزهد	١٦
في الخوف زهد النعمان بن امرئ القيس	١٦
عدي بن زيد والنعمان	١٧
ذلة الدنيا وزوالها	١٨
الراهب الجرجاني والشيخ عمر الصيني	١٩
حفظ الحواس	٢٩
الدهر وحوادثهُ	٣٠
ذكر الموت	٣٢
التوبة الى الله	٣٥
الباب الثالث في المراثي	٣٨
الباب الرابع في الحكم	٤٦
نوادر بزرجمهر حكيم الفرس	٥٠
حكم شاناق الهندي	٥٢
اشعار حكميّة	٥٤
الباب الخامس في الامثال	٦٢
فصل من نوادر كلام العرب	٦٢
نبذ من كلام الزمخشري والبستي	٦٣
ما ضُرب بهِ المثل من الحيوان وغيرهِ	٦٣
اشعارٌ جارية مجرى المثل	٦٤
الباب السادس في امثال عن ألسنة الحيوانات	٦٨
البازي والديك برغوث وبعوضة	٦٨
اللبوَّة والغزال والقرد	٦٩
ساعة	٧٢
قرد وغيلم	٧٦
الضبعة والرجل اسد وذئب وغراب	٧٩
الجدي السالم والذئب النادم	٨٣
فارة وهرّ	٨٥
الهدهد الغير المتروّي	٩١
مالك الحزين والسمكة	٩٢
الديك والثعلب	٩٤
الجمل والملح	٩٧
البستاني والاربعة العابثون بجنتهِ	٩٩
الباب السابع في الفضائل والرذائل	١٠٣
الصبر	١٠٣
القناعة	١٠٥
العدل	١٠٧
الكرم	١٠٩
الوفاء الراي والمشورة	١١٠
الحسد	١١٣
حفظ اللسان وكتمان السرّ	١١٤
الغيبة	١١٧
الصدق والكذب	١١٩

	وجه
المزاح	١٢٠
الصداقة وخلوص المودَّة	١٢١
المطل في الوعد التواضع والكبر	١٢٧
الباب الثامن في الذكاء والادب	١٢٩
في العقل وماهيتهِ وشرفهِ	١٢٩
في العلم وشرفهِ	١٣٣
وصف الكتاب	١٣٨
في البيان والبلاغة والفصاحة	١٤١
في الشعر	١٤٢
في الأدب	١٤٤
الآداب الظاهرة	١٤٧
الباب التاسع في اللطائف	١٥٠
الحدّاد والامير	١٥٠
الحجّاج والفتية	١٥١
ابو العلاء وكتاب الفصوص	١٥٢
فنّي فصيح عليّ بن الجهم والمتوكل	١٥٣
درواس بن حبيب وهشام	١٥٤
الشاعر المتروّي	١٥٥
المنصور وابن هبيرة	١٥٦
ابو عبادة البحتري عند المتوكل	١٦٠
الركّاض والرشيد	١٦٢
الأعمى والأعور	١٦٤
اولاد نزار عند الافعى	١٦٦
الباب العاشر في المديح	١٦٧
الباب الحادي عشر في الفخر والهجو	١٧٦
ابن كندة عند كسرى	١٨١
الباب الثاني عشر في الالغاز	١٨٢
الباب الثالث عشر في الوصف	١٨٧
الباب الرابع عشر في الحكايات	١٩٤
ابن الزبيدي ومعاوية	١٩٤
المنصور ومحمد بن جعفر	١٩٥
عمر بن الخطّاب والعجوز	١٩٦
معاوية والزرقاء	٢٠٠
كريمان حصلا على الامارة بكرمهما	٢٠٣
يزيد بن المهلّب عند سليمان بن عبد الملك	٢٠٨
احسان كريم الى من قتل اباهُ	٢٠٩
جود معن بن زائدة	٢١١
ابرهيم الموصلي والمهدي	٢١٢
المرأة المتظلمة وابن المأمون	٢١٤
المرأة الكريمة	٢١٥
الاعرابي ومالك بن طوق	٢١٨
الخارجيّ والمعتصم	٢١٩
قصّة رجل اجار رجلًا استغاث بهِ	٢٢٠
الباب الخامس عشر في الفكاهات	٢٢٥
سيّد العرب ابن المغازلي عند المعتضد	٢٢٥
ابرهيم الموصلي وابرهيم المهدي عند الرشيد	٢٢٨
ثقيلٌ وظريفٌ	٢٣٠
سنان بن ثابت والطبيب القرويّ	٢٣١
حذاء ابي القاسم الطنبوري	٢٣٢
الباب السادس عشر في النوادر	٢٣٥
ابن مقلة والواشي	٢٣٥

	وجه
معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ	٢٣٥
مشهد الحسين	٢٣٦
مروءة اسماعيل الهزرجيّ	٢٣٧
جود حاتم الطائي	٢٣٩
إيثار ابن مامة الاياديّ	٢٤٠
صنم سومناة	٢٤١
الباب السابع عشر في الاسفار	٢٤٢
مدح السفر	٢٤٣
ذمّ السفر	٢٤٤
سفرة ابن جبير الى جزيرة صِقِلّيَة	٢٤٤
الباب الثامن عشر في عجائب المخلوقات	
في شرح عجب الموجودات	٢٥٥
في جرم الشمس ووضعها	٢٥٩
في كسوف الشمس وبعض خواصها	٢٦١
فصل في القمر وخسوفهِ وتأثيراتهِ	٢٦٢
في المجرَّة والكواكب الثوابت	٢٦٤
فصلٌ في ارباع السنة	٢٦٥
فصلٌ في تولّد الانهار	٢٦٨
جسم الارض ودورانها وهيئتها	٢٦٩
في السحاب والمطر وما يتعلّق بهما	٢٧٠
في الرعد والبرق وما يتعلّق بذلك	٢٧١
الباب التاسع عشر في المراسلات	٢٧٣
في المراسلات بين الملوك والامراء	٢٧٣
في الاشواق وحسن التواصل	٢٧٧
فصول في التهنئة	٢٨١
في التوصية	٢٨٢
فصول في الذمّ	٢٨٤

	وجه
فصل في المدح والشكر	٢٨٧
فصول في التعازي	٢٨٨
فصول في وصاة	٢٩٠
الباب العشرون في تاريخ العرب	٢٩١
نظر في أمّة العرب وطباعهم وسكناهم	٢٩١
ذكر نسب العرب وتقاسيمهم	٢٩٢
اخبار عرب العاربة او البائدة	٢٩٢
العرب المتعربة بنو قحطان	٢٩٤
ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان	٢٩٤
سد مأرب وتفرع بني سبا	٢٩٥
ملك التبابعة بني حمير في اليمن	٢٩٦
ملك شدّاد وتبّع وافريقس وذي الاذعار	٢٩٦
ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش	٢٩٧
ذو نواس وشهداء النصرانيّة في نجران	٢٩٩
استيلاء الحبشة على ملك اليمن	٣٠١
اخبار سيف بن ذي يَزَن	٣٠٢
ملك المناذرة بني كهلان في العراق	٣٠٤
ملك بن فهم وجذيمة الابرش وابن عدي	٣٠٤
امرؤ القيس البدء والمحرق والنعمان	٣٠٦
المنذر والنعمان والاسود وامرؤ القيس	٣٠٨
ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس	٣٠٨
خبر تنصّر النعمان	٣٠٩
الغساسنة ملوك الشام بنو كهلان	٣١٢
ملوك كندة	٣١٣
ذكر العرب المستعربة بنو اسماعيل	٣١٤
ملحق بتاريخ العرب	٣١٦
اديان العرب	٣١٦
علوم العرب وآدابهم	٣١٧